كتاب الصور النورانية في العلوم السريانية

ويليه

مفتاح السور من عين الخبر

ويليه

كتاب فصول الحقائق

كلها تأليف

سيدي محمد بن محمد وفا الكبير

المتوفى سنة ٧٦٥ هـ

تحقيق: أحمد فريد المزيدي

دار الكتب العلمية

كتاب الصور النورانية في العلوم السريانية

ويليه

مفتاح السور من عين الخبر

ويليه

كتاب فصول الحقائق

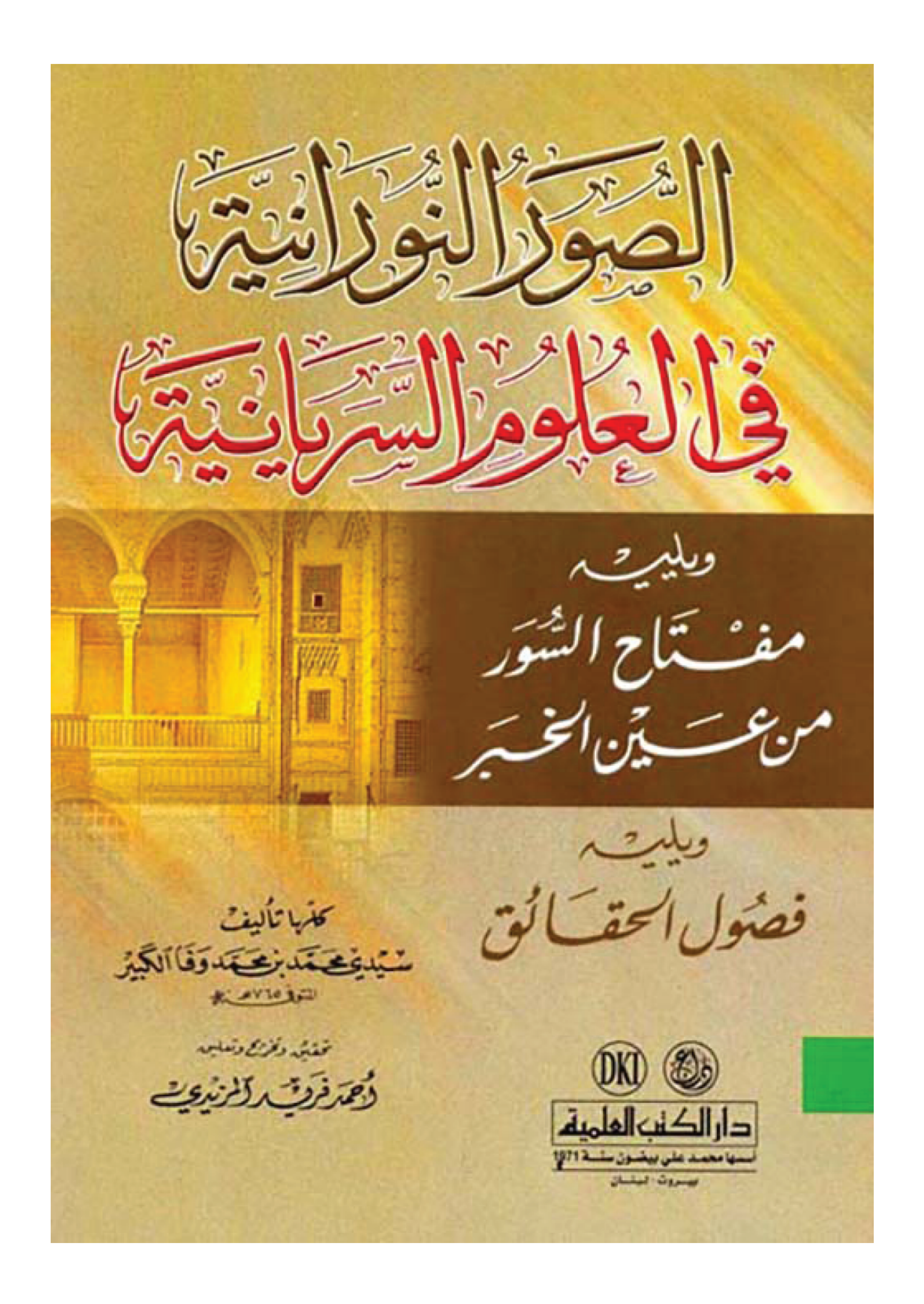
كلها تأليف

سيدي محمد بن محمد وفا الكبير

المتوفى سنة ٧٦٥ هـ

تحقيق: **أحمد فريد المزيدي**

دار الكتب العلمية



صورة الغلاف الأصلي للكتاب

نماذج من صور المخطوط

كتاب الصور النورانية في العلوم الربانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله خالق الانسان مرآة التبيان وجامع الاعيان وموضوع الرحيم الرحمن كتابه المكنون ولوحه المسطور وسقفه المرفوع وبيته المعمور ورقه المنشور وبحره المسجور طوى بطانته الروحانية على معاني الوجوب وبسط ظهارته التشبيهية وركبها من مراتب الاثبات والسلوب وجعله قيوميا في كل دايرة من دواير الشهادات والغيوب ووصل ازاله بابده ونظم واحده بعدده وفتق رتق خلقه بنور امر حقه ونزله في ليلة قدره في نظام ملكوت امره نيابة عن اصل الوجود وجمعه في الرتبة عنوانا لكل موجود ونوه من الخبرة وسر القدرة فلا اصدق من خبره ولا احق من خبره ولا احق من مخبره صورته النورانية ناطقة بعلومه الربانية ومعارفه الربانية مويده بادلته اللدنية معراجه الى سدرة المنتهى لبنى له انتهاه فالحمد لله على هذا النبا العظيم والروح العليم والختم الكريم وافضل الصلاة والتسليم على جامع الاعيان والمعاني والمويد بالسبع المثاني والقران العظيم **وبعد** فان هذا الروح الذي ظهر بسر القرآن واللسان الذي نطق ببيان الصورة تنزل من ورا مدارك الفتنة والحكم واشرف من غياهب غيوب الصدور في المحقق تسليم يفوت الفهم والوهم اول مباديه وينقطع الكشف والذوق في طرق تحصيل معانيه كلما توهم فكر او زعم وهم انه بلغ مدارك غايته من موضع بدايته ناداه لسان التعليم بشرط التسليم وفوق كل ذي علم عليم فرحم الله من اضرب عن العوايد واستخرج دقايق الفوايد وفك اغلاق المرسوم واطلع على السر المكتوم اللهم لا تحجبنا بعقولنا

٢

صورة الصفحة الأولى من الصور النورانية

ونفوسنا وأوهامنا وظنوننا وعلمنا من علمك المكنون وسرك المصون
يا من قال ويخلق ما لا تعلمون وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شا
لهداكم أجمعين وبعد فانه فسح الله مواحكم وأطلق سواحكم وقدس أرواحكم
ولا حجبكم برؤية أرائكم وظنونكم وأوهامكم انني لا يوقف على معارف الحقائق
الغائبة الابها ولا نسمع الاخبار الا في لبه الامرا ولان المعارف الالهية وراء
التصورات البشرية لان معروفها لا يتصور ولا جائز التصور والرد والقبول
فرعان عن الفهم والتصديق فرع عن التصور والنظر الصحيح يفيد العلم والسلامة
من الميل الهوى عدل في الحكم والتحكم جور وجحد الحق محض الجهالة وتخصيص
الارادة واجب والمخصوص ممكن منكره والتسليم اصل في هذا الباب والتصديق
مفتاح اعتقاده وصحة الذوق اساسه الذي يبني عليه والاعجاب بالراي مزلة القدم
والوقوف عند الغايات توهم حصول المطلوب الذي لا يتناهى والقلب السليم مشكاة
انوار البصائر والاخلاص حصن من لا تدركه الا بصيرة الوقوف عند الرسوم
سلامة الجاهل من فتن الغيرة التواضع تربص العقول المستعدة لم الموانع
انطباع النفوس عن العوائد الرسمية احكام التنزيه في صور التفصيل والوقوف
مع المجردات عجز رتبه محصنه الحقائق لا يدل عليها غيرها تنزل الحقائق
في قوالب الصورة المنطقية سبب في تنكيره والمعرفة بالتعريف متوقفة
على المطابقة البرهان وجود يقوم بمدارك الواجدين وضع الشئ في محله
صفة الحكيم وأداء الحكم الى أهله علامة الحكيم شهود الحق في كل شئ صراط
الله المستقيم فلولا تفصيل الآيات ما تبينت المشكلات فانظروا في هذه
الكلمات وتحققوا بهذه المقدمات قبل ان تخوضوا مع الخائضين وتخبطوا مع
القوم العمين فمن كان اهلا لتلقي هذه الصور النورانية كفوا لحمل هذه المعارف
السر بانية فلينسلخ من بردة هواه ويتزر بميزر تقواه وليقدم صدقا
بين يدي نجواه وان كان بالعكس مما نحن فيه من حسن اسلام المرء تركه
ما لا يعنيه صورة ان ليه ذات غيب من وراء صفة الا شتراك
الوجودي صورة علم فيها تصور المعلوم احاطتها لا بعين كثرة وهي سبق
وحده والله واسع عليم صورة ابديه ذات شاهده في عين صفة الاشتراك
الوجودي صورة حياة فيها تصور الوجود احاطتها بحكم المغايرة لا غيرها

صورة الصفحة الثانية من الصور النورانية

وكشف بيان لا يطاف عليه ولا يجارفيه نقطة السمع والعيان والافصاح والتبيان قال لها ربنا رضي ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طايعين فهو الحبة المفلوقة والنواة المفتوقة فهو اس الكلمة الطيبة والشجرة الثابتة اصلها ثابت وفرعها في السماء وبها كانت النفوس الارضية والدقايق الحبيبة مضطربة من سطوات قال لها متموجة تحت عظمة ائتيا طوعا او كرها ارسيت بمراسي جبال العقول الثابتة بالعلم الثابتة بحكم الامر وجعل عرفه خارج نورها السراجي بقرب متصل كان ذلك لحكمة الشريف بحرمات الربوبية والتشريف بين اداب مبشا عن الله لهيبه ولان الحج عرفه علمه شديد القوي ذو مرة فاستوى وهو بالافق الاعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى فاوحي الى عبده ما اوحي وكذلك قال ادبني ربي فاحسن تاديبي

[illegible]

صورة الصفحة الأخيرة من الصور النورانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله خالق الإنسان مرآة البيان وجامع الأعيان، وموضوع الرحيم الرحمن كتابه المكنون، ولوحه المسطور، وسقفه المرفوع، وبيته المعمور، ورقه المنشور، وبحره المسجور، طوى بطانته الروحانية على معاني الوجوب، وبسط ظهارته الشبحية وركبها من مراتب الإثبات والسلوب، وجعله قيوميًّا في كل دائرة من دوائر الشهادات والغيوب، وَصَلَ أزله بأبده، ونظم واحده بعدده، وفتق رتق خلقه بنور أمرِ حقّه، ونـــزله في ليلة قدره في نظام ملكوته، أمره بداية في أصل الوجود، وجمعه في النهاية عنوانًا لكل موجود، فهو عين الخبرة، وسر القدرة، فلا أصدق من خَبَرِه، ولا أحق من خبره، ولا أحق من مختبره، صورته النورانية ناطقة بعلومه الربانية، ومعارفه الربانية مؤيدة بأدلته اللدنية، معراجه إلى سدرة المنتهى ليس له انتهاء.

فالحمد له على هذا النبأ العظيم، والروح العليم، والختم الكريم.

وأفضل الصلاة والتسليم على جامع الأعيان والمعاني، والمؤيد بالسبع المثاني والقرآن العظيم.

وبعد ...

فإن هذا الروح الذي ظهر بسر القدر، واللسان الذي نطق بيان الصور، وتنزل من وراء مدارك الفقيه والحكيم، وأشرق من غياهب غيوب الصوفي، والمحقق السليم يفوت الفهم والوهم أول مبادئه، وينقطع الكشف والذوق في طرق تحصيل معانيه،كلما توهم فكر أو زعم وهم أنه بلغ مدارك غايته من موضع بدايته؛ ناداه لسان التعليم لشرط التسليم، ﴿**وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ**﴾ [يوسف: 76]، فرحم الله من أضرب عن العوائد، واستخرج حقائق الفوائد، وفك إغلاق المرسوم، واطلع على السر المكتوم.

اللهم لا تحجبنا بعقولنا ونفوسنا وأوهامنا وظنونا، وعلمنا من علمك المكنون وسرك المصون. يا من قال: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل: 8، 9].

وبعد ...

فإنه فسَّح الله مراحكم، وأطلق سراحكم، وقدس أرواحكم، ولا حجبكم برؤية أفهامكم وظنون أوهامكم، التي لا يوقف على معارف الحقائق الغائية إلا بها ولا تُسمع الأخبار الأزلية إلا منها؛ لأن المعارف الإلهية وراء التصورات الفكرية؛ لأن معروفها لا يتصور، ولا جائز التصور.

والرد والقبول فرعان عن الفهم، والتصديق فرع عن التصور.

والنظر الصحيح يفيد العلم والسلامة من الميل الهوائي عدله في الحكم، والتحكم جور، وحصر الحق محضر الجهالة.

وتخصيص الإرادة واجب، والمخصوص ممكن منكره، والتسليم أصل في هذا الباب، والتصديق مفتاح أغلاقه، وصحة الذوق أساسه الذي يبني عليه، والإعجاب بالرأي مزلة القدم، والوقوف عند الغايات توهم حصول المطلوب الذي لا يتناهى، والقلب السليم مشكاة أنوار البصائر، والإخلاص حضرة من لا تدركه الأبصار، الوقوف عند الرسوم سلامة الجبان من فتن الغيرة، القواطع تربص العقول المستفاد، الموانع انطباع النفوس على العوائد الرسمية، أحكام التنـــزيل في صور التفصيل، والوقوف مع المجملات عجوزية، محضة الحقائق لا يدل عليها غيرها، تنـــزل الحقائق في قوالب الصور المنطقية سبب في التنكير، والمعرفة بالتعريف متوقفة على المطابقة، البرهان وجود يقوم بمدارك الواجدين، وضع الشيء في محله صفة الحكيم، وأداء الحِكَم إلى أهلها علامة الحكيم، شهود الحق في كل شيء صراط الله المستقيم، فلولا تفصيل الآيات ما انحلت المشكلات، فانظروا في هذه الكلمات، وتحققوا بهذه المقدمات، قبل أن تخوضوا مع الخائضين، وتخبطوا مع القوم العمين، فمن كان أهلاً لتلقي هذه الصور النورانية كان كفؤا لحمل هذه المعارف السريانية؛ فلينسلخ من بردة هواه، ويـــتـــزر بمئزر تقواه، ويقدم صدقات بين يدي نجواه، وإن كان

بالعكس مما نحن فيه، فـــ «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**[1]».

صـورة أزلية:

ذات غيب من وراء صفة الاشتراك الوجودي، صورة علم فيها تصور المعلوم، إحاطتها لا بعين كثرة، وهي في وحدة [2] ﴿**وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة: 247].

صـورة أبدية:

ذات شهادة في عين صفة الاشتراك الوجودي.

صـورة الحياة:

(حياة) [3] فيها تصور (الوجود) [4] إحاطتها بحكم المغايرة لا غير، فيها وحدة في كثرة ﴿**هُوَ الحَيُّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ**﴾ [غافر : 65].

صـورة القدم:

صفات فاعله لا في تكرار صفات الحدوث[5].

صـورة القدرة:

قدرة كاملة جامعة لمواد مقدوراتها بالحقائق، مقدورها حق لا خلق:
﴿**وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الحَقُّ المُبِينُ**﴾ [النور: 25].

صورة الحدوث:

صفات مفعوله في تكرار عن فقد عدمي بالسلوب والإيجاب، صورة مستعدة

---

(1) رواه ابن حبان (466/1).

(2) قال سيدي علي وفا في المسامع: لكل مرتبةٍ فاعلة مرتبة قابلة خاصة بها، هي عرشها وكرسيها ولوحها وفرشها وسماؤها وأرضها وبيتها وزوجها ومظهرها ومرآتها، وما في معنى ذلك في كل مقام بحسبه، ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾ [الزمر: 10]، ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 247].

(3) في نسخة : سيرة.

(4) في نسخة: الموجود.

(5) قال سيدي علي وفا: والمرتبة المُسمَّاة بالقدم متى ظهر الوجود فيها بموجود، ظهر ذلك الموجود منصبغًا بحكمها فظهر قديمًا.

لقبول الفعل غير ممانعة. ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحشر:6].

صـورة روحانية:

ذات إدراك لا علم، صورة ذات حصر بين إيجاب وإمكان، حاصلها موضوع بالفرق، محمول بالجمع، نتائجها بالتجلي مؤثرات ومدبرات، أحكام وتفصيل الأول بالمحمول الثاني، بالموضوع عنها تنخلع الثمانية الكلية، لا في الخارج لتقديسها عن المكان والزمان، وهم عالم الأمر، المفيضات الأقوية، الملكية المدبرة، الأفلاك الصورية، والأجسام البسائط العنصرية المنخلعة عن الجسم المحيط، الهوائي الدائم، والفضائي المتحرف القائم المسلوب، النهاية من حيث هو المعين الأول، عنه لا في الخارج.

الأرض: وهي فلك النفوس الكثيفة، والأشكال المنعكسة، الناتج عنها بالتلطف الماء: وهو فلك النفس الناعمة، والأشكال المتناسبة، والناتج عنه كالأول، وهو الهواء المتحرك، فلك النفوس اللطيفة والأشكال العلية والناتج عنه كالسابق[1].

---

(1) قال سيدي علي وفا: قيوم دائرة الهو المطلق تجلَّى فيه بمراتبه الثلاث الإلهية تجليات مناسبة لاستعداداته، ففي الاستعداد الذي لا يقبل إلا صورًا لا إدراك لها ظاهرًا إلا التعقل، فإحساسها وتخيلها تحت ملكة تعقلها قائمان متقاومان متلازمان، فأمرهما ونظامهما في الكشف والانكشاف دائمان مهما أحسه تخيله وعكسه، ظهور بتجليه الإلهي الجلالي مليكًا، ويُسمَّى في عين تعينه هذا في نواطقه الفلسفية بالعقل الأول، وفي نواطقه الصوفية بالروح الأكبر، والاسم الأعظم، ونحو هذا.

وفي كل ناطقةٍ بما يدل على ذلك مصطلح أهلها، وفتق رتق هذه الدائرة الاستعدادية بظهور أحكام معانيه الثبوتية السبع فيها إلى سبع دوائر، عبر عنها بيانه المحمدي بالسموات العلى، وعبَّر عنها في التفصيل بالعرش، فالعرش للعلم، والكرسي للحياة، والحجاب للإرادة، والقلم للكلام، واللوح للقدرة، والرفرف للسمع، والمنتهى للبصر، وهذه المعاني ليس لها أعيان زائدة بحكم الاستقلال، فلم يكن لها في هذه الدائرة الاستعدادية أعيان شخصية، إنما هي أعيان حكمية، وتجلَّى من الهو في الاستعداد الذي لا يقبل إلا صورًا إدراكها الظاهر فيها ليس إلا تخيل ممد لإحساسٍ، وغالب عليه بحكمه، فهي لا تتخيَّل شيئًا إلا أحسته بلا عكسٍ، وظهر بتجليه الإلهي الرحماني مالكًا، ويُسمَّى في عين تعينه هذا بالعقل الفعَّال فياض الصور ونحو هذا، وفتق رتق هذه الدائرة الاستعدادية بظهور أحكام معانيه السبع الزائدة زيادة عينية، كما تقدَّم إلى سبع دوائر عبَّر لسان بيانه المحمدي عنها بالسموات الطباق، يطابق ما تحتها ما فيها مطابقة الأشخاص الجزئية =

=

للأشخاص النوعية الكلية، وعبَّر عنها في التفصيل بالخُنَّس الجوَار الكُنَّس، وهي التي تُسمَّى بالكواكب السيارة السبع وأفلاكها، وتجلّى من الهو في الاستعداد الذي لا يقبل إلا صورًا إدراكها الظاهر فيها، ليس إلا إحساسًا ممدًّا لتجلي غالبًا عليه، عكس الذي قبل هذا بتجليه الإلهي الرحيمي مَلِكًا، ويُسمَّى في عين تعينه هذا بالعقل المعيشي، وفتق رتق هذا الاستعداد لظهور أحكام معانيه السبع فيه إلى سبع دوائر عبَّر عنها بيانه المحمدي بالسموات الطرائق والدنيا، فهي مراتب توليد، ولما كانت انقلاب ما قبلها كان ما قبلها قبلها، وكانت استعداداتها قوالب، والحاصل فيها ظل قلبه.

وعبَّر عن هذه الطرائق بفلك الأشعة، وفلك الهباء، وفلك النار، وفلك الهواء وهو الرياح، وفلك الماء، وفلك التراب، وفلك العفن، وهو أسفل سافلين لمن حبس في حكمه عن النفوذ إلى حكم ما فوقه، وهو أعلى عليين لمن شهد ما فوقه من الغيوب في عينه شهادة تحقيق شاهدها بمشهودها، وهو بالأول نار ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: 24]، وبالثاني: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ﴾ [الهمزة: 6، 7].

وهو الأرض المفتوقة الاستعداد إلى سبع، بحسب اختلاف قبولات القوالب للصور، فهي جماد ونبات وحيوان، إنسي ووحشي وطائر وآدمي، وفي هذه الدائرة تظهر أحكام المليك والمالك والملك ظهورًا يناسبها؛ لأنها غاية مراتب تنـــزلاتهم، ففلك الأشعة والهباء منها دائرة جبروتية، وفلك الماء والنار والتراب والهواء دائرة ملكوتية، وفلك العفن دائرة ملكية، وصور الأولى أرواح كونية، وصور الثانية أشباح كونية، وصور الثالثة أجسام كونية، فلكل روحٍ شبح يقوم به قيام التدبير والتعلُّق الكوني في جسمٍ، فهذه الأشباح تُسمَّى قوى، وهي صور معاني الأرواح التي عند ظهور آثارها تُسمَّى أخلاقًا.

واعلم أن مبدأ الاحتجاب بالحكم العفني عن الظهور بأحكام ما فوقه من اللطافة والتروض واللاهوتية يُسمَّى الوهم البهيم، وهو مرتبة المضل، والأشباح المتصرفة به ليس إلا تُسمَّى شياطين في التصرفات الدينية، وملكات شيطانية نارية مارجية في التصرفات الدنيوية، ومبدأ ما يقابل ذلك مقابلة الضد يُسمَّى الروح الحكيم، وهذه مرتبة الهادي، والأشباح المتصرفة به ليس إلا تُسمَّى ملائكة، وملكات ملكية نورانية كذلك، والأشباح التي غلب عليها تُسمَّى جان، وملكات جانية، وهذه عند تعلق الأرواح تُسمَّى قُرناء، وبتعينها الإدراكي الجسماني بالموافق لخاصتها تحصل اللذة، وفي الضد بالضد في كل مقامٍ بحسبه، والأجسام الآدمية بالحقيقة ليست إلا أشباحًا ربانية في أي شكلٍ تشكلت، وأما التي أشباحها ملكية فأجسام طيرية في أي شكلٍ تشكلت، والتي أشباحها جانية أجسام حيوانية إنسية كذلك، والتي أشباحها شيطانية أجسام مؤذية وحشية كذلك، والقالب الذي ليس في استعداده أن تظهر فيه الروح المتعلقة بجسمانيته بتخيل اختياري؛ لاستمداده من الإحساس الذي ظهرت به فيه، ومغلوبًا له صورة الدنيا التي يقابلها البرزخ والآخرة المذكورة في الذِّكر الربَّاني، وهذا الإدراك الحاصل لهذه القالبية هو حقيقة الدنيا، والقالب الذي ليس في استعداده أن تظهر فيه الروح المتعلقة به إلا بإدراك تخيله، وإحساسه عكس الأول

=

النار: وهو فلك النفس الغضبية، والأشكال الشفافة اللهبية، ثم بالتركيب، المعدن تصور مع غلبة القوة الأرضية، ثم النبات تصور مع غلبة القوة المائية، ثم الحيوان تصور مع غلبة القوة النارية، ثم الإنسانية من الحيثية الآدمية، لا العاقلة الناطقية، تصور مع غلبة القوة الهوائية، مستعدًا بروح الأمر، تخصيصًا في أصل النشأة الصورية، لقبول النفخة الإلهية.

صورة بيانية:

الروح في أُفق الحياة عين عن غيب، جامعة لحقائق ما تعين فيه عنه، وكذلك عن كل فلك مطلق عين جامع لخصائصه، مفيض لصوره وأشكاله ومعانيه وحقائقه، كتعين آدم في الهواء، والروح في الحياة، والعقل في العلم، والفؤاد في حقيقة الوجود الذاتي، ثم المنخلع عن هذه الأعيان إما على المماثلة، أو المخالفة؛ فإن خالف كالمعدن والنبات والحيوان لا يقال عليه الإنسان، وإن وافق فهو النسخة المقول عنها

=

هو صورة البرزخ، وهذا الإدراك هو حقيقة البرزخ، والقالب الذي ليس في استعداده أن تظهر فيه الروح المتعلقة به إلا بإدراك تخيله، وإحساسه الاختياري متقاومان متلازمان، هو صورة الآخرة، وهذا الإدراك هو حقيقة الآخرة، فالدنيوي مهما أحسه اختيارًا تخيله بلا عكسٍ، ومدده قاصر على السموات الطرائق الدنيا حيث وصل، والبرزخي عكسه، ومدده من السموات الطباق الوسطى، والأخروي مهما أحسه تخيله اختيارًا، ومهما تخيله أحسه اختيارًا، واختياره فيها لازم. فأمره دائمٌ وممده من السموات العلى، وحقيقة الجنة الموعودة في الألسنة الربانية الديانية ملكة خيالية من الروح الحكيم، إذا تمَّ ظهورها في نفسٍ مدركةٍ، وانتهى تحققها بها بحسب استعدادها، اقتضت لها وجدان كلما ورد عليها أو صدر عنها حسنًا جميلاً مناسبًا مرضيًّا لها، موافقها مطابقًا لاختيارها من جميع جهاته، فذلك هو النعيم، وبحكمه الأخروي مقيم، حقيقة النار المقابلة لها ملكة خيالية من الوهم البهيم، إذا تمَّ ظهورها في نفسٍ مدركةٍ، وانتهى تحققها بها بحسب استعدادها اقتضت لها ضد ذلك، وذلك هو العذاب الأليم، وفي آخرته مقيم.

واعلم أن المقتضى دائرٌ من مبدئه الذي هو علته وسببه وجودًا وعدمًا، أعني ظهورًا وبطونًا يعبر عنهما بالنفي والثبوت، والحقائق الروحانية تحققها بقابلها اتحاد، فلا تزايله، والحقائق الوهمية تحققها بقابلها عروض، فلا يتعذر خلوه عنها، فمن ثَمَّ صحَّ الخلاص من الجحيم، ووجب الخلود في النعيم لأهل الدارين، أعني لقابلي التحقيقين بهاتين الحقيقتين، أعني حقيقة الجنة وحقيقة مقابلها، هذا كله في هذه الدائرة الهوية، كما تقدَّم، ولكل مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال، فافهم.
(المسامع ص 256) بتحقيقنا.

هو، وكذلك الروح ما ظهر فيها منحرفًا عنها، قيل عليه: الملك، والنفس مع الوفاق لها، وكذلك العقل ما انخلع عنه منحرفًا عن خطه قيل عليه: نفوس معنوية، وتخيلات منحصرة، وعقل إذا ماثل.

ثم الفؤاد ما ظهر عنه، لا على صورته. قيل: قلوب إيمانية تقليدية، وتعينات طينية، لا عبودية محضة، فإن طابق قيل عليها: ﴿**مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى**﴾ [النجم : 11]، و﴿**مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى**﴾ [النجم : 17] [1].

صـــورة :

الوجه والكثرة بالجلالة والحمد.

الأول: بالوجود الذاتي.

والثاني بالفضاء المطلق المحيط بالأجسام؛ فبالحمد تكبير الواحد، وبسر الجلالة توحيد الكثرة، ولن يفترق «**لا إله إلا الله محمد رسول الله**» أزلاً وأبدًا، وظهور الروح عن الوجود، والماء عن الهواء المطلق،كحواء عن آدم، الأول العرش المحيط، والثاني العرش المجيد، والتجلي الحجاب الرحماني الأقدس المقدس عن الزمان والمكان والجهات، في الأفق الأعلى، الروح المختصة بحقائق الجلالة في الأزل، ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الشورى : 11].

وكذلك تعيين الدقيقة الحقية محدود الزمان والمكان، ومفصل الجمل، ومقيد الأعيان في الأُفق المبين، المخصص بالرحمانية، الأبد ﴿**لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى**﴾ [طه:6].

مالك الملك ذو الجلال والإكرام.

والحاصل: ﴿**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾[الفاتحة :1]، والجبروت والملكوت

---

(1) قال سيدي علي: أُوحي ﴿**فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى**﴾ [النجم: 10] هذا قدر قوس السمع، ﴿**مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى**﴾ [النجم: 17] هذا قدر قوس البصر، ﴿**مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى**﴾ [النجم: 11] هذا قدر قوس ﴿**أَوْ أَدْنَى**﴾ [النجم: 9] ﴿**أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى**﴾ [النجم:12]، ولقد رأى سمعًا وبصرًا كلام الحق يُسمع ويُرى؛ لأنه يرد على القلب السميع البصير.

والملك؛ فالجبروت غيب الجلالة، وهو ذوات وصفات، والملكوت حضرة الرحمانية، وهو عقول وأرواح، والملك عالم الرحيمية الحق، وهو نفوس وأجسام.

هذه الحقائق ذاتية، وحقائق الصفات (عليهم صفات) [1].

القدرة[2]: صفة قائمة لموصوفها، غير مزايلة له، متعلقة بمقدورها تعلق التأثير، وهو الفعل بحكم الإيجاد، وحقيقة: الاستغراق، والمفعول الثاني بالمرتبة مجاز كالظل.

صـورة سريانية:

غيب الأزل ما (مؤثر) [3] في باطن الأبد (بالذات) [4]، ما ينقله إلى ظاهر الأزل بالقوة؛ فبفيضه على ظاهر الأبد، إفاده بالفعل، ما من الله إلا وإليه، لا بحكم عيني؛ فما ظهر عن (الوحدة) [5] غير ما بطن في الأحد، وكل باطن بالذات وظاهر بالصفات على التأبيد، وبالفعل والقوة إن لم يكن، كذلك الأول بالتمكين، والثاني بالتكوين، فإن فهم هذا، فالمتنـــزل إليك من الأفق الفؤادي إلى الفلك النفساني، مترق بالطلب الغيبي إلى التصور العقلي، مفاض بالانخلاع الفعلي إلى القابل الحسي، بالتعين الصوري؛ فيقوم الشخص كل في جزء، فتستفيد المشاعر الخمس والحس المشترك، الأشكال المنحصرة في آفاق السموات والأرض، القائمة في جواهرها وأعراضها، وتنقلها إلى الخيال أجسامًا لطافًا روحانية، وأعراضًا نورانية روحانية، وحقائق ملكية، ورقائق روحانية، ودقائق إنسانية رحمانية، ثم حكمها عند تحليل الأجزاء الشخصية، عن التركيب الأول، صورًا مجردة قائمة في المدارك الملكوتية،

---

(1) غير موجودة بالنسخة (أ).

(2) قال سيدي علي: القدرة النفسانية لا تقوى على الإيجاد إلا مع الحياة التي لا تقبل الفساد، فإذا دخل أهل الجنة باب الجنة حيث يُسمُّون بالحي الذي لا يموت، رُفع عن قدرتهم الحجر البرزخي، وجاءهم الحي الذي لا يموت بالمكوِّن، كما أحل عليهم رضوانه، فلا يقولون: (كن) لشيءٍ إلا كان.

(3) في (ب): ترى.

(4) زائدة في النسخة (ب).

(5) في (ب) : الواحد.

الوهم والخيال، والحفظ والذكر، والعقل المستفاد، وهذا حشر؛ ولأن الأيام المشاعر الخمس والحس المشترك، سُموا بذلك لموضع تبيين التفاصيل، والأفلاك الصورية؛ ولأن في كليتها خلق السموات والأرض، وما فيها وما بينهما، ثم استوى على العرش، ذي المدارك الحشرية وهي أيام الله المحيط عليها اليوم الكلي الذي تعرج فيه الملائكة والروح إلى الله ذي المعارج، مقداره خمسين ألف سنة، ويوم كألف سنة، عن العددية جملة من هذا الكل مشتركة بين الأيام المشاعر الخمس الحساسة، والأيام المدارك وكل يوم حسي في زمان، وكل يوم عقلي في دهر؛ فالمحيط على المدارك العقلية هو العرش؛ لقيامه بالإجمال والجمع والمحيط على المدارك الحسية الكرسي، لقيامه بالتفصيل والفرق.

صـورة عددية:

الأحد لا فيه، ولا عنه، ولا معه، ولا منه، والواحد بالمعية آحادية متميزة بالمرتبة أفراد؛ والواحد في كل مرتبة هو هو بحقيقته وهويته، لا هو بتميزه بالمرتبة والاسمية والتسمية، هذا منشأ الكثرة، وهو مراتب الموجودية قابلها تصور بالمعدومية؛ فإذا (نزلت) [1] القوة المجردة عن المراتب إلى المرتبة الواحدية، تنزلت في آحادها بالكثرة إلى العشرة، نهاية مراتب العدد فتصير أصلاً، وفروعه الآلة المتنزلة عنه، هذه صورة كاملة شاملة جامعة لما عقلته العقول، وتخيلته الأوهام، وأدركته الحواس، ولذلك أقسم بالفجر وليال عشر، وآية الليل محو عدمية، وآية النهار مبصرة وجودية، والقوة الوجودية مفيضة على القوى العدمية أبداً لا انقطاع ولا امتناع، كلما انختم دوره، وتناهى عده، بما فيه مراتب وإحاطات، وجزئيات وكليات، وبدايات ونهايات، ووجوب وإمكانات، برز الواحد عن غيب الأحد، بحكم ما عنه تجرد، وأفرض المراتب والعدد، **﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الخَلاَّقُ العَلِيمُ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شيئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾** [يس:81 - 82].

---

(1) في (أ) : نـــزقت، (ب) : برقت.

صـورة مثلية:

الحجاب الأقدس وجه الأزل، ومشرق أنوار الحقائق القدم، ومجموع مفردات الوجود، هو المثل الأعلى، ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى﴾ [الأعراف:180]؛ فليس إلا السمع والبصر والقدرة والإرادة والحياة والعلم والكلام[1]، ﴿الرَّحْمَنُ فَاسْئَلْ بِهِ خَبِيراً﴾ [الفرقان:59] ، كما أن المثل المضروب من حيث خلق الله آدم على صورته جامع لإفراد الإمكان والحدوث، فما من حقيقة قديمة إلا ولها مثل في المحيطة الأبدية الممكنة، المقول عليها تحللت وتركبت وأوجدت (فاعلة) [2] وعدمت وأفرادها حقائق بالذات هكذا، سواء قيل عليها: جواهر وأعراض وأجسام وأجرام ذهنية عدمية، ووجودية خارجية، ﴿لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾[يونس: 64]، ومجموع هذه الغاية: الإنسان، مستوى الرحمن، والعرش المحيط. هذا مع حصول المطابقة؛ فإن

(1) قال سيدي علي: حقيقة الوجود ذات يقتضي لنفسه أن يقضي، وما ثَمَّ إلا هو، فيقضي قضايا يجردها من نفسه لنفسه، ويقضي بتعينه بها، فهي الموجودات، فالوجود ذات كل موجودٍ وعينه، وكل موجودٍ صفته وعينه وتعينه وقضاؤه لازم، فهو به في كل موجودٍ بحسب ما يناسب ما خصصه به ترتيبه من خواص المرتبة قائم، وباختلافات مراتب مقتضياته بقضائه الترتيبي يُسمَّى مطلق قضائه: علمًا، وحياةً، وإرادةً، وكلامًا، وقدرةً، وسمعًا، وبصرًا، ونحو ذلك، وعقلاً، وروحًا، وخيالاً، ووهمًا، وحسًّا، ونحو ذلك مبدأ فعليًّا، ومبدأ قابليًّا، وما يتفرعان إليه ونحو ذلك، فافهم.

وقال سيدي محمد وفا: وكل كلمة في تفصيل تثليثها بسبع صفات ذاتيات؛ فهي للجلالة بالذات لا بزيادة، وللروح بالزيادة، وفي التجلِّي بزيادة مثلية معينة؛ كنحو المثل المعلَّقة في حضرة ذات التجلِّي محققة، وهي في الأربع كلمات على نحو هذه الأحكام المحققات.

فهذه الكلمات وصفاتها وأسماؤها وتجليَّاتها؛ ألسنة أقلام وحروف؛ وهي كلام أم الكتاب المكنون في دقائق حقائق الألباب، المجعول فوق العرش المحيط عند ربِّ الأرباب.

وهي مفاتيح غيب الغيب التي لا يعلمها إلا هو، وهي الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام، وهذه مفاتيح غيب اللاهوت، وآلاء أسرار الجبروت، ونظام عالم القدرة، وبها يحكم الحاكم أمره، وهي السبع المثاني تنثني بتكرار بسم الله الرحمن الرحيم في فواتح سور القرآن العظيم، وهي تتنوع بالبطون والظهور في فاتحة كل دور يدور، فتظهر تعيينًا مع سور أمهات الآيات المحكمات، وتبطن تضمنًا في سور الآيات المتشابهات، فلا أنور من ظهورها، ولا أسر من بطونها. وانظر: المسامع (ص 409)، والعروش (ص 139) كلاهما بتحقيقنا.

(2) زيادة في (ب).

لم يكن فمن المراتب العددية، ومن المنحرفات الجزئية.

صورة جامعة:

إذا استغرقت أفراد الوجوب مفردات الإمكان، واستوى جامع الغيب على جامع الإنسان، بشرط المطابقة لا المخالفة، كما قال: «**فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به**[1]»[2].

وحقيقة المطابقة: استغراق كل حقيقة لمثلها، كالسمع للسمع، والبصر للبصر، وما أشبه ذلك، وحقيقة المخالفة: استغراق المعاكسة، السمع للبصر، والبصر للسمع، ﴿**إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [هود:56]؛ فإذا صح الوفاق فتحت الأغلاق، وبدت الأسرار، وانحلت عقود المشكلات، والله المسئول أن يفتح لنا باب القبول، وأن يوفقنا في فهم المعقول والمنقول، إنه هو البر الرحيم المنعم الكريم.

صـورة حكمية:

الخلاف موجب الانحراف بحسب الهمة، والهمة لا بد وأن تطابق مرتبة من أحب صورة التبس بها، «**والمرء مع من أحب**[3]»؛ فإذا تجردت الهمة تحققت بما

---

(1) رواه البخاري (2384/5).

(2) قال سيدي محمد وفا في العروش: وبهذا السر العظيم، والأمر الحكيم، والاتِّصافات بسرٍّ التخلُّق بالأسماءِ والصفات تسجد له سجداته، وتصلِّي له صلواته، وكذا يسبِّحه تسبيحه، ويحمده تحميده، ويمجِّده تمجيده إلى غير ذلك مما سمع فيه وأطاع وأحسن بعلم صدِّيقيَّته فيه الاتِّباع، ومَن أحبَّ شيئًا عبده، فعبادته ثمرة محبَّته، وثمرة عبادته انخلاع تجلِّي صورة معبوده عليه، وانخلاع صورة معبوده عليه ثمرة محبة المعبود لعبده.

ورد: «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي عليها»، إلى غير ذلك من الأعضاء التي هو بها.

وهذه الصورة الرحمانية التي خلقه الله على مثلها، كما جاء:

«خُلق آدم على مثل صورة الرحمن»؛ وهذه صورة علمية قادرة قدوسيَّة منـــزَّهة علوية، لا تماثلها الأمثال ولا تشاكلها الأشكال؛ وإنما هي تجلِّيات أنوار وتنـــزُّلات قدس ووقار. انظر: (العروش ص165) بتحقيقنا، طبع دار الكتب العلمية.

(3) رواه مسلم (2032/4).

تخلقت، «يموت المرء على ما عاش عليه[1]».

فجميع التنـــزلات من الآفاق الإنسانية للأفلاك الآدمية: إما بالأنماط العلمية أو العلمية، فالأول: إما على الرتق فمجملات لإنتاج لها، أو على الفتق فحقائق مفردات تفيد النتاج، مع التركيب إذا سلم من فساد الترتيب، ولهذا وقع النسخ والتبديل:

فإن كان التنـــزيل من الأفق الفؤادي فمخاطبات إلهيات، وتجليات ربانيات.

وإن كان من الآفاق العقلية فتنـــزلات ملكية، وواردات روحانية حكمية، تقضي بالتقبيح والتحسين، والتجريح والتعديل، والتغيير والتبديل، فإن تشكلت في الأشكال الفلكية، وتسطرت في الأرواح المرئية، وانجلت في المرائي البشرية؛ فيقال عليها: نبوية ورسالية، ومهبطها من الأمر الوحي، في كل سماء، حتى إلى سدرة المنتهى، وهي منتهى معراج الدقائق والأشكال، وغاية معارج عالم الخيال، ويقال عليه: جبريل وميكائيل من حيث الأقوال والأفعال، كما يقال في الآفاق العلا، وحضرة البهاء من عالم المثل الأعلى: الجلالة والرحمن[2].

---

(1) ذكره المناوي في فيض القدير (519/5)، وقال سيدي محمد في الشعائر: الخواطر هي الأرواح المجردة عن أجسام بني آدم، ترد على قلوب أمثالها، إذا استعدت لقبولها، بحكم ما تجرَّدت عليه، وشاهده شرعًا:

«يموت المرء على ما عاش عليه ويبعث على ما مات عليه».

وكل خاطرٍ له لسان وعلم وحكم وخلق ومقصد ومنحى، فمنها الإلهيات، ومنها الربانيات، ومنها النبويات، ومنها الملائكيات، ومنها الجانيات، ومنها الشيطانيات، ولكل منها ورود مختلف، قد ترد نفسانية، وقد ترد روحانية، ومن هنا يعرف الاطلاع على البرازخ الملكوتية، والله الموفق للصواب. انظر: الشعائر (ص 184) بتحقيقنا.

(2) قال سيدي علي: قال هو سيدي ومولاي: «الجلالة: تجلِّي الهو، والرحمن تمثل الجلالة، والرحيم تعين عين الرحمن في مرآة الإنسان».

واعلم أن الرحمن وجود الإنسان، والرحمانية بالإنسانية وجود العقول والأرواح والرحيم وجود آدم، والرحيمية بالآدمية وجود النفوس والطبائع والجلالة وجود الكل بما هي ذات العلم والحياة وحقائقهما، وما ثَمَّ موجود إلا وله بوجوده كل ما هو للوجود؛ لأنه الوجود في كل موجودٍ، وإن كان لا يظهر مما لَه في كل موجودٍ إلا بما يناسب ما خصص به ذلك الموجود من الخصائص المُسمَّاة بالاستعدادات هذا هو الأصلِ، وكل ما تفصَّل فمن فروعه، ولكل مقامٍ منه مقال، ولكل =

صــورة الفطرة:

استعداد محض لما صدر عن الحضرة الإلهية مطلقًا، والتمييز أصل المعارضة، هو عارض نتج عن مقدمات متفقات، بالتلبيس مختلفات، بالحقائق الوضعية، وكذلك كل عارض معارض، ولأن عرش التلبيس المنصوب على البحر، في مقابلة العرش الحق الذي هو على الماء الأول، واضع في غير المحل حكاية لما صدر عن العرش المثالي، وهو من الحضرات الإلهية، التي لا تقطع إلا بالكشف والتصريف، لا بالمسموع والتعريف، وهذا العرش الكائن على صورة حمار ظاهره، مشتمل على صورة منعكسة، موضوعة للمهنة، وباطنه على صورة الحية، المشتملة على صورة، وضعت للمنافرة، وهذه صورة الجحيم، وصورها وقعرات الحميم، وثبورها احتوت على جميع أنواع العذاب، من لباس وطعام وشراب وسلاسل وأغلال وفكاك وزبانية غضَّاب، نصبها الله حجابًا من نور عزته، وسطوة غيرته على حضرات وحدانيته، كما جاء: «**حجابه النار**[1]».

وكذلك مقابلة على صورة الخط القويم، في أحسن تقويم، ظاهره أشباح مجنحة وأرواح مصلحة.

صــورة نعيمية:

ناعمة مسلمة من الآفات، سالمة «**أرواح الشهداء في حاصل طيور خضر**[2]» وباطنه على الصورة القويمة والمرتبة الكريمة، التي خلق الله آدم على

=

مجالٍ فيه رجال، فافهم.

(1) ذكره سيدي محمد في الشعائر (ص 115).

(2) رواه الديلمي في الفردوس (238/1) بنحوه. وقال سيدي محمد وفا في النفائس: أبواب الجنة والنار لا تفتح أقفالها إلا بمفاتيح المعارف الإلهيَّة، ولأن أشخاص أنواع أجناسها الموجود فيها ما سمع عنها بحكم التعلق، مقصود على العبارة المؤدية لتصور الخارج ما يجده وجودًا أو شهودًا. ولذلك قال في تصوراتها بعد التجريد بحكمة التعلق: ﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ [يس:26]، وإشارة الشارع في ذلك أفصح بقوله ﷺ:

«**أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر يتنـــزهن بهن في الجنة**».

=

مثلها، وأوجد الأشياء كلها من أجلها، قد احتوت على كل صورة نورانية في مرتبة ربانية:

﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾ [يونس:10]، ومع ذلك هي حجاب رحمة ونعمة وكرم ومنة، على حضرات الفردانية، وحرمات الوحدانية، كما جاء: «**حجابه النور**[1]» فهي دار مقام، وموضع إجلال وإكرام؛ فلا تخرق سدتها، ولا تنقضي مدتها؛ فالحجاب الأول: حجاب محق، وتلاش، وحرق، وهذا: حجاب حق في مقعد صدق، وموضع المحق والنداء: ارفع الأنت والأنا، فحجاب الأغطاء الأسرار، وحجاب النور غطاء وجه السرور[2].

=

وفي الحديث الآخر: «**إنما نسمة المؤمن طائر تعلق شجر الجنة حتى يبعثه الله ولو نطقت البهائم لأخبرت بالغيوب**».

وهذه الأبواب في هذه الدار هي البرازخ الغيبية، وهي في الدار الآخرة حقائق ما وعد الله به وأوعد.

وانظر: نفائس العرفان (ص 126) بتحقيقنا.

(1) رواه أحمد (405/4)، وابن ماجه (71/1)، بلفظ (النور).

(2) قال سيدي محمد وفا: واعلم أن نوره يسري في الوجود على قسمين: قسمٌ غيبي، وقسمٌ شهادي بالغيبي، عموم المؤمنين من الموحدين على اختلاف درجاتهم، وبالشهادتين أهل التخصيص بمحاضرته ومكالمته، الذين تجلّى لهم عن الغيب، ورفع عنهم حجاب الشبهة والريب، فهم العارفون والصديقون، والشهداء المحققون؛ لأنه هو ليس بهذه الأسماء يسمى، ولا بهذه الكنايات يُكنى، وبما ظهر لقومٍ من وراء حجاب قوم، وظهر لآحادٍ من وراء حجاب واحد، فهؤلاء هم أشياخ زمانه، وأعيان أوانه، وبما كان هذا الظهور على رأس كل مائةٍ سبعة، كان لكل واحدٍ منهم في زمانه سبعون ألفًا، أعلام هدى، ومشارق أنوار الاقتداء، ومن هنا يفهم سر السبعِ المثاني: «إن لله سبعون ألف حجاب من ظلمة ونور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه». وفي حديث آخر: «حجابه النور».

وفي طريقٍ آخر: «حجابه النار»، و﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم:42]، وهذا هو النور الأعظم المحمدي، المحيط بجميع الأنوار، المشهود فيه حجاب كل متبوع بالمشهود والمسموع، يوم الكشف الأعظم، فمن كان له متبوع سجد لسر طاعته المتقدمة، ومن لا متبوع له فيصير ظهره طبقه، لا يستطيع السجود، فإنه لا مولى له، والله المسئول أن يشهدنا الحق بالتحقيق، ويكفينا المضلة عن سواء الطريق، ويجعلنا من أهل الاتباع لا من أهل الابتداع، ويرفعنا بالاتضاع، ولا يضعنا بالارتفاع، ثم الصَّلاة على السيد الأكمل، والرسول الأمجد الأبجل، من رفع

=

صـورة تنكير:

هي بالتسمية والشكل من المسموع والمقصور، إذا تنـــزلت الحقائق المجردة إلى عالم، تشكلت في متشابه لمناسبة العالم والأفق، كالصورة الدحيية، والتمثيل لمريم، كل ذلك تنكر، لاستخراج جوهر التصديق، الذي هو مفتاح التحقيق، هو شرطه وعلته، لا كالذين يأتيهم في غير الصورة التي يعرفونها، «فيقول أنا ربكم فيقولون: إنا نعوذ بالله منك»، ولقد جئت شيئًا نُكرًا.

ولما تنـــزلت الحضرة الإلهية في الحجابات المثلية الروحانية الملكية، إلى المشاهد البشرية النبوية، وتجلت الأسرار الفردانية في المرائي التبعية الولائية، تنكرت الأسماء والمسميات، وتحجبت الحقائق في الدقائق عن شواهد الإدراكات؛ فتنكر التعريف، ووجب التكليف، وتصرفت قوة التلبيس بصور التدليس، والحق يظهر مع التخصيص لمن شاء، ويتجلى من خلال ظلال الغمام لمن سبقت له سابقة الحسنى، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص : 68].

صـورة الحقائق:

مواد لا تتبدل ولا تحدث، وحقيقة الشيء: ما هو به، هو وحقه مرتبته التي (يحكم) [1] عليه بها، الحقيقة هي الأصل والغاية والحق، هي النسبة المستمرة بالتأييد، وهي على قسمين:

حقائق فاعل، وحقائق قابل، والحق كذلك، والجائز والمجاز نسب وإضافات صور تصورات تقع ترتيباً حكمياً، على ائتلاف حقائق أو افتراقها، وجوبًا أو عادة بالتعقيب، أو المقارنة، متوهمة في الذهن بالمعنى، متخيلة بالتشكيل، والوهم والخيال كالحقيقة والحق، هذا للانقضاء والزوال، وهذا للبقاء والاستمرار على أنهما حقيقتان،

=

الحق وعلاه، وثبت الإيمان وولاه، رسول الله وحبيبه: محمد بن عبد الله، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

وانظر: شعائر العرفان (ص 115) بتحقيقنا.

(1) في(ب): تحكم.

لكنهما هكذا يتصوران، ما لا مرتبة له في الوجود ولا مرتبة له في العدم، حقاً في الحال كأحلام مثلاً، وهما عالم الظل الممدود الذي لا ثبوت له، وما يقع جهل الشيء بنفسه عند انعكاس نظم المادة(1).

صورة التسمية:

حقيقة تقع على المسمى بالعرض، والاسم حق يقع على المسمى بالحقيقة، الأول لا اعتبار به، لأنه رسم يوصل إلى مقصود ما، والثاني معتبرًا لأنه يفيد العلم بالمعلوم عند تصوره، والمنطوق به تسمية والمفهوم منها اسم؛ إذا صح تصور

---

(1) قال سيدي علي وفا قدس الله سره: الحقائق لا تتماثل؛ لأنها في تجردها آحاد لا تتعدَّد، وإن تماثلت جزئياتها إن ثبت لها جزئيات لتمايزها بمشخصاتها، فشاهد الكل حقائق حقائق ليس لشيءٍ من شهوده مِثل.

اسمع: الحقيقة الكلية متميزة بنفسها، والحقيقة الجزئية متميزة بمشخّصها الزائد على نفسها، والأولى متعلقة بالثانية، وهي حقيقتها لكن في مرتبة تشخصها، فالأولى للثانية كحرف (ع) لحرف (غ)، لا فرق بينهما إلا النقطة الزائدة، فإن تجرَّدت عنها كانت هي هي، والحقيقة المجردة عن التعليق مفردة لا كلية ولا جزئية، متميزة بنفسها، ولا تعلق لها بتميز بزائد، فهي كحرف (ال)، والحقائق المبهمة لا تتميز إلا بزائد، فمتى فارقته تلاشت أو تناسخت، كحرف (ب) وحرف (ت)، الأولى صفات ذات، والثانية صفات فعل، والثالثة أعلام ونحوها، والرابعة فضلات.

وقال سيدي محمد في النفائس: الحقائق المطلقة خمسة: حقيقة العين، وحقيقة الغيب، وحقيقة الإحاطة، والحقيقة المشتركة، والحقيقة المعجوز عنها.

وأسباب الكثرة بروز جامع الحقائق المعلومة من غيب حقيقة الإحاطة الموجبة في بطانة، حقيقة الغيب العقول الإلهيَّة الذين هم عباد الرحمن، المؤثرون ببروز جامع القوة المحكمة من بطانة حقيقة الغيب، الموجد في ظاهر غيب حقيقة العين، النفوس المدبرة الذين هم ملائكة الملك الحق، وهم مفيضون عالم الصور والأشكال ببروز الملكة المحكمة من ظاهر غيب حقيقة العين إلى عين العين.

نفس: في كل لسانٍ قوة، وفي قوة كل لسانٍ جلالة، وفي كل جلالة قدرة، وفي قدرة كل جلالة إنسان، كما أن في قوة كل فلكٍ ملك، وفي قوة كل ملكٍ فلك، الأول بالأصل والاتصال، والثاني منفصل بالفرع الخارج الذي هو ظل الشخص القائم الثابت، كون تصوره في مرآة التخيل عند انعكاس الأشعة، كالحاصل في المرآة من الناظر فيها، فالإنسان أصل بالقوة، وكل شيءٍ فرعه بالفعل، وهو فرع كل شيءٍ من حيث صورته الجسمانية بالتولد، وكل شيءٍ هو في قوته بالجلالة خرج إلى فعله بالملكة، وارتفع إليه بعد البطون في أطوار ما ظهر عنه، كما تقدَّم بانعكاس الأشعة.

المسمى في الذهن، فهو صورة ذهنية مطابقة ماهية المسمى الخارجية، وهي الباقية المستمرة الثابتة في العالم الروحاني؛ فالخارجيات جسمانية دنيوية، والمجردات في داخل الذهن لا عن التصورات الحسية شبحية أخروية.

صــورة رسمية:

الخط المستقيم مؤتلف عند مركز القلم، وهو الضلع القائم على صورة القلم الفياض للصور بالقوة، على استعداد الخط الراقد إلينا، وهو اللوح القابل للصور المفاضة بالفعل، وكل قائم على صورة القلم[1]، وكل راقد على صورة اللوح، فاعل وقابل.

أما القلم فعلى قسمين: رحماني وروحاني[2].

واللوح على قسمين: عرشي (ومائي) [3].

والكتاب الرحماني العرشي يقال عليه: أم الكتاب لأنه لا يزول ولا يتبدل، وأسماء مكتوباته لا تتغير ولا تتحول كلام، لأنه (صفة قائمة)[4] نقطية رسمية حرفية يقال عليها: اللوح لأنها (منشورة) [5] بالشهادة، لا كالأول مطوية في عالم الغيب؛

---

(1) القلم: علم التفصيل، فإن الحروف التي هي مظاهر تفصيله في مداد الدواة ولا يقبل التفصيل ما دامت فيها، فإذا انتقل المداد منها إلى القلم تفصلت الحروف به اللوح، وتفصل العلم إلى لا غاية.

(2) قال سيدي محمد وفا في الشعائر: ولما كان هذا القلم العلام لسان الرحمن، المحيط بجميع الصور والأشكال من السبع الطرائق والأوغال، مما يرسم ويُقال، هو أصل الألسنة الناطقة، وأبو الرسل المخبرة الصَّادقة، جرت في ألواح قابلة، عن وجوداتها فاصلة، هي أمهات الأكوان في المعاني والأعيان، كلها صحائف أثرية، ووارادات خبرية، دالة على سرٍّ مضمرٍ، لا يخبر عنه ولا أخبر، ولكن تلويح أشعر لمن سمع وأبصر، ومن تجلّى وعز كان بالمستوى الأقدس على السر الأنفس، في إحاطته الجامعة، وحضرات قدسه الواسعة، يعلم السر وأخفى، ويسمع ويرى ما ظهر وما بطن في السر والعلن، حقق وعلم، «أوتيت جوامع الكلم»، كانت في أرواحه الإنسانية أقلامًا عربية، وفي الحيوانية والمعدنية عجمية وسريانية، لا بلسان حال بل هو بقول ناطق لمحقق حاذق ممن فهم قصده، وإن من شيءٍ إلا يسبح بحمده.

(3) في (ب): ومآلي.

(4) في (ب): صفة قائمة المواضع ثم الكتاب الروحاني القافي صور مكتوباتها سمية.

(5) في (ب): مسطورة.

فاللوح موضع المحو والإثبات.

صـورة آدمية:

آدم جملته جسم وروح، دفعته الأقوية الأرضية العنصرية بالملكات التدبيرية، فبدر نباتًا بوادي نعمان على صورته، ثم تولدت فيه الروح الحيوانية عن التعفين، ثم استعد لقبول الروح بخاصية الصورة، وكان الجاذب للأبوية قوة حبة البذرة، المضيئة عجب الذنب، وهي الحقيقة العرشية الكائنة على الماء، المنيِّ الذي أشار إليه صاحب الوحي في إحياء الأجسام أن السماء تمطر بهضب من قبل العرش كمني الرجال، هذا مجمله ومفصله، في سبع: الجسم والحس والعقل والقلب والفؤاد والروح، فالجسم بالمعدن، والنبات أرضي، والحس بالإدراك، والخيال سمائي، والنفس بالتدبير، والتسخير ملكوتية، والعقل بالتأثير، والترتيب كرسي، والقلب بالخلع، والتصريف عرشي، والفؤاد بالتجلي، والاختيار رحماني، والروح بالإحاطات الذاتية الإلهية. وهذا نشأة استعداد لقبول ما أضيف إليه، و(لما) [1] بلغ الاستواء والتسوية، وكان إنسانًا بحيث نفخ فيه الروح الإلهية مجملاً أيضًا، وهي مقدمة عالم الحياة، وأول مظهر من مظاهر البهاء، وهي من حيث الجملة ذات وصفات، تجلت عن أسرار الوجوب، وصفات النفس الذاتية، وحقائق الوجود، ومن حيث التفصيل: فذات الحياة القائمة بالتصاريف الفعلية، والأوضاع العلمية، وذات الكلام القائمة بالأمر والجعل، وذات الإرادة القائمة بالتميز والتخصيص، وذات القدرة القائمة بالإيجاد والتدبير ، وذات العلم القائمة بالإحاطات والتفصيل، وذات السمع القائمة بتحصيل المثل الغائية، وذات البصر القائمة بتحصيل المثل الشاهدة.

فما من الآدمية عالم وافق ودقيقة، إلا ولها من الإنسانية ذات وصفات وحقيقة؛ فإذا تنـــزلت السوابق في اللواحق، وتطابقت الحقائق والدقائق انتفى حجاب الوهم والخيال، وصدق الحال على المآل[2].

---

(1) في (أ): هنا.

(2) **فائدة:** قال الشريف ابن ناصر: فكمال العالم بالإنسان ككمال المرآة بالصقالة وكمال الجسد =

صــورة عالم القدرة:

ذات وصفات، وهو عالم تمكين وحضرة ثبوت، وتحقيق دهر بلا زمان، ووجود بلا مكان، وكثرة بلا عدد، وآحاد بلا انقسام، آحاد كلها في مرتبة الواحد، لا يقال عليها الاثنان والثلاث، والأفراد فإنها متميزة بخاصيات لا متغايرة، لأنه لا

=

بالروح، فالإنسان روح منفوخ في جسم العالم، وهو العين المقصود لله تعالى وهو المحل لظهور الأسماء الإلهيَّة والكونيَّة، وهو مرآة جامعة لصور حقائق العالم كله من ملك، وفلكٍ، وروحٍ، وجسمٍ، وطبيعةٍ، وجمادٍ، ونباتٍ، وحيوانٍ إلى ما خصَّ به من علم الأسماء الإلهيَّة مع صغر حجمه وجرمه، بل العالم كلهُ تفصيلُ آدم، وآدم هو الكتاب الجامع، فالإنسان روح العالم، والعالم جسده، فبالمجموع يكون العالم كله، فإذا نظرت إلى العالم بلا هذا الإنسان وجدته كالجسم المستوي بغير روحٍ.

قال ﷺ: كما أن الإنسان جسمٌ صغيرٌ، كذلك ملكٌ حقيرٌ من جهة الحدوث وصحَّ له التألُّه؛ لأنه خليفته في العالم، والعالم مسخَّر له مألوه كما أن الإنسان مألوه لله تعالى، وهو روح العالم.

اعلم أن الذاتي الحق لما ظهرت أعيان الممكنات في مرآة ذاته أدركها في نفسه بنوره، فلحقه المرئي بالرأي؛ حيث أدركه في ذاته، وهو واحدٌ في الوجود؛ لأن الممكنات المربية في هذه الحالة منعوتة بالعدم، فلا وجود لها مع ظهورها للرأي، كما ذكرناه.

فسمِّي هذا الظهور توحيد إلحاق: أي ألحق الممكن بالواجب، فأوجب للممكن ما هو عليه الواجب لنفسه من النسب الأسمائيَّة حتى الوجوب، ولا نقول بالغير؛ لأنه قلة الإيجاد على الإطلاق ما عدا نفسه تعالى، فالخيال موجد لله تعالى في حضرة الوجود والحق موجود للخيال في حضرة الانفعال الممثل، فإذا ثبت إلحاق الخيال في قوة الإيجاد بالحق ما عدا نفسه فهو على الحقيقة المعبر عنه بالإنسان الكامل الذي هو جلاء المرآة وروح تلك الصورة، فإنه ما تُم على الصورة الحقيقية مثله فإنه يوجد في نفسه كل معلوم ما عدا نفسه، ويسمى هذا توحيد الوصلة والاتصال وتوحيد الإلحاق، فإن توحيد الخيال مع كونه من الموجودات الحادثة صعب التصور إلا هذا الاختصاص الإلهي الذي أعطته حقيقته، فما قبل شيء من المحدثات صورة الحق سوى الخيال، فإذا تحققت ما قلناه علمت أنه في غاية الوصلة.

ومن هذا الذوق قال العارف:

رَقَّ الـــزُجَاجُ وَرَقَـــت الخمـــرُ فَتَـــشَاكَلا فَتـــشَابَه الأمـــرُ

فَكأنمـــا خَمـــر ولا قَـــدح وكأنمـــا قَـــدح وَلا خَمـــرُ

فهذه أنوار مندرجة بعضها في بعض مثل اندراج المثل في المثل، واندراج الظل في الظل، والنور في النـــور، فافهم. وانظر: مجمع البحرين شرح الفصين (ص 221) بتحقيقنا.

مغايرة فيه، كل واحد من آحاده حاصر لما في جملته، وهو وسط مختار، رحمانية كاملة، ورحمية شاملة، وجلالة محيطة، لا يقال عليه: كل. لأنه لا جزء له، ولا في كل شيء بكله، لأنه لا غير له، ولا وحدة محضة، لأن الوحدة غير موصوفة ولا حاصلة، مرئي غير مدروك، ومعلوم غير معقول، معلول الذات المطلقة، لا يقال عليه موجود، لأنه غير مسبوق بعدم، كيف والعدم علة وجوده؟! وهو الذات المطلقة التي لا يحكم عليها، وهذا مشكل إلا بتأييد الكشف، تنـــزله إلى عالم الحكمة بالتجلي، دقائق يقال عليها الروح.

صورة عالم الحكمة:

وهو عالم الأمر والخلق بالقوة والفعل، ذات زمان ومكان، وانقسام وعدد، وتصور وتحول، آحاده أفراد متميزة بخاصيات متغايرة، ذواته أجزاء كلياته، وهي صفات قائمة بكلمة الأمر (كُن) وهي غير مباشرة لجامعة آدم، وهو سبب ضعفه؛ لكنه أفراد قامت بالمباشرة؛ فإن تجردت كلماته عن الصور الكائنة، وتطابقت رقيقتها الروحانية، اندرج مجموع عالم الحكمة في جامع عالم القدرة، وقد تحصل في قوة كل كلمة صورة ما برز عنها بالفعل؛ فتصير الكلمة ذاتًا متكملة مفيضة لكلمات أمرية كذلك، ولا انقضاء لذلك، ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ﴾ [الأنبياء: 104] فإن كانت غير مطابقة فارقتها الرقيقة الروحانية، وتقيدت الكلمة بكونها وانغمست فيه، إما على الملاءمة أو على المنافرة؛ ﴿فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى : 7].

وربما سهل تحليل بعض القيود لضعف المانع، وربما وقع (الطابع) [1] بالتأييد وهو المعلق في العرش .

صـورة المحمول والموضوع:

فاعل وقابل، الأول بالقوة والفعل والثاني بالنفس والمفعول، مستودع ومستقر، والنتيجة إما على صورة المقدمة الكبرى أو الصغرى، كالذكر والأنثى، وهي على قسمين:

---

(1) في (ب): الطائع.

حمل أمر على خلق. وحمل حق على أمر.

فمحمول الصغرى، موضوع الكبرى، كالعرش والماء، والرحمن والعرش، وما كان من نتيجة العرش والماء: إما إلى العرش فإنسانيات إن كان مطابقًا، وملكيات إن لم يطابق. وإما إلى الماء فآدمياً إن طابق، (وجانيًا) [1] إن تجرد عن ذلك، وما كان من نتيجة الاستواء الرحماني والعرش كالأول: إما إلى المحمول فخليفة الواجب، وإما إلى الموضوع فنسخة المثل الأعلى.

يقال للوسط: قلب لتقلبه بين إصبعين من أصابع الرحمن، ويقال للحقيقة المائية: نفس، وللحقيقة العلوية: روح والقلب محمول على النفس، موضوع للروح، النتيجة الأولى جان، والنتيجة الأخرى ملك، وهما القرنيان الموكلان، وحقيقتهما: الإصبعان المقلبان؛ فعلى الحجاب: هما جانّ وملك، وعلى الكشف: إصبعان من أصابع الرحمن.

صــورة الظلمة والنور:

عدم ووجود.

الأول بالذات لعدم التصورات.

والثاني بالصفات لحصول تمييز المراتب.

والنور ما به البيان، ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء:12]، والظلمة محو كلي.

﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ [الإسراء:12] ومن هنا يفهم حكم نسيان الإنسان، سوابق تكرارته في العوالم النورانية والروحانية والجسمانية، من الصورية والمعنوية؛ لأن بين كل عالمين متباينين برزخ ذاتي، ظلمة عدمية كذلك إلى هذه الغاية، ومن هنا يكون برزخية وجودية نورانية إثباتية، كما كان ينتقل من نور إلى ظلمة في السوابق، ينتقل من ظلمة إلى نور في اللواحق، والأنوار عشرة:

المشاعر الخمس، والحفظ، والذكر، والفكر، والخيال، والحس المشترك، (لا

(1) في (أ): حيوانيًا

تدرك هذة الأنوار، ولا تغشى الظلمة) [1] هذه الأنوار.

والظلم المذمومة التي تعرض لهذه الأنوار هي عوارض الجهل وأصوله، وتداخل أحكام هذه الأنوار واشتراكها وتلبيس الأوهام في كثير منها، ﴿**وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ**﴾ [النور : 40].

صـورة المنابر:

المنصوبة حول العرش أو أمامه بدلاً عنه، وضعوا لاستواء خلفاء محمول العرش ناطقون بالحق، صديقية محضة، إذا تجرد عارف عن شخصه القائم، استوى على منبره الناطق. وصدّيقه العالم بحيث يشار إليه بالعين، ويدرك بالحس؛ لأن التجريد (أفاده الطمس) [2] في الغيب، والاستهلاك في الحيطة الإلهية، فلو استمر على ذلك ذهب التعريف؛ فلا بد من مظهر يسمع به ويبصر وينطق به، ويخبر:

«**كنت كنـــزاً لا أعرف فأحببت أن أعرف**[3]».

قال صاحب الوحي: «**منبري على حوضي**[4]» وحوضه القلب الواعي، فمنبره: اللسان الداعي. «**ما صب على صدري شيء إلا صببته في صدر أبي بكر**[5]».

والمنبر موضوع لخطاب الجمع في يوم الجمع، وأما الكراسي الموضوعة أمام العرش، وقد جاء المنابر والكراسي؛ فالكراسي موضع فرق واجتهاد طلبي فيما يتقيد به جمهور العامة، متوقف على نقل وعقل، وهو من مظاهر الستر، وحجاب حضرة السر سرية في بساط الحكم.

فأصحاب المنابر: خلفاء الله على خواص ملكوته وحقائق جبروته.

وأصحاب الكراسي: ورثة الأنبياء، قادة الصالحين من الأولياء، ﴿**وَاللَّهُ يَقُولُ**

(1) زيادة من (أ).

(2) في (ب): إفادة التمحص

(3) تقدم،

(4) رواه أحمد (397/2).

(5) سيأتي تخريجه.

الحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب : 4].

صـورة القدم الصدق:

(يعسوب) [1] جامع صور متماثلة، على صورته كآدم وبنيه مثلاً، وقدم الجبار جامع لصور متخالفة، فالقدم يقدم في الإيجاد، وهو الإمام (والأُمي)[2] والأمة، القائم لتقديمه بسبق الزمان والمكان، وبحيطته الكتابية المنطوية على علم الأسماء كلها والمسميات، والقيام بجميع ما يظهر عنه، وكذلك فيهم.

فآدم أبرز ما في قدمه بتخطيط (القلم) [3] الصلبي في اللوح الفرجي، والإمام الأمي الأمة يصوِّر بالقلم الناطق تصويراً بالعلم في كتاب السمع الواعي .

صـورة المعارف الإلهية:

والعلوم الربانية، والفوائد الروحانية، تصويراً بالحقيقة في الحق؛ فلا تبديل ولا استحالة ولا محال، ﴿لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾[يونس: 64]، والله على كل شيء قدير.

صـورة أرواح المحمديات:

كشفاً ومقابلة، فالكشف على قسمين: بالذات والصفات، وظلمة العدم ونور الوجود[4].

والمقابلة على قسمين: صديقية بالقوة، وصديقية بالفعل، محو وإثبات:

فالمحو مرآة الوجود، والعدم مرآة الفعل، فللصديقية في الصادق صورة تتجلى

---

(1) في (ب): عيون.

(2) في (ب): الأبي.

(3) في (ب): العلم.

(4) قال سيدي علي: البيان والكشف نور روحاني، والتعلق منه بالحقائق شمسي في تصريحه، قمري في تلويحه، ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ [الذاريات: 9]: أي يصرف عنه من ضعف عقله ورأيه وفهمه، ومن فتح عين الأعشى لعين الشمس أعماه، فلا يبصر ولا يرى إلا الظلمة المطبقة، فمن ثَمَّ لم يكن لأحد أن يصرح لضعفاء الأفهام والعقول بالحقائق إلا لحكيمٍ متمكن بدوامها بين بيته إلى أن يربيها ويقوِّيها بحكمته، ثم يدخلها في رحمته.

فما واجد بعين الشمس إلا بصيرًا، أو من أراد أن يكشف حال بصره على اليقين في عين الشمس؛ ليجعله بصيرًا بإزالة ما تحققه من ضرره.

بالفعل فيشهده بها، لا يرى غير أطواره ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُه﴾ [فاطر:10]، وللصادق في التصديق تجليات بالصفة فيها تجليه وتروحنه وتمليه:

﴿تَنـــزلُ المَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾[القدر:4]، فإما أن يفيض ما ارتفع إليه منه، بعد قلب عين، وتبديل شكل، ونسخ حكم، أو إسبال ستر، وغطاء ظهر ببطن، فيظهر الجميل، ويشهد الكمال بالتكميل، وهذه خلافة، وإما أن يفيض عليه صفة ذاته، وهي غير مزايلة لموصوفها، فلا يقال لهذا خليفة: إذا حضر الماء ذهب التيمم، فالأول به، والثاني هو.

صـورة الهُوية المرسلة[1]:

هي المتحللة من وثاق الوهم، وهي القائمة بأطوار الخلق، والمتقلبة في تطورات الكون، لا تـــزال تلبس وتخلع وتتفرق وتتجمع، حتى يفيض عنها الختام، وتُدعى بسلام: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر: 27، 28]، وهذا هو الساق المتنـــزل في أعماق الآفاق، فمن اكتسب من قواه، واستفاد تجلي صورته في مرآه، عند كشف الساق بمقابلة الوفاق، سجد في الساجدين، وانتظم مع الشاهدين، وترقى في درجات الذاكرين إلى فضا عليين، فيقرأ كتابه المرقوم، وهو صور أعماله، وأشكال أحواله وأقواله، وبالعكس للمكذبين المخالفين، الذين لا يستطيعون السجود مع الساجدين ﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ [المطففين : 7].

---

(1) قال سيدي علي في المسامع (ص 178): الحق شمس نواطق أئمة الهدى، أنوارها المرسلة منها على قوابلها، كما قال بلسانه المحمَّدي: ﴿جَاءَهُمُ الحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ [الزخرف: 29]، والمبين صفة الحق وهو الرسول، فالرسول صفة مرسله وموجده، ومرسله موصوفه ووجوده، فهو الحق بوجوده ورسوله بموجوديته الظلية.

وقال سيدي محمد وفا في الشعائر (ص 177): الحق شمس نواطق أئمة الهدى، أنوارها المرسلة منها على قوابلها، كما قال بلسانه المحمَّدي: ﴿جَاءَهُمُ الحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ [الزخرف:29]، والمبين صفة الحق وهو الرسول، فالرسول صفة مرسله وموجده، ومرسله موصوفه ووجوده، فهو الحق بوجوده ورسوله بموجوديته الظلية.

الأول: مرقوم في صفحات درجات بالقدم الصدق.

والثاني: مرقوم في طبقات دركات قدم الجبار، فقبل كمال التجريد، والتحقيق بحقائق التوحيد يقال لهذه القوة: (الحياة الغائية المتجلية في بطانة الماء بالقوة في الفعل المقيدة بفعلها المحجوبة بصنعها الهوية المرسلة وبعد كمال التجريد والتحقق بحقائق التوحيد يقال عليها الهوية) [1] السارية، وهي حينئذ الساق، وذلك أنه ما تبدو بالقوة الحياة دقيقة فعلية، إلا ويتجلى في مقابلتها- من قوة العلم المستتر خلف حجاب النور المطلق – حقيقة أمرية، فمتى تجردت الدقيقة المرسلة تحققت بهذه الحقيقة السارية؛ فيتم النظام، وتكمل (الذوات) [2] والصفات، وتحكم الأسماء والمسميات وتكون هناك صورة كلية، وحيطة أزلية أبدية، وكرة مركوزة في عمق الفضاء المطلق، ولُبّ ثمرة الفرع على صورة نواة الأصل.

صـورة الأنا:

اسم إشارة مقيد على المخبر عن نفسه بالتعظيم إلا أن ثمَّ قرينة.

والأنا على قسمين: مطلق وهو يقول بلسان الحال في كل مرتبة لأن كل مرتبة تميزت بخاصية لا يشاركها فيها غيرها فلسان تعظيم الانفراد بالخاصية يقول: أنا لا مثل ولا ند.

وأما المقيد فبأشخاص المراتب لأنها متفاوتة الدرجات فمن توهم شخص من أشخاص المرتبة بلوغ غاية درجاتها قال: (أنا)، وهي هنا لسان ربوبية.

وقد تكون بالاستعارة، وقد تكون بالتحقيق.

وأما (الأنت) فإشارة المتكلم لغيره وهو لازم الأنا وملزومه، فهو مقام عبودية، لا بقرينة، وهو لا يصحح التجريد للهوية المرسلة حتى يخرس لسان (الأنا)، و(الأنت).

---

(1) زيادة في (أ) .

(2) في (أ): الذات.

صـورة الحلول:

الحلول أول مراتب الكشف، وهو فساد بفساد، تخيل الظرفية (وصحيح) بالكيف والتشخيص، وهو على ضربين: حلول تعلق كالعلم بالمعلوم، والقدرة بالمقدور، وهو تعلق العلة بمعلولها، وحقيقة عدم المعلول بطول العلة في غيب أزليتها؛ لأنه لكل علة غيب وشهادة، من حيث حيطة الباطن والظاهر في صورة مجردة كجبريل في الصورة الدحيية، والروح الذي تمثل لمريم بشرًا سويًّا، الأول بالعلم والاعتقاد، والثاني بالكشف والاطلاع.

ويقال لحلول التعلق: اتحاد، لاستغراق إحاطة المتعلق بالتعلق، لا كاتحاد الجوهر بالعرض؛ لأنه يقوم به من الجهة المدروكة المعللة، والحقائق الأزلية غير مدروكة، ولا معللة، وحلول التجلي يقال عليه: وحدة لنفي مجاز الثنوية، ورفع حكم المعية، وهذه إحاطة مطلقة، كإحاطة الماء بالثلج المنعقد عنه[1].

---

(1) **فائـــدة مهمة:** قال الشيخ جعفر الكتاني: ذكر المتكلمون على وحدة الوجود أن هاهنا وحدات ثلاثًا:

الأولى مـــنها: وحدة كل موجود على انفراده ومعناها أن كل فرد من أفراد الموجودات الظاهرة والباطنة من حيث هو له من الله تعالى وجه خاص يلقي إليه منه ما يشاء لا يشاركه فيه أحد وله مـــنه أيضًا وجهة معينة وصفة مخصوصة لا تكون لغيره بها يتميز عن غيره من سائر المخلوقات وهذه الوجهة هي حقيقته المختصة به وصفته المخصوصة.

قـــال في «الفتوحات» في الفصل الخامس عشر من الباب الثامن والتسعين ومائة ما نصه: وأما الله تعالى فهو مع كل شيء فلا يتقدمه شيء ولا يتأخر عنه شيء وليس هذا الحكم لغير الله تعالى ولهذا له إلى كل موجود وجه خاص لأنه سبب كل موجود وكل موجود لا يصح أن يكون اثنين، انتهى.

يشير إلى هذه الوحدة وإن شئت زيادة بيان لها فقل إنه ما من عين مخلوقة إلا ولها من الله خاصية وعلامة تميزها عن غيرها من كل ما خلقه الله من الأعين من ابتداء الوجود إلى انتهائه كما أن لها منه مادة مخـــصوصة لا يشاركها فيها عين أخرى، وإن قلنا: إن هذه العين مثل هذه كزيد مثلاً مثل عمرو أو هـــذه الحبة من البر أو غيره مثل هذه فما هي مثلية حقيقية إذ كل واحد منهما لا بد له من مميز يدرك ذلك من خالطه المخالطة الخاصة أو تأمله كذلك أو فتح الله عين بصيرته وذلك المميز هو وجهه المختص به وهو حقيقته الخاصة وصفته المخصوصة فهذه هي وحدة كل موجود.

الثانية: وحدة جميع الموجودات الكونية من حيث جملتها وهي وحدته ﷺ ومعناها أن العالم كله مـــن أوله إلى ما لا نهاية له منه شيء واحد بالذات أعني نورانيته واحدة وحقيقة متحدة متضمنة =

=

لجميع الحقائق وهي نورانيته ﷺ وحقيقته المفاضة من الذات العلية فيضانًا متحدًا بالفيض الأقدس أولاً في العلـــم ثم بالفيض المقدس ثانيًا في العين والخارج وما لها من التفاصيل والوجوه والقيود والاعتـــبارات والخيالات العارضة لا يعددها ولا يكثرها كالذات الواحدة الإنسانية فإنها حقيقة واحدة لا يكثرها ويعددها ما لها من الأعضاء والحواس الظاهرة والباطنة وإن كانت متعددة، وهذا معنى ما بلغنا عن بعضهم من أنه كان يقرر وحدة الوجود فيه ﷺ وكان بعض أشياخنا ممن جمع بـــين الظاهر والباطن يومئ إليها فيقول: إذا رأى إنسانًا مقبلاً عليه أي إنسان كان مرحبًا بالنور المحمـــدي حتى صار يلقب بهذا اللقب فيقال له: النور المحمدي وكان يشير بذلك إلى أن الأكوان كلها إنما هي مظاهره ﷺ وأنوراه المتحدة بالذات، وإن تعددت بالاعتبارات، وأن وجوده إنما هو بوجوده ﷺ وإمداده المستمد من الحضرة العلية التي هي حضرة الأحدية.

وفي «الجامـــع» لأبي عـــبد الله محمد بن المشري نقلاً عن شيخه أبي العباس التجاني قال: الحقيقة المحمديـــة هي الكون بأسره فلو رفع الحجاب لم تر إلا الحقيقة المحمدية بارزة وحدها عليها أفضل الصلاة والسلام انتهى.

يريد أنها سارية فيه كسريان الماء في العود الأخضر بحيث لو زال هذا السريان لصار عدمًا محضًا في الحال قبل المآل ولو زالت هذه المظاهر التي هي الحاجبة عنها لم تر إلا هي بارزة وحدها وإلى هذه الوحدة يشير في «الفتوحات» عقب ما مرَّ عنه في الوحدة قبلها بقوله: وهو واحد فما صدر عـــنه إلا واحد فإنه في أحدية كل واحد وإن وجدت الكثرة فبالنظر إلى أحدية الزمان الذي هو الظرف، فإن وجود الحق في هذه الكثرة في أحدية كل واحد فما ظهر عنه إلا واحد، فهذا معنى لا يـــصدر عـــن الواحد إلا واحد ولو صدر عنه جميع العالم لم يصدر عنه إلا واحد فهو مع كل واحـــد من حيث أحديته، وهذا لا يدركه إلا أهل الله، وتقوله الحكماء على غير هذا الوجه وهو مما أخطأت فيه، انتهى منه بلفظه.

وقـــد ذهب الأشاعرة والمتكلمون إلى جواز استناد آثار متعددة لمؤثر واحد بسيط لأنهم قائلون بـــأن جميع الممكنات المتكثرة كثرة لا تحصى مستندة بلا واسطة إلى الله تعالى مع كونه منـــزهًا عـــن التـــركيب والحكماء منعوا هذا أعني جواز استناد الآثار المتعددة إلى المؤثر البسيط الواحد الحقيقـــي من جميع الجهات، وقالوا: إنه لا يجوز أن يستند إليه إلا أثر واحد، وقالوا في معنى ما صـــدر عـــن الواحد إلا واحد أن الحق تعالى ما خلق إلا واحدًا وهو العقل الأول، والعقل الأول أوجـــد الفلك الأول بمادته وصورته ونفسه الناطقة المدبرة له وأوجد العقل الثاني ثم العقل الثاني أوجـــد فلكـــه ومادته وصورته ونفسه والعقل الثالث، وهكذا إلى العقل العاشر، ثم خلق العقل العاشر العناصر الأربعة، والمواليد الثلاثة بأنواعها الكثيرة ونفوسها وقواها، وغير ذلك إلى ما شاء الله. هذا ما قالوا.

وحمـــل الأكثرون كلامهم هذا على الظاهر من إثبات فاعل ومؤثر غير الله تعالى عما لا يليق به وحقق المحقق الدواني في بعض رسائله أن تحقيق مذهبهم أنه لا فاعل في الوجود إلا الله تعالى وبين ذلك بالبيان الشافي فلينظر.

=

=

وأهل الله تعالى يقولون معنى ما صدر عن الواحد إلا واحد أن وجوده تعالى في أحدية كل واحد وأنـــه مع كل واحد من حيث أحديته كما قاله الشيخ الأكبر، أو أنه ما صدر عن الحق تعالى إلا واحـــد وهـــو الوجـــود المفاض من الذات العلية فيضانًا متحدًا والعقل الأول وغيره من سائر الموجودات سواء في هذا الوجود المفاض كما قاله غيره.

وقـــال العارف الجامي في «الدرة الفاخرة الملقبة بحط رحلك» في ترجمة القول في صدور الكثرة عن الوحدة: الظاهر أن الحق ما ذهب إليه الحكماء من امتناع صدور الكثرة عن الواحد الحقيقي ولذا وافقهم الصوفية المحققون في ذلك لكن خالفوهم في كون المبدأ الأول كذلك فإنهم يثبتون له تعالى صفات ونسبًا تغايره عقلاً لا خارجًا كما سبق فَيُجَوِّزُون أن يصدر عنه باعتبار كونه مبدءًا للعالم كثرة من حيث كثرة صفاته واعتباراته وأما من حيث وحدته الذاتية فلا يصدر عنه إلا أمر واحد من تلك الصفات والاعتبارات أي وهو نسبة العموم والانبساط للوجود المفاض المعبر عنه بالعمـــاء قال وبواسطته يلحقه سائر الاعتبارات وبواسطة كثرة الاعتبارات كثرة وجودية حقيقية انتهى منه بلفظه.

وقـــال صدر الدين القونوي في رسالة «مفتاح الغيب» في ترجمة فصل شريف يشتمل على علم غزيـــر خفي لطيف ما نصه: الوجود في حق الحق عين ذاته وفي من عداه أمر زائد على حقيقته وحقيقة كل موجود عبارة عن نسبة تعينه في علم ربه أزلاً وتسمى باصطلاح المحققين من أهل الله عينًا ثابتة.

وفي اصـــطلاح غيرهـــم ماهية والمعدوم الممكن والشيء الثابت ونحو ذلك والحق سبحانه من حـــيث وحـــدة وجوده لم يصدر عنه إلا واحد لاستحالة إظهار الواحد غير الواحد وإيجاده من كـــونه واحـــدًا أكثـــر من واحد لكن ذلك الواحد عندنا هو الوجود العام المفاض على أعيان الممكـــنات مـــا وجد منها وما لم يوجد معًا سبق العلم بوجوده وهذا الوجود مشترك بين القلم الأعلـــى الذي هو أول موجود عند الحكيم المسمى بالعقل الأول وبين سائر الموجودات وليس كمـــا يذكره أهل النظر من الفلاسفة بأنه ما ثم عند المحققين إلا الحق والعالم، والعالم ليس بشيء زائد على حقائق معلومة لله تعالى أولاً كما أشرنا إليه من قبل متصفة بالوجود ثانيًا فالحقائق من حـــيث معلوميـــتها وعدميتها لا توصف بالجعل عند المحققين من أهل الكشف والنظر أيضًا؛ إذ المجعول هو الموجود فما لا وجود له لا يكون مجعولاً، ولو كان كذلك لكان للعلم القديم في تغير معلـــوماته فيه أزلاً أثر مع أنها غير خارجة عن العالم بها، فإنها معدومة لا نفسها، لا ثبوت لها إلا في نفـــس العالم بها، فلو قيل بجعلها لزم إما مساواتها للعالم بها في الوجود، أو أن يكون العالم بها محـــلاً لقبول الأثر من نفسه في نفسه، وظرفًا لغيره أيضًا، وكل ذلك باطل؛ لأنه قادح في صرافة وحدته سبحانه أزلاً، وقاض بأن الوجود المفاض عرض لأشياء موجودة لا معدومة، وكل ذلك محال من حيث أنه تحصيل للحاصل، ومن وجوه أُخر لا حاجة إلى التطويل بذكرها فافهم، فثبت أنها من حيث ما ذكرنا غير مجعولة، وليس ثمة وجودان كما ذكر بل الوجود واحد، وهو مشتركٌ بين سائرها مستفاد من الحق سبحانه وتعالى.

=

=

ثم إن هــذا الوجــود الواحد العارض للممكنات المخلوقة، ليس بمغاير في الحقيقة للوجود الحق الباطن، المجرد عن الأعيان والمظاهر، إلا بنسب واعتبارات، كالظهور والتعين والتعدد الحاصل له بالاقتــران، وقبول حكم الاشتراك، ونحو ذلك من النعوت التي تلحقه بواسطة التعلق بالمظاهر انتهى المراد منه بلفظه، وقد نقله ببعض حذف منه الجامي في «الدرة الفاخرة».

وفي «لطائف الأعلام في إشارات أهل الإلهام» في الكلام على الأمر الوحداني ما نصه: هو المشار إلــيه بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر:50]، وأمره الواحد عبارة عن تأثيره الوحداني بإفاضة الوجود الواحد المنبسط على الممكنات القابلة الظاهرة به، والمظهرة إياه مــتعددًا متــنوعًا بحسب ما اقتضته حقائقها المتعينة في العلم الأزلي، وذلك لأن الحق من حيث وحــدة وجوده لا يصدر عنه إلا واحد؛ لاستحالة إيجاد الواحد من كونه واحدًا ما هو أكثر من واحــد إلا أن أرباب النظر العقلي من الفلاسفة، يرون أن ذلك الواحد هو العقل الأول، وعلى قاعدة الكشف هو الوجود العام، وينبغي أن تعلم أنه ليس المراد بالعموم أنه كلي، لا يمنع تصور مفهــومه من وقوع الشركة فيه، فإن ذلك مما لا يصلح أن يكون موجودًا في الأعيان، بل المراد بالعمــوم اشتراك جميع الممكنات في أنه هو المفاض عليها، المضاف إليها ما وجد منها، وما لم يــوجد ممــا سبق العلم بوجوده، وهذا الوجود مشترك بين القلم الأعلى الذي هو أول موجود المسمى بالعقل الأول، وبين سائر الموجودات؛ إذ ليس ثم إلا الحق والعالم، العالم ليس بأمر زائد على حقائق معلومة الحق أولاً متصفة بالوجود ثانيًا انتهى منه بلفظه.

وقــد تعرض في «جواهر المعاني» في الفصل الثالث من الباب الخامس نقلاً عن شيخه أبي العباس التجاني لإيضاح هذه الوحدة، وبيانها على مذهب القوم، وإبطال ما قاله أهل الظاهر من إحالتها، وإبطــال ما ألزموه لمن قال بها، وهو أنها تستلزم تساوي الشريف والوضيع، واجتماع المتنافيين والضدين إلى غير ذلك مما قالوه.

وحاصل كلامه: إن العالم الكبير كذات الإنسان في التمثيل، وهي إذا نظرت إليها وجدتها متحدة مــع اختلاف ما تركبت منه في الصورة والخاصية، وما ذكروه لا يلزم؛ لأنه وإن كانت الخواص متباعدة، والأحكام مختلفة، فالأصل الجامع لها ذات واحدة كذات الإنسان، سواء بسواء، وأيضًا فلوحدته وجه ثان وهو اتحاد ذاته في كونه مخلوقًا لله تعالى، وأثرًا لأسمائه وصفاته، فلا يخرج فرد من أفراد هذا العالم عن هذا الحكم، وإن اختلفت أنواعه، فإن الأصل الذي برز عنه واحد، ووجه ثالــث، وهــو اتحاد وجوده من حيث فيضان الوجود عليه من حضرة الحق فيضانًا متحدًا، ثم اختلفت خواصه وأجزاؤه بحسب ما تفصل ذلك الوجود، فإنه يتحد في عين الجملة، ويفترق في حــال التفصيل. راجع كلامه، وراجع أيضًا كتاب «الجامع» لابن المشري، فإنه تعرض فيه أيضًا لهذه الوحدة وبيانها نقلاً عن شيخه المذكور.

الثالثة: وحدة الوجود الذي به يتحقق حقيقة كل موجود، وهي وحدة الحق سبحانه، ومعناها أن الوجود من حيث هو حقيقة واحدة، وهي لله تعالى وحده لا مشارك له فيها، فهو الموجود على الإطــلاق، ووجود هذه الكائنات إنما كان باستنادها إليه، واستمدادها منه، واستنشاقها لروائح

=

الوجــود من وجوده، وإشراق شعاع وجوده عليها، فهي موجودة بهذا الوجود الذي له تعالى لا بوجود آخر ثان، فلم تكن غيرًا من كل وجه؛ لأن الغير في عرفهم هو الذي يكون له الوجود من ذاتــه، ويتصور أن يكون له بنفسه قوام، وهي وجودها ليس من ذاتها، ولا يتصور أن يكون لها قوام بنفسها.

وقد قال الشيخ الأكبر في كتاب «التجليات» له: من لم يكن له وجود من ذاته فمنــزلته منــزلة العــدم، وهو الباطل قال: وهذا من بعض الوجوه التي بها يمتاز الحق تعالى عن الخلق، وهو كونه موجودًا أعني وجوده من ذاته انتهى.

كما أنها ليست عينًا لما بين التقييد والإطلاق من تقابل التضاد، وعليه فإثبات الوجود لها توهم؛ لأنــه يــتوهم الجاهل بحالها، وحقيقتها أن لها وجودًا وفي الحقيقة ونفس الأمر ما ثم إلا وجوده تعالى؛ لأن به ظهرت الأشياء كلها، ولذا قيل:

هـــذا الوجـــود وإن تعـــدد ظاهـــرًا	وحـــياتكم مـــا فـــيه إلا أنـــتم
أنـــتم حقـــيقة كـــل موجـــود بـــدا	ووجـــودها ذي الكائـــنات تـــوهم
في بـــاطني مـــن نـــوركم مـــا لو بدا	أفـــتي بسفك دمي الذي لا يعلم
ولـــو أنـــني أبـــدي ســـرائر جـــودكم	قـــال العـــواذل لـــيس هـــذا مسلـــم

وفي «الإحياء» في كتاب التوحيد والتوكل في الكلام على قول لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

مـــا نصه: أي كل ما لا قوام بنفسه، وإنما قوامه بغيره، فهو باعتبار نفسه باطل، وإنما حقيقته، وحقيقـــته بغيره لا بنفسه، فإذًا لا حق بالحقيقة إلا الحي القيوم الذي ليس كمثله شيء، فإنه قائمٌ بذاته، وكل ما سواه قائم بقدرته، فهو الحق وما سواه باطلٌ انتهى.

وقال القاشاني في «لطائفه» في مبحث التحقيق ما نصه:

التحقيق هو رؤية الحق بما يجب له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، قائمًا بنفسه، مقيمًا لكل ما سواه، وأن الوجود بكمالات الوجود: أي التي هي القوى والمدارك، إنما هو له تعالى بالحقيقة والأصـــالة، ولكل ما سواه بالمجاز والتبعية، بل تسميته غيره غير أو سوى مجاز أيضًا؛ إذ ليس معه غير، بل كل ما يُسمّى غيرًا، فإنما هو فعله، والفعل لا قيام له إلا بفاعله، فليس هو بنفسه، ليُقال فـــيه غيرًا وسوى، فكان مرجع التحقيق أن ليس في الوجود إلا عين واحدة، قائمة بذاتها، مقيمة لتعيـــناتها، الـــتي لا يتعين الحق بها؛ لاستحالة الانحصار عليه أو التقييد، فهو تعالى الظاهر في كل مفهومٍ، والباطن عن كل فهمٍ، إلا عن فهم من قال: إن العالم صورته وهويته، فلهذا صار صاحب التحقـــيق، لا يثـــبت العـــالم ولا ينفيه: أي لا يثبت العالم إثبات أهل الحجاب، ولا ينفيه نفي المستهلكين، فافهم. انتهى منه بلفظه.

فهـــذا المعنى هو مراد أهل الله بوحدة الوجود، وبالوحدة المطلقة وغير ذلك من العبارات التي

=

يذكرها العارفون من أهل التحقيق، وليس مرادهم المعنى الفاسد الذي عند أهل الزندقة والإلحاد، وقـــد أنكـــرته عليهم علماء الأمة، وقد كشف عن هذا الشيخ عبد الغني النابلسي في رسالةٍ له سمَّاها: «إيضاح المقصود عن معنى وحدة الوجود».

وفي «الحكـــم العطائية»: الكون كله ظلمة: أي عدم صرف بالنظر إلى أصله، وحقيقة ذاته، قال: وإنمـــا أنـــاره يعـــني أظهره، وأزال ظلمة العدم عنه ظهور الحق فيه: أي تجليه عليه أولاً بأنوار الإيجـــاد، وتـــوجهه إليه ثانيًا بما يقوم به، ويدوم به وجوده من أنواع الإمداد، فلم يكن وجوده لنفسه وذاته حتى يعد وجودًا مستقلاً، وإنما كان وجوده تعالى، وبظهور هذا الوجود في الأشياء ظهـــرت، وبإشراق شعاعه عليها أشرقت على حسب ما تقتضيه طبائعها وقابليتها، واستعداداتها الثابتة في العلم، ثم قال في الحكم، فمن رأى الكون ولم يشهده فيه أو عنده أو قبله أو بعده أعوزه وجـــود الأنـــوار، وحجبت عنه شموس المعارف بسحب الآثار يعني أن من نظر إلى الكون، ولم يـــشهد الحـــق تعالى ببصيرته فيه، أو عنده أو معه كما هو حال أهل التوسط الذين يرون الله في الأشياء، أو عندها أو معها ويقولون: ما رأيت شيئًا إلا ورأيت الله فيه أو عنده أو معه أو يشهده قـــبله، كما هو حال أهل الشهود والعيان الذين يرون الأشياء بالله، ويقولون: ما رأيت شيئًا إلا ورأيـــت الله قـــبله أو يشهده بعده، كما هو حال أهل الدليل والبرهان الذين يرون الله بالأشياء، ويقولون: ما رأيت شيئًا إلا ورأيت الله بعده، كان معدودًا من أهل الظلام، محجوبًا عن الله تعالى بسحب الكون أو الجهل والغفلة والآثام، ومن شهده في كل شيءٍ أو عنده أو معه أو قبله أو بعده أو فـــيه، وعنده ومعه وقبله وبعده كان من أهل الأنوار، وممن لم تنحجب عنهم شموس المعرفة بـــسحب الآثـــار، ومن زال عنه الوهم والعناء، وكان في مقام المحو والفناء، وغلب عليه شهود الوجود الحق الحقيقي، الذي به كل شيءٍ موجود يرى الله وحده، ولذا ينفي ما عداه، ولا يثبت شيئًا سواه، ويقول: ما رأيت شيئًا سوى الله.

ومـــن قول بعضهم في الدار غيره ديار وقول آخر سوى الله والله ما في الوجود ويقول عما سواه أنـــه ظل، وأنه خيال، وأنه سراب، وأنه هالك، وأنه مضمحل زائل أو لا وجود له أصلاً، وهو صـــادق في ذلك كله؛ لأن وجود ما سوى الحق إنما هو بالفرض والتقدير، أو الوهم والتخييل، والوجود الحق الحقيقي إنما هو وجوده تعالى، ووجود ما عداه بوجوده لا بوجود آخر، مما عداه لـــيس لـــه من نفسه وجود أصلاً، فهو بالنظر إلى نفسه عدم صرف، وبالنظر إلى إشراق شعاع الوجـــود المطلـــق عليه كالظل له تابع له، والتحقق بهذا المعنى هو زبدة التوحيد، وعمدة أهل التفريد، وفي ذلك يقول قائلهم:

الله قـــل وذر الوجـــود ومـــا حـــوى	إن كـــنت مـــرتادًا بلـــوغ الكمـــال
فالكـــــــل دون الله إن حققـــــــته	عـــدم علـــى التفـــصيل والإجمـــال
واعلـــم بأنـــك والعـــوالم كلـــها	لـــولاه في محـــو وفي اضـــمحلال

=

=

مـــن لا وجـــود لذاتـــه مـــن ذاتـــه	فوجـــوده لـــولاه عـــين محـــال
فالعارفـــون فـــنوا ولمـــا يـــشهدوا	شـــيئًا ســـوى المتكـــبر المـــتعال
ورأوا ســـواه علـــى الحقـــيقة هالكا	في الحـــال والماضـــي والاســـتقبال

وقد حُكي عن الصديق ﷺ أنه كان يقول ما رأيت شيئًا إلا ورأيت الله قبله.

وعن عمر ﷺ أنه كان يقول: ما رأيت شيئًا إلا ورأيت الله بعده.

وعن عثمان ﷺ أنه كان يقول: ما رأيت شيئًا إلا ورأيت الله معه.

وعن علي ﷺ أنه كان يقول: لا نعبد ربًا لم نره يعني لم نشهده.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: «كان الله ولا شيء معه، وكان الله وحده بلا شيءٍ».

وفي «الإحياء» في كتاب المحبة والشوق في ترجمة بيان السبب في قصور أفهام الخلق عن معرفة الله تعالى ما نصه:

وأما من قويت بصيرته ولم تضعف منته: أي قوته، فإنه في حال اعتدال أمره لا يرى إلا الله تعالى، ولا يعرف غيره، ويعلم أنه ليس في الوجود إلا الله تعالى، وأفعاله أثر من آثار قدرته، فهي تابعة له فـــلا وجود لها بالحقيقة دونه، وإنما الوجود للواحد الحق الذي به وجود الأفعال كلها، ومن هذه حالـــه فلا ينظر في شيءٍ من الأفعال إلا ويرى فيه الفاعل، ويذهل عن الفعل من حيث أنه سماء وأرض وحـــيوان وشجر، بل ينظر فيه من حيث أنه صنع الواحد الحق، فلا يكون نظره مجاوزًا له إلى غـــيره، كمـــن نظر في شعر إنسان أو خطه أو تصنيفه، ورأى فيها الشاعر والمصنف، ورأى آثاره من حيث أنه أثره لا من حيث أنه حبر وعفص وزاج مرقوم على بياض، فلا يكون قد نظر إلى غير المصنف، وكل العالم تصنيف الله تعالى، فمن نظر إليه من حيث أنه فعل الله، وعرفه من حيث أنه فعل الله وأحبه من حيث أنه فعل الله، لم يكن ناظرًا إلا في الله، ولا عارفًا إلا بالله، ولا محبًّا إلا لله، وكان هو الموحد للحق الذي لا يرى إلا الله، بل لا ينظر إلى نفسه من حيث نفسه، بل من حيث أنه عبد الله، فهذا هو الذي يُقال فيه: إنه فني في التوحيد، وإنه فني عن نفسه أيضًا، وإلـــيه الإشارة بقول من قال: كنا بنا ففنينا عنا، وبقينا بلا نحن. انتهى منه، وقد نقله السيوطي أيضًا في «تأييد الحقيقة العلية».

وفي كـــلام بعـــض العارفين أبى المحققون أن يشهدوا غير الله، لما حققهم به من شهود القيومية، وإحاطة الديمومية.

وقال بعضهم: لو كلفت أن أرى غيره لم أستطع؛ فإنه لا غير معه حتى أشهده معه.

ومـــن كلام مولانا عبد السلام بن مشيش لوارثه أبي الحسن الشاذلي: حدد بصر الإيمان تجد الله تعالى في كل شيءٍ، وعند كل شيءٍ، ومع كل شيءٍ، وقبل كل شيءٍ، وبعد كل شيءٍ، وفوق كل شيءٍ، وتحت كل شيءٍ، وقريبًا من كل شيءٍ، ومحيطًا بكل شيءٍ بقرب هو وصفه، وبحيطة هي نعته.. إلى آخر ما قال.

=

=

وقال بعض العارفين: الحق تعالى منـــزَّهٌ عن الأين والجهة والكيف والمادة والصورة، ومع ذلك لا يخلـــو منه أين ولا مكان ولا كم ولا كيف ولا جسم ولا جوهر ولا عرض؛ لأنه للطفه سار في كـــل شـــيءٍ، ولنورانيته ظاهر في كل شيءٍ، ولإطلاقه وإحاطته متكيف بكل كيفٍ، غير متقيدٍ بذلك، ومن لم يرَ هذا ولم يشهده فهو أعمى البصيرة، محروم من مشاهدة الحق انتهى.

ومن كلام القطب سيدي علي وفا ﷺ:

هـــو الحـــق المحـــيط بكـــل شـــيء ... هـــو الـــرحمن ذو العـــرش المجـــيد

و الـــنور المـــبين بغـــير شـــكه ... هـــو الـــرب المحجـــب في العبـــيد

هـــو المـــشهود في الأشـــياء يـــبدو ... فيخفـــيه الـــشهود عـــن الـــشهيد

هـــو العـــين العـــيان لكـــل غـــيب ... هـــو المقـــصود مـــن بـــيت القصيد

جمـــيع العـــالمين لَـــه ظـــلال ... ســـجود لـــه في القـــريب وفي البعيد

وهـــذا القـــدر في التحقـــيق كـــاف ... فكـــف الـــنفس عـــن طلب المزيد

واعلـــم أن الإيمـــان بالله هو التصديق الجازم بوجوده أولاً، وبوحدانيته ثانيًا، وباتصافه بصفات الكمـــال اللائقة به ثالثًا، وبتقديسه عن سمات الحوادث رابعًا، وهذا التصديق له مراتب ذكر في «القوت» و«الإحياء» أنها ثلاثة وهي في الحقيقة تسعة لأن كل مرتبة من المراتب الثلاث منقسمة إلى ثلاثـــة، وذكر الغزالي في آخر كتابه: «إلجام العوام» ستة منها وهي أقسام المرتبتين الأوليين، وأمـــا المرتبة الثالثة فذكرها بأقسامها في كتابه «مشكاة الأنوار»، ونحن إن شاء الله تعالى نذكر خلاصة المرتبتين الأوليين مع التوسع في المرتبة الثالثة؛ لأنها المقصودة هنا.

فنقول: المرتبة الأولى: مرتبة إيمان العوام، وهو إيمان التقليد المحض.

وفيها ثلاث مراتب لأنه:

1- إمـــا أن يكـــون مـــستندًا إلى السماع ممن حسن فيه الاعتقاد بسبب كثرة ثناء الخلق عليه كالعلماء والأولياء.

2- أو إلى أمارة يظنها العامي دليلاً كالقرائن الشاهدة له.

3- أو غير مستند إلى شيء أصلاً كأن يسمع القول فيناسب طبعه وأخلاقه فيبادر إلى التصديق به لمجرد موافقته لطبعه.

وهذه أضعف التصديقات لأنه فيما قبله استند إلى دليل ما وإن كان ضعيفًا.

المرتبة الثانية: مرتبة إيمان المتكلمين وهو الإيمان الممزوج بنوع من الاستدلال وفيها أيضًا ثلاث مراتب لأنه:

1- إما أن يكون حاصلاً بالبرهان المحرر المستقصي لشروطه بأصوله ومقدماته.

2- أو بالأدلـــة الرسمية الكلامية المبنية على أمور مسلمة مصدق بها لاشتهارها بين أكابر العلماء

=

=

وشناعة إنكارها.

3- أو بالأدلة الخطابية التي جرت العادة باستعمالها في المحاورات والمخاطبات الجارية في العادات.

المرتبة الثالثة: مرتبة إيمان العارفين، وهو المشاهد بنور اليقين وفيها أيضًا ثلاث مراتب.

الأولى: مشاهدة أن الوجود كله لله وأنه لا شريك له فيه أصلاً لأن كل ما سواه إذا اعتبرت ذاته فهو من حيث ذاته لا وجود له بل وجوده مستعار من غيره، ولا قوام لوجود المستعار بنفسه بل بغيره ونسبة المستعار إلى المستعير مجاز محض فإذا انكشفت هذه الحقيقة للعبد بنور اليقين علم أن الوجود كله له تعالى لا مزاحم له فيه أصلاً وأن نسبته لغيره مجاز لا حقيقة.

الثانية: ترقى أصلها من حضيض المجاز إلى ارتفاع الحقيقة واستكملوا معراجهم فرأوا بالمشاهدة العيانية أن لـــيس في الوجود إلا الله وأن كل شيء هالك إلا وجهه أزلاً وأبدًا لا يتصور فيه إلا ذلك لا أنه يصير هالكًـــا في وقـــت من الأوقات لأن كل ما سواه إذا اعتبرت ذاته من حيث ذاته فهو عدم صرف، وإذا اعتـــبرت من الوجه الذي يسري إليه الوجود من الأول فهو موجود لا من وجهه وذاته، بل من الوجه الذي يلي موجده فيكون الموجود هو وجه الله فقط وحينئذ فلكل شيء وجهان وجه إلى نفسه ووجـــه إلى ربه فهو باعتبار وجه نفسه عدم، وباعتبار وجه ربه موجود، فإذًا لا موجود إلا الله ووجهه كما قال: ﴿**كُلُّ شيء هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ**﴾ [القصص: 88] يعني فليس بهالك.

وهـــؤلاء يفتقـــروا لقيام القيامة ليسمعوا نداء الباري لمن الملك اليوم لله الواحد القهار، بل هذا الـــنداء لا يفارق سمعهم أبدًا، ولم يفهموا من معنى قوله الله أكبر أنه أكبر من غيره حاش الله إذ لـــيس في الوجود معه غيره حتى يكون أكبر منه، بل ليس لغيره رتبة المعية، بل رتبة التبعية، بل لـــيس لغـــيره وجود إلا من الوجه الذي يليه، فالوجود وجهه فقط، فمحال أن يكون أكبر من وجهـــه، بل معناه أكبر من أن يقال له أكبر بمعنى الإضافة والمقايسة، وأكبر أن يدرك غيره كنه كبريائه نبيًا كان أو ملكًا بل لا يعرف كنهه إلا هو تعالى.

الثالثة: أهلها بعد ما عرجوا إلى سماء الحقيقة، ولم يروا في الوجود تحقيقًا إلا الواحد الحق وأفعاله، لكن منهم من كان له هذا الحال عرفانًا علميًا، ومنهم من صار له ذلك ذوقًا حاليًا، وانتفت عنهم الكثـــرة بالكلية استغرقوا في الفردانية المحضة واستلبت فيها عقولهم، فصاروا كالمبهوتين فيها، ولم يبق فيهم متسع لذكر غير الله، ولا لذكر أنفسهم أيضًا ، فلم يكن عندهم إلا الله ، فسكروا سكرًا وقع دون سلطان عقولهم، فقال أحدهم: أنا الحق.

وقال الآخر: سبحاني ما أعظم شاني.

وقال الآخر: ما في الجبة إلا الله.

وكـــلام العشاق في حال السكر يطوى ولا يحكى، فلما خف عنهم سكرهم وردوا إلى سلطان العقل الذي هو ميزان الله في الأرض عرفوا أن ذلك لم يكن حقيقة الاتحاد، بل يشبه الاتحاد مثل قول العاشق في حال فرط عشقه: أنا من أهوى، ومن أهوى أنا.

وهذه الحالة إذا غلبت سميت بالإضافة إلى صاحب الحالة فناء، بل فناء الفناء لأنه فني عن نفسه، وفـــني عن فنائه، فإنه ليس يشعر بنفسه في تلك الحال، ولا بعدم شعوره بنفسه، ولو شعر بعدم

=

صـورة القُبح والحُسن:

القبح والحسن مرتبتان على العادة، منظومان في العقل المستفاد[1]، والحب

=

شـــعوره كـــان قد شعر بنفسه وتسمى هذه الحالة بالنسبة إلى المستغرق بها بلسان المجاز اتحادًا وبلـــسان الحقيقة توحيدًا وانظر: «مشكاة الأنوار» لأبي حامد الغزالي، و«شرح الإحياء» للشيخ مرتضى الزبيدي في أول نصفه الثاني وفي مبحث السماع.

وفي «لطائف الأعلام في إشارات أهل الإلهام» للقاشاني بعد ما ذكر فيه الاتحاد وأنه يطلق ويراد بـــه عدة معاني ما نصه: ومنها أن يراد بالاتحاد جميع الموجودات في الوجود الواحد من غير أن يلزم من ذلك ما يظن من انقلاب الحقائق أو حلول شيء في شيء، بل المراد من ذلك أن كل ما ســـوى الحق سبحانه لا حقيقة له إلا بالحق سبحانه بمعنى أن الوجود الذي صار به كل موجود موجودًا إنما هو الوجود الواجب، وهذا منكر عند أرباب العقول المحجوبة بظلمة الأكوان، فإنهم لا يـــشاهدون وجهـــه تعـــالى في الأشياء لوقوفهم معها، وإلى وحدة الوجود المشترك بين جميع الماهـــيات المتكثرة أشار الأكابر بقولهم الوحدة للوجود والكثرة للعلم أي للمعلومات فإنها هي التي كثرت الوجود الواحد المظهر لها بها انتهى منه بلفظه.

وفـــيها أيـــضًا مـــا نصه: وحدة الوجود، يعني به عدم انقسامه إلى الواجب والممكن وذلك أن الوجـــود عـــند هذه الطائفة ليس ما يفهمه أرباب العلوم النظرية من المتكلمين والفلاسفة، فإن أكثـــرهم يعـــتقد أن الوجود عرض، بل الوجود الذي ظنوا عرضيته هو ما به تحقق حقيقة كل موجود، وذلك لا يصح أن يكون أمره غير الحق عز شأنه انتهى المراد منه بلفظه أيضًا.

وقـــال السعد في شرح المقاصد بعد أن أبطل الحلول والاتحاد ما نصه: وها هنا مذهبان آخران يوهمان الحلول والاتحاد وليسا منه في شيء.

الأول: الـــسالك إذا انتهـــى ســـلوكه إلى الله، وفي الله استغرق في بحر التوحيد والعرفان بحيث تـــضمحل ذاتـــه في ذاته وصفاته في صفاته ويغيب عن كل ما سواه ولا يرى في الوجود إلا الله، وهذا الذي يسمونه الفناء في التوحيد، وإليه يشير الحديث الإلهي:

«فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ».

وحينـــئذ فربما صدرت منه عبارات تشعر بالحلول والاتحاد لقصور العبارة عن بيان تلك الحال، وتعـــذر الكشف عنه بالمقال، ونحن على ساحل التمني نغترف من بحر التوحيد بقدر الإمكان، ونعترف بأن طريق غيرنا فيه العيان دون البرهان.

الثاني: إن الواجب هو الوجود المطلق وهو واحد لا كثرة فيه أصلاً وإنما الكثرة في الإضافات والتعينات التي هي بمنـــزلة الخيالات والسراب إذ الكل في الحقيقة واحد يتكرر على الظاهر لا بطريق المخالطة والانضمام ويتكثر في النواظر لا بطريق الانقسام ولا حلول هنا ولا اتحاد لعدم الاثنينية والغيرية انتهى على نقل شارح الإحياء والله أعلم. انتهى.

(1) قال سيدي علي وفا: الحكمة ما فيه وبه صلاح النظام، وكمال القوام، في كل مقامٍ بحسبه،
=

والبغض مركوزان في الطبع بسبب الملاءمة والمنافرة، والملاءمة والمنافرة بحسب المناسبة في الانحراف والاعتدال، والتشريع نظام الحكمة واضع في وسع الطاقة، مستصحب في صور التكليف لطائف التعريف، مسبل سطور الأحكام على حرم الحكم، وهي أسبابها التي يتوصل بها إليها، ووضعه في ثلاث صور:

صور عملية ستر على حرم حكم الأفعال.

وصورة قولية ستر على حرم حكم الأسماء.

وصورة عقدية ستر على حرم حكم الصفات الذاتية .

فمن توسل حمى الحقائق بأسبابها، وأتى البيوت من أبوابها، يوشك أن يظفر بالمراد ، وتفتح له أغلاق الأسداد، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران : 85].

=

والرحمة مبدأ الحكمة، والحكمة صبغة الحسن، والحس موافقة الاختيار، والاختيار إرادة ما يُرى أنه مصلحة، فهو لا يتعلّق إلا بما تعلقت به الحكمة، لكن تارة يكون التمييز بالوهم، فيحصل الغلط في عين المصلحة، كأن يتوهم الورم سمنة فيختاره، فاختياره لم يتعلّق في الحقيقة بالورم، ولكن بالسمنة، وإنما هو غالط في تعيين حقيقة مختاره، وقسْ على هذا كل مستحسن ما هو في الواقع مفسدة.

فإنما استحسنها من حيث زُينت لَه، فتوهمها مصلحة، والأخلاق مبادئ الأفعال الجزئية، وفضلها دائر مع استصحاب الحكمة وجودًا وعدمًا، فإن صحبتها الحكمة في الفعل فضلت، فكانت حسنى، وآثارها حسنات، وإلا فلا:

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص:68]، وبذلك ﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة:7]، ﴿هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام:102]، فالقبح عارض لمن عارض بوهمه وضع الواضع بحكمه، ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ [القلم:39]، ومن ثَمَّ جاء النهي التكليفي، فالمتوهم صنع القبح لنفسه فيما صنعه الحكيم حسنًا لمن لم يسلط عليه ذلك الوهم، حكمة بالغة: قال هو سيدي ومولاي:

وحَـــيْثُ الكـــــل عـــــني لاَ قَبِـــيحٌ ... وقـــبحُ القـــبحِ مِـــنْ حيثِـــي جمـــيلُ

فالقبح يلحق النسبة الموهومة، وهي نسبة الفعل لغير فاعله الحق؛ إذ لا غير في الحقيقة، ولا فاعل إلا الحق، والقبح عدمي كالوهم، والحسن وجودي فمِن العلم.

صــورة الطهارة:

الطهارة من الحدث شرط في صحة الصلاة، ورافعه ماء طلق، وهو ما سلمت أوصافه من التغير، وهو نور الإيمان بالله ورسله وملائكته ، سالم من شوائب الطبع، ومغيرات تحكمات العوائد، وتلونات النفوس الشهوانية، وتشكيكات العقول المعشية، فإذا سلم من هذه العلل أزال نجاسة الشرك، وهو تقرير حكم الحدث بالوهم المتخيل ضلال صور الخلق، ولا يرتفع حكم الحدث، وهو المانع إلا بتحقيق الوجوب، ولا يتحقق الوجوب إلا مع البلوغ والإدراك، وحقيقة الطهارة تقديس وهو السلوب والنفي.

وهي طهارة صغرى: إضافة الأفعال هلكًا إلى الفاعل المختار.

وطهارة كبرى: وهي نفي مرتبة الزوجية عن حضرة الواحد حكمًا لا تحكمًا، مؤكدة طهارة الوجه عن مواجهة الجهة؛ لأنه أفق الرؤساء الأربعة:

الأول: مربع عالم الملكوت، مشارق التجليات الرحمانية، والتنـــزلات الربانية، والتمثلات الروحانية مالك الحيطة الصورية، ومؤثرها بالقوة، ومدبرها بالعقل عقلها ونفسها وقلمها ولوحها وعرشها الجامع بين بصرها وسمعها.

الثاني: مالك تفريق نظمها (بالجز)، لوح المحو والنسخ مؤثر الحل والفهم مدبر النقل والرد بالقوة والفعل.

الثالث: مالك تصريف الأرزاق، مفيض نعيم الأرواح والأشباح، عين الجنة ونعيمها، وينبوع إمداد الحياة السببية بالقوة والفعل تأثيرًا وتدبيرًا محيطًا قائمًا بأرواح الشم والذوق .

الرابع: عالم أفق سدرة المنتهى، ومفيض حضرة البها ، المخبر عن حظائر العُلى ، الروح بشدة ، القوي لسان ، حضرة الحكم الناطق، وخبر حضرة خبرة الحكم الصادق، ذو التنـــزلات والتمثلات، ومرآة الكشف والتشكلات مسد الأفق المبين، والحافظ الأمين مؤثر الشرائع ومدبرها، وناسخ الملل ومكررها، ومسطر صحف المآل ومصورها، لوح البيان وقلم التبيان، وحامل أمانة الرحمن، عليهم

أفضل الصلاة والسلام.

الثاني من المؤكَدات طهارة اليدين:

وهي محل التخصيص والتقسيم، وإشارة الانحراف بالتعذيب والتنعيم، فمالك اليمين رضوان، ومالك الشمال الغضبان، قوة عذاب ونكال، طهارتهما من تداخل الأحكام، وعدوان النقض والإبرام .

الثالث من المؤكدات القدمان:

وهما محل الانقسام والخلع والتجريد وأساس العمود القائم (وقت) تقدم ذكر القدم الصدق، والقدم الجبار.

الرابع الرأس:

وهي موضع استيفاء الأحكام وإليها ينتهي حكم المدبرات المؤثرات، وفيها ترتقم أمثلة المشكلات والمصورات ومنها ينسبل الحجاب الأطلس الذي هو السرادق الأعظم الذي يستر الخط المستقيم على القدمين ، كان شعر الرأس ضرب مثل منه لأنه ما منها أفق من هذه الآفاق إلا وعليه حجاب سرادق أطلس لغيبته وحضرته وكشفه وستره كالغدار على الأذنين، الحاجبين على العينين، وكذلك هدب الجفنين، وشعر الشفتين، والعانة والإبطين والذراعين، والساقين، كل هذه سرادقات موضوعة على آفاق رفعها الله عن آفاقها حتى أظهر الكنـــز الذي لم يعرف ولها جاءت السنة المحمدية بإزالتها لموضع كشف الغطاء عن السر المغطى وكانت السنن تأكيدًا في الطهارة ونفلاً في القربات؛ فمن أتم الفرائض والسنن جوزي بجوائز الأفضال والمنن.

صـورة الماء:

الماء المطلق من الواجب، هو ما نـــزل من سماء القلب وحي بالإلهام، أو نبع من ينابيع الفكر علمًا بالنظر الصحيح من أسرار الكتاب والسنة الأول والثاني بدا له عند تعذر الحصول بعد إفراغ الوسع في الطلب، وخوف خروج الوقت صعيد من جميع أنواع التسليم ظني بالاجتهاد، أو تقليد ثقة بالغير،أو اعتقاد لوجدان رسخ في

النفس ، لا يقال عليه إن طابق فصحيح وإلا فاسد لقوله تعالى: «**أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء**[1]».

فالتيمم بالقصد الصحيح يبيح حصول المقصود؛ وإن لم يرفع مانع الحدث، لكنه حصولاً بحسب القاصد، لا بحسب المقصود، ﴿**قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ**﴾ [الأعراف:160].

وحكمة المسح، وهو من المساحة، لأنه قياس والمقيس دون رتبة المقاس عليه، وكذلك كان على النصف من المبدل منه رخصة لا عزيمة، مؤكدة الوجه واليدان فقط، قاصر لا يتعدى إلى أذن أو جبين؛ لأنه في القوة الممكنة؛ لانسحاب حكم الحدث عليه، لا مشروطه حضرة كاملة؛ فلا يكون الشرط دون رتبة المشروط إلا مع ضرورة العجز، والمشروط هو المتلقي الواعي[2].

صورة الصلاة:

الصلاة حضرة حضور المشهود مع اضمحلال رسم الشاهد، صلة بين العبد وربه[3]؛ لأنه إذا كملت عبودية العبد انجلت فيه صورة

(1) رواه البخاري (2694/6)، ومسلم (2061/4) .

(2) قال الحكيم الترمذي في علل العبودية: وأمَّا علّة مواضع الوضوء التي أمر بغسلها فإنما هي: أطرافه؛ فطرف منها الوجه لما فيه من الرأس، والسمع، والبصر، والكلام الذي يجري بالخير والشر، وطرف منها الجناحان، وطرف منها وهما قدماه.

فهذه الأطراف كأنها قوالب الطاعة والمعصية؛ وإنما أمر أن يغسل بالماء من أطرافه جانبي الطول وجانبي العرض.

فأما جانبي الطول: فالرأس والقدمان.

وأما جانبي العرض: فاليدان إلى المرفقين.

فلما لم يوصل إلى تطهير الجوف؛ أُمر أن يطهِّر أطرافه وجوانبه، ومنه اشتق اسمه.

فقيل: توضأ من التوضية.

يقال: هذا وجه وضيء، وقد نجد مثل هذا في الخُفِّ والنعل يصيبهما قذر، فيأمر بغسل ما ظهر منه، فيكون مُجزءًا عمَّا بطن منه، وكذلك المسح على الخُفِّ يجزي عن غسل القدم.

وانظر: علل العبودية (ص 29) بتحقيقنا.

(3) قال سيدي ومولاي- في بيان كيفية الصلاة في كتابه الأنور «المعاريج»:

للنفس في منازلها الطورية صلاة تختص بكل منـــزلٍ منها سفلي وعلوي، ملكي وملكوتي، =

معبوده[1].

=

جسماني وروحاني، ظلماني ونوراني، فللجسم صلاة في طوره الجسماني، وللنفس صلاة في طورها النفساني، وللصدر صلاة في طوره الجبروتي، وللقلب صلاة في طوره الملكوتي، وللروح صلاة في طورها الروحاني، وللسر صلاة في طوره النوراني، وللفؤاد صلاة في طوره الرضواني.

ثم شرع سيدي ومولاي - نفعنا الله به آمين- في شرح كيفية كل صلاة فقال ـــوأوضح وأشار وأفصح- :

فصلاة الجسم تشتمل على أوصاف من القيام، منتصبًا متوجهًا نحو الكعبة حيثما كان، في بقعة من بقاع الأرض رافعًا يديه في تكبيرة الإحرام، محركًا لسانه بدراسة القرآن، راكعًا رافعًا ساجدًا جالسًا آتيًا بصفات الصلاة الشرعية، ظاهرًا كما صلى رسول الله ﷺ في ظاهر الأمر الصلاة المشروعة التي أمر بالإتيان بها ظاهرًا، فقال ﷺ: «**صلُّوا كَمَا رأيتموني أُصلِّي**»، فتلك صلاة الأجساد.

(1) قال الحكيم الترمذي: وأمَّا علة الصلاة: فإن القيام تسليم النفس إلى الله تعالى؛ لأنه لمَّا أغفل جواره انتشرت في شهواتها ومُناها بما لم يؤذَن لها فيه، فجاء بها ليجدِّد تسليمًا؛ لأن الإسلام هو قبول العبد من ربه - تعالى - العبودية، وتسليم النفس إليه طواعية له فيما أمر به حفظ العبودية.

وهي ميثاقه الذي واثقه به، وواثق به جوارحه السبع وهي: السمع، والبصر، واللسان، والبطن، والفرج، واليد، والرِّجل؛ ولذلك سمي نبذة بالأعجمي؛ لأنه أوثقه عمَّا حرَّم عليه، وأمره مع ذلك بأداء الفرائض.

فلما قبل العقد هذا من ربه، كان قد سلم نفسه إليه: فهو الإسلام، ثم اقتضاه الوفاء بذلك إلى انقضاء أجله، فلمَّا مرَّ في شهواته فيما لا يُحل له؛ احتاج إلى أن يجدِّد التسليم، كما أنه لو نقض الأصل فارتد إلى شهوة عبادة الأوثان؛ احتاج إلى أن يجدِّد الإسلام، فكذلك لمَّا ارتدَّ إلى شهوة المعاصي؛ احتاج إلى أن يجدِّد تسليم النفس طواعية له، فجاء مصليًا، والتصلية تذل النفس.

وانتصاب العبد بين يديه، فجاء فوقف بين يديه ممسكًا عن جميع الشهوات جامعًا لهذه الجوارح بين يديه؛ كهيئة العبد الذي يريد أن يفي بما ضمن من التسليم، وأن يتدارك ما فُرط منه فلمَّا فُرط منه ما فُرط مضى على تسلميه قلبًا وفعلاً؛ ولكنه لمَّا فرَّط في الوفاء؛ احتاج إلى أن يقف بين يديه معتذرًا ممَّا فرَّط مُسلِّمًا نفسه إليه.

ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ: «**جدِّدوا إيمانكم** قالوا: بماذا يا رسول الله؟ قال: **بلا إله إلا الله**».

وعنه قال ﷺ: «**قال ربكم الأعلى: لو أن عبادي أطاعوني لأمطرت عليهم بالليل ولأطلعت عليهم الشمس بالنهار ولم أسمعهم صوت الرعد**».

فإنما احتاجوا إلى تجديد الإيمان؛ لأنه قد خلق بوله القلوب إلى الأسباب؛ لأن من صدق الإيمان أن يكون ولَهُ القلوب إلى الله - تعالى - الذي أوله الخلق إليه، فإذا ولهت إلى شيء

=

=

دونه ذهبت قوة الإيمان وطراوته فاحتيج إلى تجديده.

وقال رسول الله ﷺ: **«الإيمان حُلو نزه فنـــزهوه»**.

وكذلك قال رسول الله ﷺ لسلمان رضي الله عنه: **«قل اللهمَّ إني أسألك صحة في إيمان، وإيمانًا في حسن خلق، ونجاحًا يتبعه فلاح، ومغفرة منك ورضوانًا»**.

فلا يُسأل الصحة في الإيمان إلا من سُقم، فإذا تعلق القلب بأسباب دونه افتتن وتعلق بغير معلقه، وكان ولهه إلى غير مَن هو إليه صائر.

فإن قوله: **لا إله إلا الله**، هذه مقالة من قلب خلق وإيمان سقيم؛ فلذلك قال: **«جدِّدوا إيمانكم»**، وكذلك الإسلام.

كما أمر هاهنا بتجديد الإيمان قلبًا، كذلك أمر بتجديد الإسلام نفسًا في أن يقوم إليه معتذرًا، وقد جَمعت له جوارحك المنتشرة في شهواتك التي لم يؤذَن لك فيها فتجدِّد تسليمًا، ولم يكن انتشارك هذا نقضًا للعقدة: عقدة التسليم؛ ولكن كان نقضًا للوفاء: وفاء التسليم.

فإن هذه الجوارح السبع كانت عندك بأمانة وأُمرت بحفظهنَّ، فتوكلْت برعايتهنَّ، والراعي إذا أهمل غنمه؛ حوسب وعوقب وغرِم، فإذا أصبحت انتشرت كلُّ جارحة منك ترعى في واديها، فالسمع في وادي الاستماع للأصوات، والبصر في وادي النظر إلى الألوان، واللسان في وادي المنطق، وكذلك كلُّ جارحة.

وفي هذه الأودية سموم قاتلة من المراعي، وذئاب ضارية، وأجراف هاوية فعلى الراعي أن يحفظ غنمه حتى يخلصها من هذه الآفات، فاحتال لها بما يحتال بمثلها حتى يخلصها، وكذلك هذا الموكَّل بجوارحه يجنبها الآفات، فإن أصابته آفة عمل في تخليصها بالتوبة والاستغفار؛ كما عمل الراعي بأغنامه السبعة، فإن أصابها كسر جبَّر الكسر، وإن رعت في مراعي السموم سقاها البَادَزْهَر والترياق، وإن وقع الذئب بها أرسل الكلاب في استلاءها منه، وميَّز شربها من مرعاها؛ كيلا تعطش فتهلك.

فالمواعظ للنفوس كالشراب للأغنام؛ لأن العلم حياة القلب والنفس، كما أن الماء حياة البدن والروح، فإذا عطشت النفس عن التذكرة هلكت الجوارح، والصلوات الخمس تكفِّر السيئات.

ألا ترى إلى قوله – تعالى –: **﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ*وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾** [هود:114، 115]. وقوله – سبحانه وتعالى –: **﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾** [النساء:31].

قيل: بالصلوات الخمس: **﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا﴾** [النساء: 31].

وقيل: الجنة، فهذه علتها. وانظر: إثبات علل العبودية (ص 33) بتحقيقنا.

«**وجعلت قرة عيني في الصلاة**[1]» فصلاة العبد لمعبوده توجب صلاة معبوده عليه، «قف فإن ربك يصلي» وهي ثلاث مراتب صلاة من الله، في مرتبة الجلالة، استهلاك في وحدة، وهي صلاته على ذي الإخلاص؛ لأنه لا يطلع عليه ملك فيكتبه ولا سلطان فيفسده، وصلاة الجلالة في مرتبة المحمدية، ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة : 103] استغراق في التوحيد، وهي صلاة الله على ذي الصدق، وصلاة الله في مرتبة الملائكة، ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ﴾ [الأحزاب : 43]، وهو اصطلاح في التنـــزيه، وهي صلاة الله على ذي النية.

فالأول: جمع جمع بالوحدة.

والثاني: جمع بالاتحاد.

والثالث: فرق بالحلول المحمود لا المذموم.

مفروضها خمس: أولو العزم في خمسين للمضاعفة هم أيام الله؛ لأنهم مشارق شموس تفضيله، وحضرات أنوار أسمائه وصفاته، جامعهم اليوم الكلي: يوم الجمع خمسين ألف سنة، ذو المعارج وهو الصلاة الوسطى، بمعارجه أرواح (كشف وعقول) [2] عرفان، وهو اليوم الذي حصل فيه سجود الملائكة، لنفخة روح الأمر الإلهي، كعبة سجودهم، ومنبر خطبتهم، الصورة المثلية، (والخلقة) [3] الرحماينة «**خلق الله آدم على صورته**[4]»، وهي صلاة الله المنـــزلة على أولي العزم، وهي في الحقيقة صلاة واحدة، تبطن في أدوارها وتتجلى حين وقت الصلاة، وهي التي لبثها آدم وقت السجود، ونوح وقت الطوفان، وإبراهيم وقت الإلقاء في النار، وموسى وقت المكالمة، وسليمان وداود وقت تأويب الجبال وتسخير الريح، وعيسى وقت نفخ الروح في الطير وإحياء الموتى، ومحمد يوم جمعتهم وخاتم دوراتهم، وفيه حشر

---

(1) رواه النسائي (280/5)، وأحمد (285/3).

(2) زيادة من (أ)

(3) في (ب): الخلعة

(4) رواه البخاري (2299/5)، ومسلم (2017/4)، وابن حبان (18/13).

أيامهم بما فيها؛ «**فرأيت ربي في أحسن صورة**[1]»[2]، ثم نـــزلت في زمان نبوته

(1) رواه الترمذي (3234)، والدارمي (170/2)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (48/5)، (6/ 158)، والطبراني في الكبير (217/1)، وفي مسند الشاميين (339/1)، وأبو يعلى في مسنده (4/ 475)، والدارقطني في الرؤية (253)، (254)، (259) بتحقيقنا، وذكره ابن عبد البر في التمهيد (324/4)، من حديث ابن عباس ومعاذ بن جبل وعبد الرحمن بن عايش وامرأة أُبي بن كعب وأبي رافع مرفوعًا، مطوَّلاً ومختصرًا.

(2) قال سيدنا الشعراني: اعلم يا أخي رحمك الله أن رؤية الحق سبحانه وتعالى لا يعرف حقيقتها إلا من عرف حقيقة رؤية رسول الله ﷺ، أو غيره من الأموات، وأنه مثالٌ ينتجه الله تعالى من تلك الذات المرئية في عالم الخيال، فيرتسم في النفس بصورة المرئي، فليس مراد الرائي الصادق برؤية رسول الله ﷺ في المنام رؤية حقيقة شخصه ﷺ الموقع في قبره الشريف بالمدينة؛ فإن ذاته الشريفة منـــزَّهةٌ عن كُلفة المجيء والرواح من البرزخ إلى مكان الرائي، وربما رآه ﷺ ألف واحد في ليلةٍ واحدةٍ في ألف موضعٍ، وهو في كل موضعٍ على حالةٍ لا تشبه الأخرى، ومثل ذلك محالٌ في العقلِ، وإنْ كانت القدرة الإلهيةِ أوسع من ذلكَ، وهذا هو معنى حديث:
«**مَنْ رأني فِي المنامِ فَقَدْ رآني حقًّا؛ فإنَّ الشيطانَ لا يتمثَّل بِي**».
فلـــيس معناه أنه رأى روح النبي ﷺ ومظهر ذاته، وإنما معناه أنه رأى مثال روحه المقدَّسة، التي هي محلُ النبوة.
فإن روح رسول الله ﷺ الباقية بعد موته منـــزهةٌ عن الصورة والشكل؛ فافهم.
بخلاف المثال؛ فإنه لا يكون إلا مشتملاً على الشكل واللون والصورة، وهذا لا بدَّ منه في طريق التعريف، وإلا لم يكن يُعرف.
وكـــذلك القول في رؤية ذات الله ﷻ، فإنها منـــزَّهة عن الشكل والصورة، ولكن لا يتعقل عبدٌ معـــرفتها إلا بواسطة تخيل مثالٍ محسوسٍ في الصورة الجميلة التي تصلح أن يُمثَّل بها ذلك الجمال الحقيقـــي المعـــنوي، الذي لا صورة فيه ولا لون ولا شكل، ثم يطلق على ذلك المثال أنه حقٌّ وصدقٌ؛ لكونه واسطةً في التعريف.
ويقول النائم: (رأيت ربِّي في المنام)، وليس مراده أنه رأى ذات ربه حقيقةً، وإنما رأى مثال ذاته المتخيلة في وهمه.
فإن قيل: إن رسول الله ﷺ له مِثلٌ، والله تعالى لا مِثل له.
قلنا: هذا كلام من هو جاهلٌ بالفرق بين الْمِثْل والمثال.
فإن المثل هو المساوي في جميع الصفات، والمثال لا يشترط فيه المساواة.
وتأمَّل العقل؛ فإنه معنًى لا يماثله غيره، وكثيرًا ما يمثل بالشمس وليس بينهما من المناسبة إلا شيءٌ واحدٌ.
وهو أن المحسوسات تنكشف بنور الشمس كما تنكشف المعقولات بالعقل.
وقد ضرب الله ﷻ المثل لنوره، كما في آية النور، وأيُّ مماثلةٍ بين نوره ونور الزجاج والمشكاة
=

=

والشجرة والزيت.

وكذلك ضرب الله تعالى المثل للحياة الدنيا بالماء النازل من السماء.

وضرب رسول الله ﷺ المثل للإسلام بالقبة.

وضرب المثل للعمل باللبن، وضرب المثل للقرآن بالحبل.

فأيُّ مناسبة بين هذه الأمور وبين الأشياء المضروب لها الأمثال، ولكن لما كان الحبل مثلاً يُتمسَّك به للنجاة والقرآن يُتمسَّك به للنجاة صحَّ التمثيل به.

وقسْ عليه، وكل ذلك من باب المثال لا من باب المثل.

فكما صحَّ ضرب الأمثلة لما ذكر صحَّ ضرب الأمثلة لكل عارفٍ لذات الله التي لا مِثل لها لمناسبةٍ معقولةٍ من صفات الله تعالى.

واعلم أننا لو أردنا أن نعرف مسترشدًا سألنا: كيف يخلق الله الأشياء؟ وكيف يعلمها؟ وكيف يريدها؟ وكيف يتكلم؟ وكيف يقوم الكلام بنفسه؟.

لا نقدر نعرفه معنى ذلك إلا بما عنده من صفات نفسه، ولولا أنه عرف نظير هذه الصفات من نفسه لما فهم مثال ذلك في حق الله ﷻ.

قلت: إن المثال جائزٌ، والمثل باطلٌ؛ وذلك لأن المثال هو ما يوضِّح الشيء، والمثل ما يشابه الشيء من جميع الوجوه، وليس شيءٌ في الوجود يُماثل الحق تعالى.

فالمثال هو المرئي في الدنيا والآخرة، كما سيأتي بسطه في الفصول الآتية إن شاء الله تعالى؛ لأنه لا يصحُّ لعبدٍ أن يرى الذات المقدسة؛ لأنها تنفي بذاتها أن يكون في حضرتها سواها.

وهذا المثال هو المراد بقوله ﷺ: «**رأيتُ ربِّي في أحسنِ صورةٍ**» .

وفي روايةٍ: «**في صورةِ شابٍّ**».

وهو المراد أيضًا بقوله ﷺ: «**خَلَقَ اللهُ آدمَ عَلَى صورتِه**».

وفي روايةٍ صححها ابن النجار وأيَّدها الكشف: «**على صورةِ الرحمن**».

فإنه لا يصحُّ أن يكون المراد بذلك صورة الذات؛ لأن الذات المقدَّسة لا صورة لها إلا من حيث التجلي بالمثال، كما يشهد لذلك خبر مسلم في التجلي يوم القيامة.

وكما تجلى جبريل لرسول الله ﷺ في صورة دحية الكلبي.

ومعلومٌ أن تَمَثُّل جبريل في دحية ليس معناه أن ذات جبريل انقلبت صورة دحية، وإنما ظهرت تلك الصورة لرسول الله ﷺ مثالاً مؤدِّيًا عن جبريل ما أوحى به إليه.

ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيَالٍ سَوِيّاً**﴾ [مريم:10]، فإذا لم يستحيل ذلك في حق الملك وأن جبريل كان باقٍ على حقيقته وصفته في حال ظهوره في صورة دحية فلا يستحيل ذلك في حق الله تعالى في يقظةٍ ولا منامٍ؛ لاتفاق جميع المحققين أن المرئي مثال الذات لا عين الذات، كما تقدَّم وكما سيأتي.

ومن فهم الفرق بين المثل والمثال لم يقف في مثل ذلك، وقد أشار رسول الله ﷺ بأن الله تعالى

=

وعصر إمامته، ولم يزل هو ذلك في الانخلاع على ورثته: « **يبعث الله على رأس كل مائة رجلاً يجدد به هذا الدين**[1]» حتى إلى نهاية مدارج المعارج، ﴿**وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى**﴾[النجم:42]؛ فترجع إلى نافخها، وما عنه بانت، وتتصل الصورة بمفيضها، وما عنه انفصلت، وهذه السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتي ﷺ؛ فكما نفخ فيه الروح وأسجد له الملائكة، كان معراجهم -فيه كذلك- إلى الله ذي المعارج.

والصلوات منقسمة إلى: ليل، ونهار، ووسط مشترك، فالليل محو ظلمة ذاتية، وهو وقت خفا وستر وكتمان وسر، والنهار وقت نور وإعلان، وبيان وتبيان، والوسط المشترك نقطة جمع، ومظهر حقيقة وشرع؛ فالأول: محو بالذات، والثاني: بقاء بالصفات، والثالث: قائم بمظهر الرحمن وقت خفاء وإعلان، ﴿**قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَياًّ مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً**﴾ [الإسراء : 110]، ثم وضعت الصلاة في الأوقات السرية والعكس، كقول صاحب الوحي لِعَلي: «**بعثت مع كل نبي سرًا، ومعي جهراً**[2]».

=

مثالاً يقع التجلي فيه حتى يُعرف بقوله: «**إنَّ اللهَ خَلَقَ آدمَ على صورتِهِ**».

وذلك أنه تعالى لما كان موصوفًا بالوجود قائمًا بنفسه حيًّا عالمًا مريدًا قادرًا سميعًا بصيرًا متكلمًا كذلك ولو لم يكن الإنسان موصوفًا بهذه الصفات ما صحَّ له معرفة هذه الصفات في جانب الحق تبارك وتعالى، ولا تعقُّلها.

ولهذا ورد في بعض الكتب الإلهية: «مَنْ عَرَفَ نفسَهُ فَقَدْ عَرَفَ ربَّهُ».

ذلك لأن كل ما لم يجد الإنسان له مثالاً في نفسه يعسر عليه التصديق والإقرار به، ومن شكَّ فيما قررناه فليتعقَّل لنا شيئًا لم يخلقه الله تعالى؛ فإنه لا يقدر قطُّ على ذلك، وهذا يصلح دليلاً لمن منع رؤية ذات الله تعالى لولا ما ورد.

ثم اعلم أن الفرق بين الحق تعالى والإنسان أن الحق تعالى يتقلُّب في الأحوال، والإنسان تتقلَّب عليه الأحوال؛ إذ يستحيل أن يكون للحال على الحق تعالى حكمٌ.

وانظر: الميزان الذرية (ص 17) بتحقيقنا.

(1) رواه أبو داود (109/4)، والطبراني في الأوسط (324/6)، بنحوه.

(2) لم أقف عليه.

وفي قصة موسى والخضر إشارة تامة، والحكمة في ذلك: أن الشيء في مثله لا ينتج: «**كنت كنزاً لا أعرف**[1]»، «**وكنت في عماء**[1]».

---

(1) ذكره العجلوني في كشف الخفاء (173/2).

وقال الشيخ الكتاني: وقد كان سبحانه قبل أن يخلق هذا العالم في خفاء كنـــزيته وغيب هويته وبطونه الذاتي غير متعرف بقيد من القيود إلى من يحصل أو يأتي، فاقتضت حكمته الباهرة ومشيئته القاهرة أن يعرف المعرفة اللائقة بذاته، وأن يظهر أثر أسمائه وصفاته كما ورد في الحديث القدسي - قال في «الفتوحات»: الصحيح كشفاً، الغير الثابت نقلاً عن رسول الله ﷺ عن ربه عز وجل أنه قال ما هذا معناه - «كنت كنـــزاً مخفياً لم أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق وتعرفت إليهم فعرفوني»، انتهى.

وذكره في كتاب «الحجب المعنوية» أن الذات الهوية له بلفظ ورد في الكتب الإلهية قال الله تعالى كنت كنـــزاً مخفياً لا أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت خلقاً فتحببت إليهم بالنعم حتى عرفوني.

وفي كتاب «عقلة المستوفز» أن بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قال: يا رب لم خلقت الخلق؟ فقال له عز وجل: كنت كنـــزاً مخفياً لم أعرف، فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق وتعرفت إليهم فعرفوني.

وذكره سيدي علي وفا في كتاب «مفاتيح الخزائن العلية» وابن غانم المقدسي في كتابه «حل الرموز» وجماعة بلفظ كنت كنـــزاً لا أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت وتعرفت إليهم فبي عرفوني.

وذكره أبو زيد الفاسي في «تحفة الأكابر» أوائل الكتاب نقلاً عن الشيخ محيي الدين البوني ﷺ بلفظ: كنت كنـــزاً لا أعرف، فخلقت خلقاً فتعرفت إليهم فبي عرفوني.

قالوا: ومعنى قوله: خلقت خلقاً. قدرت أعياناً تقديرية، فتعرفت إليهم بجلالي وجمالي، ودللتهم علي، فبي مني إليهم عرفوني، وكان هذا التعريف بلسان ترجمان القدم، وهو الحقيقة المحمدية التي هي أصل الكل.

وقال الشيخ الجيلي في «كمالاته» هذا حديث صحيح من طريق الكشف، ضعيف من طريق الإسناد.

وقد أجمع المحققون يعني من أهل الله تعالى على صحته، وذكره غير واحد منهم في مصنفاته، انتهى.

فقوله: «فبي» من حيث حساب الجُمَّل اثنان وتسعون، وعدد حساب محمد كذلك.

فالمعنى من باب الإشارة فبمحمد ﷺ «عرفوني» أو المراد: فبظهوري عرفوني، وهو ﷺ أول مظهر.

وأورد بعضهم: أن الخفاء من الأمور النسبية لا بد فيه من مخفي، ومخفي عليه، لا يجوز أن يكون المخفي عليه هو الله تعالى؛ لأنه تعالى ظاهر بنفسه لنفسه عالم بذاته أزلاً وأبدًا.

ولا يجوز أن يكون هو الخلق؛ لأنهم لم يكونوا موجودين في الأزل حتى يكون الحق مخفيًّا عليهم.

وقال سيدي علي وفا: الوجود الإلهي هو العليم الحكيم، فلا علم ولا حكمة في كل مقامٍ فرقيٍّ
=

وفي الغير الحكمي تقييد؛ فمنها المثنى وهو بالذات والصفات، وهو الأصل الثابت، والثلاث وهي بزيادة الأسماء، والرُّباع زيادة في الحضر بالقوة والفعل، إمكان فرع الواجب، ثم الوتر حقيقة الواحد المحيط من كل الجهات.

صـورة طهارة البقعة:

طهارة البقعة (ما أكده) [2] محل السجود، وطهارتها إشراقها بنور ربها، وهي مقام إبراهيم، ﴿كانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً﴾ [آل عمران:67] ومقامه تسليم محض، مجرد عن التردد إلى الطبع، ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة:125] تجاه البيت الظاهر، المطهر من نجاسة الشرك؛ ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شيئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ﴾ [الحج:26] القلب بيت الرب؛ فالمقام النفس المطمئنة، والبيت القلب السليم من مفاسد الشرك، والقائمة في مقام الإسلام، وهي النفس المسلمة المطمئنة المتوجهة إلى البيت السالم، وهو القلب، وهو العقل العالم

=

بحسبه إلا منه وله، وبما هو وجود العقل النظري العارف فهو العارف والمتعرف، وحيث تعرَّف بشواهد المرتبة الإلهية إلى هذا العقل حتى أدرك ما ناسبه منها في إدراكه الخاص بمرتبته النظرية المُسمَّاة بالمعرفة، كان الله الإله بذلك هو العارف والمعروف حقيقة بما هو نفسه المرتبية حقيقة هنالك، والمعروف للمرتبة العقلية مجازًا فرقيًّا في ذلك، فهو العارف والمعروف حقيقة بما هو الوجود القابل، والفاعل للمعرفة في هذه المرتبة النظرية، وهو المعروف بما هو الفاعل فيها، والمتعرف العارف بالتعرف بما هو القابل فيها، الأول بما هو الحق القائم على خلقه، والقيوم بأمره، والثاني بما هو الخلق المتقوم بحقه، والقائم بربه، القائل ببعض نواطقه: «كنت كنـــزًا لا أُعرف»: أي حيث لم تتميز مرتبة النظر التي هي ذات الإدراك المُسمَّى عرفانًا وتصورًا وتصديقًا تمييز الفصل الفرقي الإمكاني، «فأحببت أن أعرف»: أي باقتضاء الحقائق الوجوبية مثالاتها الإمكانية، «فخلقتُ خلقًا»، هم مراتب كون العقول النظرية، «وتعرَّفت إليهم»: أي بشواهد أعيان غيوب المعاني الإلهية، «فبي عرفوني»؛ لأني وجودهم ووجود عقولهم، ووجود شواهد شهودها، وهذه الصورة الإلهية العرفانية هي التي ما تصورت في إدراك إلا عامل مدركه، مهما عامله حكمه بهذا المعروف الروح القدوس السبوح العليم الحكيم، بحسب إدراكه وتحققه به تصورًا وتصديقًا، وغلبته بحكمه عليه تخلقًا وفعلاً، فهذه هي المعاشرة بالمعروف، أعني المعاشرة بالحكمة في كل مقامٍ بحسبه.

(1) رواه الترمذي (288/5)، وأحمد (11/4)، وابن ماجه (64/1).

(2) في (أ): مأكدة.

بأحكام البدايات، المتوجهة بطلبه إلى حكم الغايات، والقيام واستقبال القبلة كطهارة البقعة وستر العورة كذلك مؤكدة، وهو على ضربين: مطلق، وهو: النظر إلى الفاعل المختار ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة:7].

والثاني: ستر القبيح في الجميل، كالإساءة بالإحسان، والأخلاق المذمومة بالأخلاق المحمودة؛ ولأن الحقيقة الإنسانية مجردة عن الصور والكيفيات والأطوار، كذلك في أصل وجودها؛ فلما حمل الأمانة ووصف بالظلم والجهل، ولبس صور العالَم؛ فكان منها: المستقيم والمنعكس، والظاهر والنجس، فأمر بطهارة الثياب، وبجميل الجلباب ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[المدثر : 4]، وهي من المؤكد أيضاً.

والنية[1] (تخصيص) [1] الفعل بتصحيح القصد من شوائب الشرك، إقرانًا مع

(1) قال الحكيم الترمذي: «باب في شأن النية»: حدَّثنا صالح بن عبد الله، حدَّثنا يوسف بن عطية عن ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ قال يومًا: «هل تدرون مَن المؤمن» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «المؤمن مَن لا يموت حتى يملأ الله مسامعه مما يحب، ولو أن عبدًا اتَّقى الله في جوف بيتٍ إلى سبعين بيتًا، علي كل بيتٍ بابٌ من حديد، ألبسه الله رداء عمله، حتى تتحدث الناس به ويزيدون» قالوا: وكيف يزيدون يا رسول الله؟ قال: «إن اتَّقى، لو استطاع أن يزيد في برِّه لزاد، وكذلك الكافر يتحدَّث الناس بفجوره ويزيدون، لو استطاع أن يزيد في فجوره لزاد».

وكان ثابت إذا حدَّث بهذا الحديث يقول: فبلغني أن رسول الله ﷺ كان يقول: «نيَّة المؤمن أبلغ من **عمله**».

حدَّثنا عمر بن أبي عمر عن نعيم بن حماد عن عبد الوهاب بن همام الحميري قال: سمعت وهبًا يحدِّث عن ابن عباس أن رجلاً قال: يا رسول الله ما أفضل الأعمال؟ قال ﷺ: «**النية الصادقة**».

وحدَّثنا عمر بن عمرو الربعي عن ابن جريج قال: قلت لعطاء: لم نية المؤمن خير من عمله؟ قال: نية المؤمن لا يكون فيها رياء فيهدرها».

وحدَّثنا عمر عن فهد بن مالك بن دينار قال: رأيت رجلاً بمكة يقول: اللهم قبلت حجَّاتي الأربع، فاقبل هذه الحجة فتعجبت منه، وقلت: كيف علمت أن الله قبلها منك؟ قال: أربع سنين كنت أنوي كل سنة أن أحج، وعلم من نيتي، وحججتُ من عامي هذا وأنا خائف أن لا يتقبَّل مني، فيؤمئذ علمت أن النية أفضل من العمل.

قال أبو عبد الله- رحمه الله-: وجدنا من طريق الاعتبار عندما مثلنا بين النية والعمل أن العمل منقطع، والنية دائمة.

وتصديقه في حديث ثابت عن أنس: «**والعمل علانية والنية سرٌّ**».

وتصديقه في حديث عطاء: «**أعمال السر مضاعفة**»، والعمل سعي الأركان إلى الله- تعالى-
=

تكبيرة الإحرام، وهي: استصغار السوى، بحيث يصدق الصغار على الأغيار، حتى يخفو عن مدارك البصيرة إما في مطلق الحيطة، وإما تحت أنوار الوحدانية، وإما بسلب التأثير والاختيار؛ فلا أعظم من المعبود ولا أوسع من المشهود! وكل ذلك مؤكد. ثم فاتحة الكتاب ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:1].

صـورة مفتاح فاتحة الكتاب:

مفتاح فاتحة الكتاب رسوم منظومة بأوزان معلومة، دالة بأوضاعها على مقصود الواضع؛ فلكل معنى مقصود عين مرسوم، ولكل غيب معلوم شكل مرقوم، أما الحروف فحقائق مفردة: سبعة متنـــزلة في الكتب الأربعة، وهي الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام.

الكتاب الأول: المعلومات الواجبة لغيرها، ﴿كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ [الواقعة : 78].

والكتاب الثاني: المثل العرشيات الواجبة بغيرها، ﴿أُمُّ الكِتَابِ﴾ [الرعد:39].

الكتاب الثالث: أشكال مجردة في صفحة ملكوت الروح، ﴿كِتَابٍ مَّسْطُورٍ﴾ [الطور : 2].

الرابع: صور مركبة في صفحة الجسم، ﴿لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج : 22]. جامعهم القرآن العظيم، بالأول والثاني والثالث والرابع ثمانية وعشرون حرفاً، يقال للأول: صفات وللثاني: أنوار السبعة -(الأول)[2] وهي سرادقات العرش-، والثالث:

=

والنية سعي القلوب إلى الله، والقلب مَلك، والأركان جنوده، ولا يستوي سعي الملك وسعي جنوده، والعمل يوضع في الخزائن والنية عنده؛ لأنه الذكر الخفي، والعمل موقوف على نهايته والنية لا تحصى نهايتها، والعمل بتحقيق الإيمان، والنية فرع الإيمان، بمنـــزلة الشجرة فيه منصوبة، فبظهور ورقها هي شجرة وليس للورق نمو، وإنما هي زينة الشجرة، والثمر من الفرع، والفرع سقياه من الأصل.

وذلك قول الله- تبارك وتعالى- في كتابه: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم:24] فالأصل هو الإيمان الذي في القلب، والنية هي فرعها الذي في السماء والعمل هو للأكل. وانظر: منازل القربة (ص 178) بتحقيقنا.

(1) في (ب) : تلخيص.

(2) في (أ): الأوعال.

السبعة الأرواح الأمرية السماوية، ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت:12]، والسبعة الأرضية، اللطائف الجسمانية.

القلم المتكلم الأول، والثاني القائل، والثالث الناطق، والرابع المتحدث، كلام وقول وتعلق وحديث، كلٌّ فياض ناظم، قائله سميع حافظ، «**اكتب عملي في خلقي**[1]»؛ فالتسبيع بالربوبية، والتربيع بالرحمانية، كتب الله خلفاؤه، تربيع كل واحد بذاته.

الأول بالأول، والآخر والظاهر والباطن، هذا خليفة بالوجوب.

الثاني تربيعه: «**سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**»، وهذا خليفة بالإيجاب.

الثالث تربيعه: جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل، وهذا خليفة بالجعل.

الرابع تربيعه: بالماء، والنار، والتراب، والهواء، وهذا خليفة بالخلق المحيط.

الخامس بالجمع : «**إن هذا القرآن أنـــزل على سبعة أحرف**[2]»[3].

هذا تنبيه بالكتب الخمسة إلى حقائق أولي العزم، مفتاح فاتحة الكتاب:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[الفاتحة :1]، الاسم هنا كناية عن الهواء الذي هو الذات المطلقة، التي لا يحيط بها العلم، ولا يشير إليها الفهم إلا توهمًا بوجه ما،

---

(1) لم أقف عليه.

(2) رواه البخاري (1909/4)، ومسلم (560/1).

(3) قال سيدي علي: فظاهره قد سمعته من ألسنة العلم الظاهر ومن باطنه أن الروح المحمدي كلمة، أحرفها الأرواح التي هي أولو العزم من الرسل السبعة: آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وداود، وسليمان، والمسيح، وهذه التسامي بالأحرف المرادة منها هي أحرف (محمد)، فالميم الأولى منه لمن الميم أول اسمه: موسى، مسيح، وبدأ بها لموضع التشريع، والحاء لنوح، والميم الوسطى وهي الأولى من المدغمة لسليمان، والثانية منها وهي الأخيرة لآدم وإبراهيم، والدال لداود، وعلى هذه النواطق أنزل ما أنزله المتكلم بالناطق المحمَّدي الذي هو كلمة هم أحرفها، ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: 196]، مفرقًا برقائق، وهو هنا مجموعًا بحقائق، والكلمة هي كل أحرفها، فالناطق المحمَّدي الجامع لهذه النواطق الربَّانية هو كلها، وهو الكافي الشافي في هذه الدائرة، ﴿أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: 51]، ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: 36] بلى ﴿وَكَفَى اللَّهُ المُؤْمِنِينَ القِتَالَ﴾ [الأحزاب: 25]، فافهم.

لأنه لا يحكم عليها، وإن كانت معروفة، بل أعرف المعارف، لأن حقيقة المعرفة غير حقيقة العلم؛ فكلٌ متعلق بمتعلق غير مكيف، ولا محدود ولا محصور، ولا متميز ولا يغاير شيئًا، ولا يماثل ولا يقال عليه يغاير، ولا يماثل هذا متعلق المعرفة والمعلوم بخلاف ذلك، والجلالة ذات التجريد، موصوفة بالذات، والرحمن ذات موصوفة بزيادة، والرحيم ذات سلوب، قابلة للتجليات الرحمانية، وكل هذا ولا تعداد بشخص، ولا تميز بفضل، ولا فرق، وإنما هي حقائق جمع الأزل والوجوب.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة:2] فاتحة الكتاب، الحمد: نور الفرق، وفتق الرتق، ومشكاة الحق، ومرآة صور الخلق؛ فتعيين الكلمة في الحمد بالتمييز[1]،

(1) والحمد عند هذه الطائفة إظهار صفات الكمال، ولا كمال إلا للحق تعالى سواء لوحظ بعين الجمع أو الفرق، وكذلك مظهر لها الكمال جمعًا وفرقًا.
قال النبي ﷺ: «**لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**».
وثنائه تعالى على نفسه هو إظهار كماله بتجليه وظهوره في المظاهر على هذا النمط الكامل والنظام المشاهد، وهو مصدر بمعنى الفاعل أي: الحامدية، أو بمعنى المفعول أي: المحمودية أي: الحاصل بالمصدر أي: الهيئة التي عليها الحامد أوالمحمود عند تعلق الحمد به، أو نفس المصدر أي: النسبة، وعلى التقادير الثلاثة فاللام فيه إما الجنس أو الحقيقة أو الاستغراق.
فالأقسام تسعة حاصلة من ضرب الثلاثة في الثلاثة، فإن كل من لام الجنس والحقيقة والاستغراق يحتمل فيه معاني الحمد الثلاثة، والله علم الذات المجردة عن جميع النسب حتى عن التجريد، أو غير ذلك من المعاني التي سبقت للفظ الجلالة وهذا المعنى أنسب بالمراد، والمعنى الثاني أولى من المعنى الثالث، والله أعلم وهو يقول الحق ويهدي السبيل.
فالمعنى جنس الحامدية، أو المحمودية، أو الحمد على تقدير أن يكون اللام للجنس، أو الحقيقة المطلقة الشاملة لكلٍ حامدية أو محمودية أوحمد المعبر عنها بلفظ الحمد على تقدير كونها للحقيقة، أو كل فرد من أفراد الحامدية أو المحمودية أو الحمد من أي حامد صدر، وعلى أي محمود وقع على تقدير كونها للاستغراق خالص مِلكًا واختصاصًا واستحقاقًا للذات البحت المعراة عن النِّسب والاعتبارات، وقيل: بعدم الفرق بين لام الجنس والحقيقة، ومن لاحظ الحمد بعين الجمع واستهلاك المظاهر في الظاهر لا يقدر أن يُحمِّله على الاستغراق؛ إذ لا تعدد في الجمع، ومن لاحظه بعين التفرقة فيُحمِّله الاستغراق أيضًا بتأويل أنه خالق جميع المحامد ومالكه، وإلا فلا يقول: أن الحامد هو الله، والمحمود أيضًا هو الله في صورة (حمد زيد عمر) لا في مرتبة الإطلاق ولا في مرتبة التقييد، بل في الصورة المذكورة.
يقول: إن الحامد (زيد) والمحمود (عمر)، فلو قال: كلُ أفراد الحمد مثلاً لله بلا تأويل يلزم أن يكون حمد زيد لعمرو حمد لله لا حمد زيد، ويكون الحامد حقًا هو تعالى لا زيد، وأن يكون =

سبحه صورة تجلي الرب بالفعل، يسبح تسبيحًا متكررًا، أول لا آخر له، ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء:44] والباء ظرفية، والحمد سر الكثرة، وهو السميع المطيع الأمر، الذي إذا أراد الرب شيئًا قال: ﴿لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[يس:82]، وصور الموجودات فيه بالسوى، لا التسوي، والعالَم: كل موجود ما سوى الله.

الربُّ: الفاعل فيه، حق متمكن في خلق متلون، وتمكينه بالرحمانية الرحيمية المتقدم ذكرها؛ لكن هي هناك عينيته، وهنا غيبيته، ومعنى عينيته: تنخلع على أعيان مخصوصة من ذات الحمد[1]، والمخلوعة عليه يكون ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة:4] ويوم الدين:

=

المحمود هو تعالى لا عمر، وهو ينسب القائل بهذا إلى الكفر والزندقة، فلا يمكن له الحمد المذكور إلا بالتأويل بأنه تعالى خالق لكلٍّ أفراد الحمد أو مالك أو صاحب، ومن لاحظه بعين جمع الجمع، وهو أن يرى الوحدة في عين الكثرة والكثرة في عين الوحدة، فلا تحجبه الكثرة عن الوحدة كأهل الفرق، ولا الوحدة عن الكثرة كأهل الجمع، فهو يحمل (ال) على الجنس، والحقيقة والاستغراق بلا تأويل، فعنده الحمد كله لله، وليس كله لله بخلاف من كان في الجمع فإن الحمد كله لله لا غير، ومن كان في الفرق فإنه يقول: بالبعض لله، وبالبعض الآخر لما سواه إلا بالمذكور، فحقًا يكون كمن في الجمع في إثبات جميع أفراد الحمد من حيث الخلق لله لا غير، وكمن في جمع الجمع من حيث إثبات الحمد لغيره تعالى أيضًا.

وفي الحقيقة لا كمال إلا كماله، ولا مظهر له إلا هو جمعًا أو فرقًا، فهو الحامد في كلٍّ مرتبة من مراتب الإطلاق والتقيّد، وهو المحمود لكلٍّ فضيلة لا حامد سواه ولا يحمد أحد إلا إياه.

واعلم أن هذا الحمد على لسان الحقيقة إشارة إلى حمده الأزلي نفسه بنفسه؛ لأن كل موجود ممكن إشارة إلى ما كان في الأزل في باطن علمه تعالى، وهو شامل للشكر والمدح أيضًا، فهو الشاكر والمداح أيضًا.

وقال صاحب «مرآة الأرواح»: حمد الله تعالى ذاته في الأزل بالوحدانية، وصفاته بالكمالية وشكر الذات على نعمة الوجود، والصفات على نعمة بذل الوجود بالجود، ومدح الذات بنفي جميع الذوات في الوجود، والصفات على بذل الأوصاف لكلٍّ ممكن وموجود، وأفنى بها فيها أي: في صفاتها، وهذا الحمد وإن كان مطلقًا باعتبار إضافته إلى حضرة اسم هو أحدية جمع جميع الأسماء الإلهية وهو الله إلا أن حال الحامد يُقيِّده بحضرة خاصة من حضرات الأسماء الإلهية؛ إذ الحمد لا يكون إلا من تلك الحضرة الخاصة.

(1) قال الشيخ إسماعيل حقي: لم يقل: الحمد لرب العالمين الله؛ لكون الربوبية تلو الأُلوهية دون العكس؛ فإن الأُلوهية كالسلطنة، والربوبية كالوزارة، فالسلطان مُظهر الاسم الله؛ لكمال جمعيته، والوزير مُظهر الاسم الرب؛ لكونه في مقام التربية للعالمين؛ كالروح والعقل، فإن القوى

=

العقل الإنساني الذي فيه تتصور صور الملل والأديان، وتحشر أشكال الأقوال والأفعال(1).

ولكل إنساني يوم ديني، وحقيقة قابلة لتجلي الرحمن الرحيم، في صورة مرآتها، مالم يعرض مانع فيقوم في يوم دينه ديانًا على صور أفعاله وأقواله، وصور حقائق جسمانيته وروحانيته وجميع عوالمه، **﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾** [الأنعام: 38]؛ فإن عرض عارض أو منع مانع حشر معينًا في صورة مربوب مغاير لربوبيته، تحاسبه وتناقشه وتجازيه بمثاقيل الدُّر **﴿كَفَى بِنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾** [الإسراء: 14] .**«من عرف نفسه فقد عرف ربه»**.

(**وَإِيَّاكَ**) ضمير مضاف إلى نفسه، منكر لا يعرف بغيره، مطلق لا يقيده سواه. مفهوم **﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾** [الفاتحة:5] (2) قيام العبد بالمعبود؛ فلا يتعين

=

والأعضاء إنما تقومان بهما، وبهما كمال ترتيبهما، فكما أن تعيُّن الروح قبل تعيُّن ما دونه؛ فكذا تعيُّن الأُلوهية، ونظير ذلك الشمس مع القمر، فإن الشمس أقدم في الوجود؛ كتقدُّم الأب على الابن(1).

والحاصل: إن الأُلوهية باطن الربوبية، فالأولى مظهر الاسم الباطن، والثانية مظهر الاسم الظاهر، وكذا الحق باطن الخلق، والشمس باطن القمر، والأب باطن الابن، والروح باطن الجسم، فالظاهر مرآة الباطن في كل ذلك؛ وإنما جعلوا الرب الاسم الأعظم أيضًا، وفي مرتبة الجلال من حيث جمعيته؛ لأن الأُلوهية والربوبية لا تختصان بألوهية بعض دون بعض، وبربوبية بعض دون بعض، وباسم دون اسم، وبلطف دون قهر وبالعكس، فللسلطان الجمال والجلال، وللوزير التربية بكل من اللطف والقهر، فجمعية السلطان إنما تظهر في المراتب التي دون السلطنة فاعرف ذلك.

(1) قال الشيخ حقي: دلَّ نداء الحق على أن اليوم في الأصل كان يومًا بلا ليل، ثم ظهر الليل بحسب الأجرام النيِّرة وغروبها، وكذا هو يوم واحد في الفرع بلا ليل؛ لأن الآخرة لا ليل لها.

وفيه إشارة إلى أن الدنيا والآخرة ملك لله تعالى ليس لغيره في ذلك الملك يد إلا بطريق الخلافة والعارية، فإن الدين المجازاة، وهو جارية في الدَّارين، فهو تعالى مالك يوم الدنيا، ويوم الآخرة، ومالك المجازاة فيهما، فظهر أن قيامة العارفين دائمة؛ لكونهم مع الله تعالى في كل نَفس من الأنفاس، ومحاسبون أنفسهم في كل لحظة من اللحظات، فهم مملوكون لله تعالى؛ لأنهم أحرار عمَّا سواه تعالى، وقائمون لربهم بالخدمة في كل حين.

(2) وقال الشيخ حقي: أراد بالعبادة المبنية على التوحيد، فإن العبادة بلا توحيد عبادة المشركين، فلا تعود إلى الله، وإنما تعود إلى الآلهة الذين اتَّخذوها معبودين من دون الله، دلَّ على هذا تقديم

=

بالفرق وإن تعين في نفس الجمع، وهو أقرب إلى الهو من الأنا والأنت.

ومن هنا يعرف قيام المعبود بالعبد، وقيام العبد بالمعبود، وهو تخصيص الربوبية بعد العموم، ولها في كل مرتبة خاصية.

وكذلك العبودية: تقول عبد الله،وعبد الرحمن،وعبد الرحيم، وما أشبه ذلك.

وتقول في الربوبية: رب إبراهيم، ورب موسى، ورب محمد، والعبودية والربوبية بحسب ما أضيف إليه، والهداية دلالة الشيء به عليه، «**فبي عرفوني**[1]»، وهو حق اليقين، لا كالإرشاد، لأنه دلالة بالإمارة والعلامة إخبارًا، وهو علم اليقين، وهذا علم، والثاني معرفة وهو ﴿**الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾ [الفاتحة:6]، واستقامته خلوة عن الاحتمال والتجويز، والتشكيك والترجيح.

وحقيقة الصراط: هو السبيل الموصل إلى المقصود، برزخ بين المتروك والمطلوب، وهو وطن الابتلاء والاختبار؛ فمن ثبت عند الزلازل، وصبر عند المعارضات، واحتسب عند الفتن والمحن التي تعرض للسالكين، وتسلط على الطالبين، كان مع الراسخين الصادقين، ﴿**وَاللَّهُ يَقُولُ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ**﴾ [الأحزاب: 4].

المضاف الثاني بدل، لأنه صراط نعمة على متن الجنة، والنعيم سالم أيضًا من معارضات الابتلاء؛ لأنها قد تشغل عن المنعم، لا كالصراط الأول، الذي على متن جهنم، والنعمة على قسمين: ظاهرة وهي خلعة «**خلق الله آدم على صورته**[2]» وشمرتها: «**كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به**[3]».

وباطنه وهي « **لم تسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن**[4]»

=

المعمول الدال على القصر، فإذا كانت العبادة مخصوصة به تعالى؛ كانت الاستعانة أيضًا كذلك، إذ لا يستعين المرء إلا بمعبوده.

(1) تقدم تخريجه.

(2) تقدم.

(3) تقدم.

(4) ذكره العجلوني في كشف الخفا (129/2)، والقاري في المصنوع (164/1).

=

وشرتها: «**كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان**»[1].

فإذا صحت الهداية ارتفع الضلال؛ وإذا ثبتت النعمة انقضى الغضب؛ فالضلال تيه في ميادين الحيرة، والغضب مانع عن مقر الرحمة وموجبها، وهو سلب الستر الرحماني، والسر الإلهي: «**من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه**[2]».

والغفر: الستر، وكذلك الكفر: ستر.

فكل ستر بالله وأسمائه غفر.

وكل ستر بالشيطان كفر وضلالة، وهذه حقائق السبع المثاني تثنى في كل صلاة، بل في كل ركعة وجوبًا، والصلاة: عبارة عن حيطة الكمال.

صورة التمثل:

وهي أم الكتاب، لاشتمالها على صور سوره، وحقائق معانيه، ومفتاحها: ﴿**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾ [الفاتحة:1] المفيض فيها والقيوم عليها، وهي له كاللوح للقلم، أو كحواء لآدم، ومنه: ﴿**وَلِلَّهِ المَثَلُ الأَعْلَى**﴾ [النحل : 60].

الركوع والسجود مؤكدان، وهما من هيئات الملائكة؛ فالراكعون من الملائكة قائمون على صور المسخرات من الأجسام الحيوانية، وكذلك الساجدون؛ ﴿**فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ**﴾ [النور: 45].

وكذلك صور النبات والمعدن؛ فهي أشكال مالكة، وأفلاك دائرة، ﴿**لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ**﴾ [التحريم : 6]، وهم المسبحون بحمده ﴿ **وَلَهُ يَسْجُدُونَ**﴾

=

فائدة: قال سيدي محمد وفا: والأرض مخصوصة بخليفة من ليس بمحيز بسماءٍ ولا أرضٍ فانتفى النـــزول عن غيره وفي غيره بما وجب به من القول الفصل والخبر الصدق بالنبأ الحق، فلا تبديل ولا تغيير، وإن اشتبه ذلك في أذهان القاصرين مفهومه على عقول الحائرين.

(1) رواه البخاري (1166/3) نحوه.

(2) رواه البخاري (370/1)، ومسلم (307/1).

[الأعراف: 206].

ومنهم: المستغفرون لمن في الأرض.

وأما الصافون والحافون والكروبيون والروحانيون: هؤلاء من الأشكال الغائبة، والأمثال المحتجبة في آفاق العقول، والأرواح المباشرة لعالَم العرش، وحجب الجلال والعزة.

السلام: تحليل التحريم مؤكد من السلامة، عن اليمين والشمال، والثاني: دون رتبة الأول، والنجاة منه، ولأنه ما ماحقه التكبير، وأفناه إعادة التسليم وأبقاه، والتسليم مشهد الجمال في كل حال. **﴿لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلاَ تَأْثِيماً إِلاَّ قِيلاً سَلاماً سَلاماً﴾** [الواقعة : 25 - 26]، **﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ﴾** [يونس : 10].

أما التحية: (فنص) [1] الأربعة، وإرسال الواحد (هيأته) [2]، لأنه المقصود من غاية الصلاة، وبحقيقته يصح السلام والتسليم والسلامة، فالتشهد خطبة القادم على الحضرة الإلهية من سفر الإسراء، وذلك عند الكشف بتحقيق إضافة الكل للجلالة، وذلك لما انكشف عالم الملك بروح المعراج، انجلت في مرآة بصر بصيرة الهمة المحمدية أشكاله الملكية المسخرة والمذللة في محض التسليم والانقياد، فلما كان بالملكوت انكشف له نور المعراج؛ فتجلت في مرآة بصيرته أشكال ملائكته المدبرات والمبدعات؛ فلما انتهى إلى سدرة المنتهى انجلى له بصيص الرفرف الأخضر؛ فتجلت في مرآة عقله السليم أشكال المؤثرات والمخترعات؛ فلما استوى إلى المستوى الأسنى، وارتفع له حجاب البهاء من الشديد القوي، انجلت في مرآة قلبه العليم حضرة الأسماء الحسنى في حيطة الصفات العلا، وانحلت أزرار الأنوار عن سريرة الأسرار، وتجلت الجلالة في مقام حيطتها؛ فرأى الكل بالله، وله؛ فأضافه بـــ«**الطيبات والزكاة والتحيات والصلوات لله**» **﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾** [السجدة:7]؛ فجوزي بأحسن منها: «**السلام عليك أيها النبي ورحمة الله**

---

(1) في (أ): قبض .

(2) في (ب): هيامه .

وبركاته[1]».

ولأنه لما كان (نبي) [2] الحضرة الربانية، وولي الحيطة الإلهية، ورسول التجليات الرحمانية، موحداً فيهم غير مشارك.

جوزي بالسلام لسلامته فيما نبأ به، وأنبأ به، من الشبهات الظنية والتجليات الوهمية، والمغلطات الفكرية، ثم الرحمة التي وسعت كل شيء، لا ضيق، ولا حصر، ولا تحكم، ولا نقص، «**قل يسمع واشفع تشفع[3]**».

ثم التبارك: تكاثر وزكاة في أقواله، وأفعاله، وعلومه، وعرفانه؛ فلما خص بهذه الخصوصيات عمَّ بها جوامع حضراته من السفليات والعلويات، والمستويات الإنسانية. قال: «**السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين**» وهو: الجان المؤمن؛ «**ولكن الله أعانني عليه فأسلم[4]**».

السلام على ملائكة الله المقربين، «**ما منكم من أحد إلا وقد وُكِلَ به قرينه من الجن والملائكة[5]**»؛ ففي هذه الحضرة الشهودية حقت الشهادة لله بالألوهية، ونفيها عن الكل بالكلية، أما من حيث الاستغراق فتحجب الواحد بآحاده غير مغاير، وأما بالاستهلاك فتحجب الأحد بتجليه، لا في غير، ولا له، فالألوهية المنفية تحقيق الذات المطلقة؛ فإنها لا بالاستغراق ولا بالاستهلاك، مثبتة (للجلالة) [6] لأنه الواحد المفيض لآحاده، والمتجلي بذاته في حقائق صفاته؛ فالنفي ذات إعدام، والإثبات ذات إيجاد؛ فلا يستحق الجلالة غيرها، ولا يتحقق بها سواها؛ فتحقيقها في الباطن بالعلم، واستحقاقها في الظاهر بالقدرة، وكل مرتبة شملها العجز، أو تطرق إليها من وجه، أو صدق عليها لافتقار، وإن كانت من الجلالة وبها؛ فهي غير

---

(1) رواه البخاري (2301/5)، ومسلم (301/1).

(2) في (ب): نبيء.

(3) رواه البخاري (2708/6)، ومسلم (183/1).

(4) رواه مسلم (2167/4)، وأحمد (397/1)، بنحوه.

(5) رواه مسلم (2167/4).

(6) في (ب): للدلالة.

مستحقة لها بالاسم والوجود، ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة : 17]، لأنه في مرتبة الافتقار، وأمه كانا يأكلان الطعام، والإقرار بالرسالة المحمدية؛ لأنه المرسل – من مقام العبودية بالأمانة الربانية والذخائر الإلهية– إلى الأرواح المخصوصة من ذات الحمد. «**خلق الله الأرواح في ظلمة**» وهي: الظلمة الذاتية حيث لا يعلمون شيئًا ، «**ثم رش عليهم من نوره**[1]» وهو: البيان والتبصرة، وكان النور المرسَل من المرسِل كنور الشمس عن قرصها، ولله المثل الأعلى، ولذلك سُمِيَّ بـــ (السراج المنير[2]).

---

(1) رواه الترمذي (26/5)، وأحمد (176/2)، وقال سيدي علي: اسمع: «إنَّ الله خلق»: أي قدَّر «الخلق في ظلمة»: أي في محو اليقين، «ثم رش عليهم من نوره» بما ظهر به فيهم من معانيه، «فمن أصابه ذلك النور»، وحصل فيه على الخط القويم الناطقي وصوابيته، «اهتدى ومن أخطأ ضَل».

(2) قال الرصاع: السِّراج المنير: اسمٌ من أسمائه، وصفةٌ من صفاته ﷺ.

قال تعالى في كتابه الكريم مبشرًا لنا برسالة نبينا بشيرًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: 45 - 47].

والسِّراج أصله: المصباح الذي يضيء في الظلمات، ويتصرف به في قضاء الحاجات، فاستعير السِّراج المنير، وأطلق على سيد المرسلين، وسُمي به حبيب رب العالمين لوجوه من محاسن التشبيه، وبلاغة في مكانة مقام العزيز القدر عند الله الوجيه.

فمِن محاسن إطلاق السِّراج على نبينا، والتشبه به لشفيعنا: إن السِّراج المحسوس يطرد بنوره الظلمات، ويتوصل به إلى الأمور المهمات، ويسهِّل على النفوس السكنات والحركات، وينجيها من الوقوع في الآفات.

فأُطلق السِّراج المنير على مَن بعثه الله رحمة إلى جميع خلقه، وخصَّه بالشرف الأتم على أبناء جنسه؛ لأنه ﷺ حين بعثه الله تعالى وجد الأرض سوداء مظلمة بعبادة الأصنام والأوثان، متراكمة الظلمات بعضها فوق بعض، حُمي بها وطيس الكفران، فكانت نبوءته ﷺ سراجًا منيرًا، أضاء الله تعالى بها أرضه وسماءه، ونور بها القلب، فأزال ظلماته وعماءه، فجلَّى الله تعالى به ظلمات الشرك، واهتدى به الضالون، ونور به سويداء القلوب.

فاستبصر بضيائه المستبصرون، وأمده ربه بكواكب رسالته نور البصائر فاستنارت بآثار سراجه زوايا القلوب، فاسترشد المسترشدون.

قال بعض العارفين في تفسير هذا الاسم الكريم: إنما وصف الله تعالى هذا السِّراج العظيم بكونه =

=

منيرًا؛ لأن من السراج ما لا يكثر ضياؤه إذا قل سليطه ، ودقت فتيلته، ولم يصفُ زيته، فإذا كان المصباح زجاجه صافيًا، وزيته وافيًا وصلحت فتيلته، وأتقنت حكمته تلألأ نوره في الجدارات وأشرق ضياؤه في جميع الجهات.

ولما كانت نبوءة نبينا ﷺ نورًا، وقلبه نورًا، وصدره نورًا، وجسمه نورًا، فكان سراجه دائمًا منيرًا؛ لأنه نور على نور، لا تعتريه الفترات، ولا تطرأ على القلب به الغفلات، ولا يستوحش بوجوده في جميع الحالات، وشُبِّه ﷺ بالسِّراج المنير لفوائد كثير، وفرائد عديدة.

منها: إن السِّراج المنير يقيس من ضيائه المبصرون، ويستفيد من حسن جواهره المستفيدون، وقد اقتبست من ضياء نوره ﷺ جميع الخلائق، وهدى به مولاه أهل المغارب والمشارق.

ومنها: إن السِّراج المنير يتوصل به إلى الانتفاع الفقراء والأغنياء، ويستعمله ليساره الصلحاء والأولياء، ولذا لم يشبه في نوره بضياء الشمعة المنيرة، ولم يمثل بذلك أهل البصيرة؛ لأن الاستنارة بضياء الشمعة لا يصل إليه كل مخلوق من الناس، وإنما يتصل به من الأغنياء الأكياس.

ومنها: إن السِّراج ترتاح النفوس لحسنه عند رؤيته، وتستأنس القلوب عند مشاهدته، ونبينا ﷺ يزيدك وجهه العظيم حسنًا إذا ما زدته نظرًا، وتلذذ بكمال نوره كمرآة من غير ملل ولا سآمة، ثم تعود أخرى كيف لا!

وهو نور الهدى الذي نور الله به تعالى كل موجود، ونور الأنوار الظاهرة، والباطنة لكل والد ومولود، فالأنوار استمدت نورانيتها من سيِّد الأكوان.

فلو تشكلت الهدايات حتى صارت محسوسة لكانت صورته ﷺ مرئية فيها بالعيان، ولما تناهت حال هذا العزيز القدر عند الله في خصال الكمال من الهداية النورانية، والمنظر الحسن، وبديع الجمال، حتى شاهدت المعاصرون له ما عجزوا عن التعبير عنه، ووقفوا في الأفهام دونه مع أنهم أئمة اللسان، وأرباب البلاغة والبيان، فسلكوا بالسراج المنير طريق التقريب واليقين في التشبيه للبيب؛ تنبيهًا للتابعين وإعلامًا لغير المعاصرين.

على أنهم قد شاهدوا من المحاسن النورانية، والسُّرج المنيرة اللدنية ما لا يخطر جماله على بال، ولا يتوصل إلى كنه إدراكه في جميع الأحوال، فكأنهم يقولون بلسان حالهم، ودقيق نظرهم وبالهم: إن أردتم أن تتعلقوا بتخييل صورة السِّراج المنير، وتتلذّذوا بمشاهدة بعض جمال العزيز القدر على الملك القدير، فانظروا إلى بعض أنوار العوالم العلوية، وشاهدوا السرج المنيرة في العالم السفلي من البرية، فلا تجدون في مشاهدتكم أحسن من الشمس والقمر، ولا ترون أحسن من ذلك في النظر.

فأقرب الأمثال في صفة نبيكم تقريبًا لكم ضياء السرج عندكم، فهذه غاية المقدور الذي تحاولون عليه في جمال نبيكم إذ لم تجدوا في عوالمكم ما يقرب المقصد إلى أذهانكم إلا ما ضربنا من الأمثال لكم.

=

ولسريانه في رسالته روح الحياة ونور العلم؛ لقوام قيام عالم الصور وعالم المعارف؛ فقرص الشمس –مثلاً– مقام عبوديته، وتعيين جوهريته، والنور المرسل عند سبحات الروح المنفوخة فيه، واستواء صورة التجلي عليه؛ فلذلك شرع الشرائع، وحقّق الحقائق، ﴿أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ﴾ [التوبة : 33].

وحقيقة الصلاة عليه من الواجب، واتصال المدد لتكثير العدد، من سر الواحد الأحد «**انكحو النساء فإني مكاثرٌ بكم الأمم يوم القيامة**[1]».

ولأنه هو روح الإيمان ونوره، ﴿وَأَنــزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِينا﴾ [النساء:174] علة العرفان، ومعلول الرحيم الرحمن، وشرط الإيمان، ومشروطه زكاة الأديان، فما من قلب نبوي، ولا صديقي تبعي –جاني أو ملكي– إلا وقد أشعل من نور مصباحه، ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾ [الجمعة:2].

والضعف والقوة بحسب استعداد القوابل، ولأن قسمه يفيد جملة ما في مقسومه، إلا أن الأذهان والأواني مختلفة في الصفاء والكدر، وإنما يظهر سر المعاني لطف الأواني؛ فالمصلي عليه يستدعي تواصل المدد، لنوره القائم بقلبه، الذي به يتحقق معارف ربه، وهو القرين الشاهد، وكل واحد يراه عند تجريده في الصورة الخاصة به، من حيث نوره المستقيم عليه منه، وفي صورته يأتي الله يوم القيامة؛ فمن رآه في غير الصورة الخاصة به قال: «**إنا نعوذ بالله منك لست ربنا**[2]» فيتحول له في الصورة الخاصة، فيقر ويخضع، ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الشورى : 51] فمن انجلت فيه صورته على الكمال، ونفخت فيه

=

وقدر حبيبكم لا يساويه مثال، ولا يقاربه بديع حسن وجمال، حسن القمر مستمد من نوره، ونور الشمس بعض ضياء نوره؛ لأنه بنوره نور الله سبحانه العالم بأسره، وما خلقه إلا من أجله ﷺ وشرَّف وكرَّم. وانظر: تذكرة المحبين (ص 479) بتحقيقنا.

(1) رواه أبو داود (220/2) بنحوه.

(2) رواه البخاري (2403/5)، ومسلم (164/1)، بنحوه.

روحه بشرط التوبة والقوام؛ انخلعت عليه في الدار الآخرة صورته الشمسية، وهيئته البدرية، «**سبعون ألفًا من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب**[1]».

فمنهم: على صورة الشمس.

ومنهم: على صورة القمر ليلة البدر، «**مع كل واحد منهم سبعون ألفاً**[2]»، ولذلك قالوا :«هل نرى ربنا؟ قال: **أتضارون في رؤية الشمس؟! هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟ فإنكم كذلك ترون ربكم**[3]».

فهؤلاء السبعون ألفًا المشهودون بالأبصار، والمرئيون في دار القرار، عروس الاستواء الرحماني، ومرأى التجلي الرباني، لا من حيث هم هم، بل من حيث صورهم الإيمانية، وأرواحهم العرفانية، وأنوارهم الإحسانية، المقسومة عليهم من روح الحق، وصورة القدم الصدق، بنور الحقيقة (الأزلية) [4][5].

---

(1) لم أقف عليه.

(2) تقدم نحوه.

(3) رواه البخاري (7434)، (7435)، (7436)، (554)، (573)، ومسلم (439/1)، وأبو داود (4729)، والترمذي (2551)، والنسائي في الكبرى (176/1)، والإمام أحمد في المسند (4/ 360، 362، 365)، وفي السنة (37، 38، 183)، وابن ماجه (177)، والحميدي في مسنده (799)، وابن أبي عاصم في السنة (446-450)، والطبري في تفسيره (233/16)، وابن خزيمة في التوحيد (ص 167، 169)، والآجري في كتابي الشريعة (258، 259)، والبيهقي في الاعتقاد (50)، والسنن الكبرى (464/1)، والخطيب في تاريخ بغداد (466/11)، والبغوي في معالم التنزيل (232/4)، والطبراني في المعجم الكبير (296/2-297)، والمعجم الأوسط (194/2)، (90/8)، والدارقطني في الرؤية (106)، وكذلك في (137)، (149)، (155)، (163)، بتحقيقنا. قلت: وألفاظ هذا الحديث وطرقه كثيرة.

(4) في النسختين : الأزل

(5) قال سيدي محمد وفا: واعلم أن الخواص بالاختصاص من ولد آدم لم يقبضوا في هذه الأخذة الذرية، ولم يخرجوا بالجزئية من العين الكلية؛ بل كانوا فيها بحكمة التفضيل الإداري في الوصل الوحداني؛ فكانوا وجوه تجلِّي هذا الحجاب الرحماني، والستر الربَّاني، والمثل الروحاني، والتصوُّر الإنساني، فلمَّا أشهد الذر على أنفسهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الأعراف:173].
فشهد كل شاهد لمشهوده، وأقرَّ كل عابد لمعبوده، وهذه الوجوه الكرام، والشموس الأعلام، والبدور التمام؛ هم الذين قال فيهم ﷺ:
«**سبعون ألفًا من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب؛ منهم على صورة البدر، ومنهم على صورة** =

ولذلك قيل:

(**اللهم**): لاتصال ميم المحمدية، بهاء الجلالة.

ومنها: أحمد، ولأنه أحد زِيد ميم المحمدية الثانية؛ فهو صورة الحق، وروح الحقيقة، بالأول والثاني.

أما آلاؤه: السمع والبصر، أبو بكر وعمر، وكذلك المشاعر الخمس الحساسة، والخمس العاقلة، تلك عشرة كاملة آلاؤه الظاهرة والباطنة، وهو لوازمه، تنـــزل في

=

الشمس، ومع كل واحد منهم سبعون ألفًا»؛ ولأنه مع كل تابع متبوعه، ومع كل مطاع مطيعه؛ وهم الحجب الأرباب الذين يرونهم أهل الجنة في دار الثواب، وبما قال ﷺ لمَّا سُئل: «**هل نرى ربنا؟ قال: أتضامون في رؤية الشمس ضحوًا؟ أتضامون في رؤية القمر ليلة البدر، وهم في كل ذلك يقولون: لا، قال: كذلك ترون ربكم**».

وبما قال: «**فيضع لهم منابر من نور؛ فيجلسون عليها، فيجعل وجوههم نورًا، وثيابهم نورًا**»؛ ولذلك يضع كل ذلك أمام العرش، فكل كرسي فرشي لقمري، وكل منبر عرشي لشمسي، وهذه من سنة الاستواء، وحقيقة العُلو الأعلى في الآخرة والأولى؛ وهي الصورة التي فيها يأتي فيها يقول: «**أنا ربكم فيقولون: إنا نعوذ بالله منك لست ربنا، عرفناه فيتجلَّى لهم جلَّ جلاله**»؛ وهو حقيقة الإتيان، والتحوُّل في صورة مشهودهم بشاكلة معبودهم على سنة التجلِّي والتنـــزيل كما تقدَّم في سابق التفصيل، فيقول: «**أنا ربكم، فيقولوا: أنت ربنا**»، وهذا فعله مع كل أمة سنَّة كسنَّة، وحكمة كحكمة.

وهذه من حقائق كشف الساق يوم التلاق، فمَن أطاع حجاب المعبود؛ أمكنه السجود، ومَن استولى عليه الجحود؛ صار ظهره طبقة كالجامد، ويا أولي البصائر والألباب افهموا سرَّ الخطاب من نص الكتاب: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ**﴾ [الشورى: 51]، ولمَّا رفع لرسول الله ﷺ السواد الذي سدَّ الأفق؛ وهي أمة موسى، وكذلك السواد الذي هو أكثر منه؛ وهي أمة عيسى، ثم رفع له السواد الأكبر، والملأ الأزهر.

وقيل له: «**هذه أمتك قيل له: أرضيت، قال: رضيت، قال: ومع هؤلاء سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب**».

فكان الإخبار بهم؛ لعدم التعيين في السواد، والإخراج من جملة العباد؛ فكانوا تحت ستر صورته المحمَّديَّة، ووراء شاكلته الأحمدية؛ كالبنين في صلب الأب، والجنين في بطن الأم، فهم أعيان في عين واحدة لا ينقسمون ولا يتبغضون؛ وإنما هم أسماء في السبع المثاني، ومثل في روح المعاني، يظهرون بسنة ظهورهم، ويبطنون بحكمة بطونهم؛: أعني بذلك: السبع المثاني... وانظر: العروش (ص 153).

كل مقام ودار قرار، وتترقى معه في كل حضرة ربانية، وحيطة الإلهية.

«كما صليت على إبراهيم» لتكثيره في النسل النبوي، والنجم التبعي.

والأول الصديقي من هذا الوجه فقط، وهي حقيقة التبارك الأول لاتصال المدد، والثاني لتكثير العدد وزكاة الولد.

الذكر عقب الصلاة بعد الاستغفار:

بثلاث وثلاثين تسبيحة: وهي أسلوب التقديس والتنـــزيه.

وثلاثين تحميدة: وهي ثبات جمع المحامد والثناء.

وثلاث وثلاثين تكبيرة: وهي الإقرار بالعجز عن درك الإحاطات بالمعارف الذاتية.

و**«العجز عن درك الإدراك إدراك»** [1].

و**«تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في ذاته فإنكم لا تقدرونه قدره»**.

وكل ما نحن فيه من التنـــزيل والتنويه والتقريب، إنما هو في تحصيل معارف الآلاء، وتحقيق الصفات من الأسماء الحسنى، (وما خطر بخاطر فالله بخلاف ذلك)، و**«إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة»**، وغاية إقدام الواصلين من المقربين الراسخين إلى حضرات الأخلاق، والأسماء حيطة الصفات العلى، **﴿وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾** [البروج :22/20] .

فالله الله لا يقال عليه غيره، لأنه لا غير فيه، ولا هو في غيره **﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾** [الإخلاص:3، 4].

لا يحكم عليه الأزل والأبد، ولا يحصره الدهر ولا الأمد، ولا تحيط به العقول ولا الفكر، ولا تحصل على كنهه العلوم الحاصلة عقب النظر:

﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:108].

---

(1) هذه مقولة للصديق الأكبر سيدنا ومولانا أبو بكر – رضي الله عن سيدنا – وللقوم –رضي الله عن جميعهم – شروح عليها وأقوال، نفعنا الله بهم، ولا أخلانا نفسًا من علومهم وآدابهم، وكل من قال: آمين .

صورة الزكاة[1]:

مؤكدة في المعدن والنبات والحيوان، موضوع الإنسان نتيجتها الجامع لمفرداتها بالتكبير، صورتها مربعة الأركان، مثلثة التركيب، إذا تحللت من عقال عوائق موادها، وانخلعت عن نعلي حواسها ومحسوسها، وترقت في معارج معانيها وعقولها إلى سماوات أشباحها وأرواحها، وسرت في سريات مدبراتها ومؤثراتها، وتحققت بإحاطة أسمائها وصفاتها، وانخلعت عليها في مقابلة انخلاعها، ﴿**تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الجَلالِ وَالإِكْرَامِ**﴾ [الرحمن: 78].

رجعت إلى أوطانها بزيادة الفوائد وأرباح المكاسب من ذخائر الكنوز الثلاثة:

كنـــز الفقر والافتقار، «**الفقر كنـــز من كنوز الجنة**[2]».

الثاني: كنـــز التجلي عن القوة والاختيار «**ألا أدلكم على كلمات من كنـــز من تحت العرش لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم**[3]».

---

(1) قال الحكيم: وأمَّا علة الزكاة فإنها: نمو المال، وذلك أن المال سُمِّي مالاً؛ لأنه مال بالنفوس عن الله - تبارك وتعالى - ومالت النفوس عن الله تعالى - لمَّا أحست بمنافعه، وميلها إلى ذلك أورثها الحب لها حتى افتتن بها، أعني: المنافع، وقد علمت أن ذلك كله من المال فألهاها عن ذكر الله — تعالى -.

وقد حذَّر الله - تعالى - عباده، وقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ**﴾ [المنافقون:9].

ثم قال: ﴿**وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ**﴾ [المنافقون:9].

وقال ﷻ: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ**﴾ [آل عمران:14].

فهذه أصناف الأموال مزيَّنة امتحانًا وبلوى، وشهواتها في نفوس بني آدم ثابت حبها، فدعاها إلى ما هو خير منها.

فقال تعالى: ﴿**قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ**﴾ [آل عمران:15].

فمَن مال إلى مادُعي إليه من داره وجواره سعد، وكلما مالت النفوس إلى شهواتها فعن الله تميل فلا تزداد إلا بعدًا، وكلما ازدادت بعدًا انزوت البركة عنها، فأُمرت بالصدقة، وسُميت زكاة.

(2) لم أقف عليه.

(3) رواه البخاري (2437/6)، ومسلم (2076/4)، بنحوه.

الثالث: كنـــز الله الذي ﴿**لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى**﴾ [طه : 6].

«**كنت كنـــزاً لا أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت خلقاً فتعرفت لهم فبي عرفوني**[1]»، هذه فوائد إسلام وإيمان وإحسان .

ولما كانت الأرواح المحمدية والأنوار الأحمدية منـــزلة في القلوب الإيمانية، بالإنباء والإرسال والتصديق والقبول، قال تعالى: ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ**﴾ [التوبة: 103]، وهذا أمر في مقام الصديقية، أمر به الآخذ وهو الروح المحمدي من المأخوذ منه وهو النور الأحمدي.

ولأن روحه منخلعة عن نوره كانخلاع حواء عن آدم، لفائدة التكثير والتبارك في التخطيط والتصوير- وعلى كل سلامى- صدقة من ابن آدم، ولأن الصدقة تقع بيد الحق، ويأخذ الصدقات، ما من الله إلا وإليه.

شروط الأخذ:

الإيمان: ضد الكفر، وهو على قسمين:

الأول: صديقية مطلقة: وهي تجريد القبول عن عوارض الجدل.

الثاني: التسليم وهو الإذعان للقبول بعد مجادلة عوارض الجدل.

ثم الحرية:

وهي النسبة الإلهية المنخلعة على القوة الإنسانية من العهد الأول الروحاني:

﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ**﴾ [الأحزاب: 7]، لا كالمطبوع عليه بطابع الرق في العهد الثاني من الحقائق الآدمية ﴿**وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى**﴾ [الأعراف : 172].

ثم الفقر – شرط -:

وهو نسبة العبدانية المجردة عن إضافة الملك و(الاستحقاق) [2]؛ فلا يضاف

---

(1) تقدم تخريجه.

(2) في (أ): الاستحلال.

لشيء، ولا يضاف إليه شيء، بخلاف الغنى[1].

(1) قال الشيخ ابن سبعين: القول على الفقر من حيث الطريق:
وهو آخر الأقسام وهو مرادك: وهو الفقر الذي يشرحه عرف الفقراء في زماننا هذا، ومقصودنا شرحه وبثه على أكمل ما يمكن بحول الله تعالى.
فنبدأ فنقول: الفقر هو الصبر على المكروه، وشكر المنعم الحكيم، والفتوّة المحضة، ورفع الأذى كله، وفعل ما يجب كما يجب على ما يجب في الوقت الذي يجب، وتتفق دعوته التي داخل الذهن مع التي خارج الذهن، ويطلع بالتركيب إلى بده، ويهبط بالتحليل إليه، ويدور بجملته عليه، ويجعل الفقر الذي اتصف به نفسه وقصده ومقصوده دائرة وهمية، ويجمع الوجود المقيد كله في نقطتها والمطلق في محيطها وينظر إلى الخطوط الخارجة من النقطة المذكورة إلى المحيط المذكور في خلده ويراها متساوية وينسبها، وينظر إليها ثانية من المحيط ويحذف الوسائط ويبصر الواسع في الضيق وينظر الأشياء في نفسه ثم يقطع حبل النظر والمنظور فيه من حيث المجاز والشفع، ويصل حبل النظر والمنظور فيه من حيث الحقيقة والوتر، ويصل مع ذلك النقطة المتقدمة بالمحيط ويجعلها جزء ماهيتها، ثم يحقق الأمر ثانية ويجعلها ماهية واحدة ويقول:
«ليس إلا الأيس فقط» و«هو هو» ويتصفح قوله ويتأول ما يلزم عنه، ويقطع الإشارة كما قطع العبارة، ويسكن في شأنه ويهمل مهمله ومخصصه من كل الجهات ويقف في ثلاثة مواطن ويموت ويحيا في خمس مواطن، ويبعث من شأنه ويقذف في موضوع سره المشهور بالبرهان أن آنية الله هي أول الآنيات وآخر الهويات، وظاهر الكائنات وباطن الأبديات. ويحدث في نفسه بالإسلام فيخبر عنه على غير ما كان يخبر، ويحدث قبل ذلك ويشهد والمشهود والشهادة بشهادة الإنصاف، ويعكس الضمير الأول على المخاطب الثاني، ويتوب من اللواحق ومن الحروف التي تجر إلى الإضافة ويشعر بها ويقول: كل من في العالم بأسره لا يفعل شيئًا والله هو الفاعل خاصة ثم يمحص مدلول كلامه ويخلّص جميع ما ارتهن فيه وينطق بالحق ويحذف المجاز وجميع ما يجر إليه ويلزم منه وعنه، ويقول: العالم ميت بجميع ما فيه من مفارق للمادة وغير مفارق لها، فلا حي على الحقيقة إلا الله. ثم يتفقه في الإطلاقات باقترانها مع المضافات وارتباط بعضها ببعض ويقول: ما خالف الوحدة المطلقة والوجود الواجب هو عدم من جهة ووجود من أخرى، فلا موجود على الإطلاق ولا واحد على الحقيقة إلا الله إلا الحق إلا الكل إلا الهو هو إلا المنسوب إليه إلا الجامع إلا الأيس إلا الأصل إلا الواحد إلا الأصح أصح لا صح ص ح ح حم صمد حق، لا نتهمه ولا نتوهمه. وكذلك يفعل في كل نسبه متجانسة ثم يعلل جميع ما أطلقه، ويثبت ما ثبت بالبرهان وينتفي ما انتفى بالبرهان ويعلم كيف انصرام التوجه، وإلى أين يصل المتوجه وبأي وجه يعدم، وينسب مهمل الشريعة إلى مخصص الحقيقة ومهمل الحقيقة إلى مخصص الشريعة ويقول: من صحا وصحح أسراره محا الله إصراره.
حكمة ثانية: ويقال الفقر هو الذي لا يظهر به على الفقير إلا لسان مخزون، وقلب محزون، وفعل موزون، وفكرة تجول فيما هو كائن ومكون.
=

=

حكمة ثالثة: ويقال الفقر هو الخلافة الباطنة، كما أن الملك المشار إليه هو الخلافة الظاهرة.
حكمة رابعة: ويقال هو نوع من أنواع التصوف، وهو خيرها. ورب نوع أفضل من جنسه. كالإنسان مع الحيوان.
حكمة خامسة: ويقال الفقر هو الذي ترسم بدايته بالإرادة والعبادة والإسلام وعالم الشهادة والخروج من الشر المحض إلى الخير المشترك والمجاهدة والطريق المقيد والتوكل، والتسليم والتفويض والتوبة الأولى والخلوة المشوقة والدهليز الجامع والأربعينيات المحركة المهيئة.
ويرسم سلوكه بالرضا والإيمان والعبودية وعالم الملكوت والخروج من الخير المقيد إلى الخير المطلق والمكابدة والسفر في الطريق المذكور قبل في رسم البداية، والتوبة الثانية، والفكر التابع للسكينة، والذِّكر المحرك للتخلي والتحلي والتجلي، وبُعد الأهل والوطن، وحذف العلائق بالجملة، والتزام السوابع الكاشفة للمقصود، ويرسم وصوله بالعبودية والمشاهدة وعالم الجبروت ومقام الإحسان والخروج من الخير المحض المقيد للكل بالمقصود والاشتراك، وصرف المحو إلى الصحو والتوبة الثالثة المصروفة في السبعين مقامًا الفاصلة بالتخلق بالأسماء الحسنى وتدبير العالم الأول بالصنائع العلمية والعملية وبالاسم المشترك فافهم !
حكمة سادسة: ويقال: الفقر هو الذي يجعل الفقير يجعل الشرع في يمينه والعقل في شماله وبينهما العلم، ويحرك الكل بالأدب والهمة والحقيقة، ثم يدفعها بالحقيقة مفردة، ثم يجذبها بالشريعة مركبة، ثم يستغفر الله ويقطع الموصول ويصل المقطوع حتى يثبت ما لا يمكن قطعه ولا اتصاله، ولا هو من هذا القبيل فافهم.
حكمة سابعة: ويقال: الفقر هو التجرد عن المواد والاتصال بالذوات المجردة المرسوم عليها في موضوعات الشرائع والمعبر عنها في اصطلاحهم: بالملائكة وعالم الأمر، ثم التجرد عنها والاتصال بالحكيم العليم الذي أمر، الحكيم العليم المبدع الأول الذي أمر الحكيم العليم الثاني، ثم التجرد عن الجملة والاتصال بالحكمة والكلمة، ثم التجرد عنها والاتصال بالحضرة السَّنِية التي يظهر فيها الحكيم العليم الأول المذكور أنه من عباد الله، والله أعز من ذلك وهو عزيز؛ لأنه اعتز على العلماء به قبل هذه التي ليست من جنس ما يعلمه الفيلسوف ولا يفهمه بعض الصوفية. وهو علم التحقيق الغريب الذي لم يخبر قط جميع من دون الدواوين كلها عنه، ولا هو من قبيل السهو والعويص ولا في قوة البطيء مع الحريص. فاسمع ما أقوله لك ولا تلتفت إلى ما تخبط فيه شيعة أرسطو، وكونهم يقولون: الحق عز وجل هو المحرك للجرم الأقصى بذاته.
والمتأخر منهم يقول: بل هو الذي فطر الأمر وهو الذي أمر بتحريكها، وهو ثالث رتبة فوق محرك الأطلس.
ومنهم من قال: هو ثاني رتبة، فانظر ذلك في آخر كتاب «المشكاة » للغزالي وفي كلام ابن سينا والفارابي. وتَحَيَّرَ ابن رشد في ذلك ثم اختار قول الحكيم، وقال به وزال عن الغير. وتخبط في ذلك ابن طفيل وانفصل عنه بِهَذَيَان لا فائدة فيه للحكيم النبيه. وكذلك مذهب أهل الرواق وشيعة فيثاغورس ومن قال بالمثل المعلقة والحياة السارية في الموجودات، والذي قال بالانتقال

=

=

وبالأشياء المؤلفة من الفاني والباقي.

وكذلك جميع ما تسمع من بعض الصوفية الذين يقولون: مقام الإسلام والإيمان والإحسان والحق والمطلع والأفعال والصفات والذات.

والذي يقول: الأسماء والتخلق والأسماء التي تتصف ويتصف بها والاسم الفعال والأسماء المتحابة والاسم الذي يتصف، فذلك كله منه ما يصح بوجه ما، ومنه ما لا يصح.

وكذلك قائل: «والحق وراء ذلك كله» فإنه أراد المعلوم المضاف.

وبالجملة: ما عرفوا الله حق معرفته ولا علموه على ما ينبغي له، فعليك بالرجال.

واعلم أن العلم الإلهي منه ما يتعلم، ومنه ما يورث، ومنه ما يُتلقى من صدور الرجال، ومنه ما يوجد حالاً وذوقًا، ومنه ما يظفر به في الجميع.

فقـــل: أعـــوذ بالمقصود المعلوم عند معلمي حيث معلمي: من توقف أرسطو وتشتيت مسائله الإلهـــية خاصـــة، فإن غيرها من سائر العلوم أحكمها ولم يغلط فيها إلا في القليل، ومن شكوك المـــشائين، وحيرة أبي نصر، وتمويه ابن سينا في بعض الأمور، واضطراب الغزالي وضعفه، وتردد ابـــن الصائغ، وتنويع ابن رشد، وتلويحات السهروردي مؤلف «حكمة الإشراق» والتلقيحات بمـــذهب أفلاطون، وتشويش ابن خطيب الرّي، وتخليط الأقدمين، ورموز جعفر المحتملة معرج التـــصوف مع الحكمة من حيث أتباعه، ومن شطحات بعض الرجال في «الرسالة» الذين نطقوا مـــن أحوالهم الأول ولم تحذقهم العلوم ولا الصنائع العلمية ولا حققوا المبادئ وجاوزوا المقدار بأقـــوالهم وأحوالهم بوجه ما يسلمه بعض الناس وينكره الأكثر ومن تصريف ابن مسرة الجبلي في الحروف والإطلاقات في النطق اللاحق للأشياء وإضافته الآيات وفهم أقسام بعض السور والإقدام على الأحكام واقتران بعض القرآن ببعض، ومن تهذيب بعض الأسماء والصفات والكون والوجود والموجود والشفع والوتر والتوحيد على مذهب ابن قسِيّ صاحب «خلع النعلين» ومن الأجناس الجامعـــة المـــتقدمة والتآلـــيف والمذاهب والذهاب والاعتبار المقدر المصرف في جملة الأسماء ومدلـــولها وفي الـــصفات الدائرة التي تدور من مدلولها على صيغها، وبالعكس على مذهب ابن بـــرجان، ومـــن الوصول المنسوب والوقوف عنده بحسب متعلق الأسماء والصفات والمقامات والأرواح والـــتلوين والـــتمكين والمحـــبة والوجود والواحد والوحدة والإضافة المحذوفة والمجردة والـــشائعة وغـــير الشائعة بحسب «المواقف» المنسوبة إلى النفرى المعلم الناقل عن المولد على زعمه وغيره.

فجميع ذلك كله لا خلاص فيه متمم ولا إخلاص مكمل، وهو مما يدخله الغلط من الصنائع عند طائفة، ومن الأحوال عند آخرين، ومن الاصطلاح عند قوم، ومن الفهم عند آخرين، ومن الرياسة ومن اللذة ومن سوء الفهم عند الأكثر.

وهؤلاء منهم من تلذذ بالأنوار والأحوال، وغفل عن الأصل، وفرح بنفسه ولم يكمل، ومنهم من علم المقصود ولم يتحرك إليه بالسلوك وغلبته الطبيعة والأمور الطبيعية والرياسة وحفظ الصيت عليه، ومنهم من بهره حال الاتصال فغلط.

=

=

ومنهم: من شك في الأصل ودفع تارة وجذب أخرى.
ومنهم: من كان أوله ضد آخره وبالعكس.
ومنهم: من وصف المقصود ولم يتصف به.
ومنهم: من ضر بكلامه ونفع وتنوع أمره وانتقل.
ومنهم: من ينفع من جهة ما ويضر من جهات. ولولا ما قصدت في هذا التقييد من الاختصار كنت أرسم لك مقاصدهم من حيث مواضعها والمسألة والجواب ونبين لك شأنهم كله وكيف الأمر فيهم على الإطلاق بالبرهان.
وبالجملة: عليك بالحق وفريقه وأهله وطريقه، فإن الرجال إذا تنوعوا دار الأمر بينهم وفيهم وعليهم. لا زوال للحق ولا شك فيه، ولا يأخذه النقص ولا يختلف ولا يتغير، وهو الذي به هو الشيء وما هو، وهو الشاهد المتفق من جميع جهاته، وهو هو كما تقدم، وكل حائر فمن أجله كانت حيرته وفيه وبه. فافهم. فإنه هو المطلوب وبه يطلب، ومنه الطالب وله ومنه وعنه الكل.
وقد خرج بنا الكلام إلى غير الذي قصدناه فنرجع له بحول الله تعالى.
حكمة ثامنة: ويقال الفقر هو السلب المنسوب للسالب والمسلوب الذي دار على نقطة وقاره بشأنه وتقديره وقراره، وخرج عن قدره بمقداره، ثم أجبر وجبر وطمع في الإيجاب بعد فهم الجواب وكلم مقصوده بلسان ماهيته ومعه بإذن آنيته المكتسبة، وأبصره بجميع هويته. فافهم !
حكمة تاسعة: ويقال الفقر هو السكون عند عدم كل شيء يتعلق بمدلول العما، ويكون من لواحق الغيرية والحركة عند التقدير، ثم السلب المحض بالإلزام. فافهم !
حكمة عاشرة: ويقال الفقر هو الذي يحصل للفقير به العلم الذي يدبره ويدبر به ما بعده ومن قبله، والورع الذي يعصمه وينفعه ويحجزه، واليقين الذي يحمله، والذكر الذي يتأنس به.
حكمة حادية عشرة: ويقال الفقر هو الذي يكسب الفقير دوام الافتقار للجبان في كل الأحوال وملازمة السنة العربية والقديمة اللازمة عند العادة المشتركة.
حكمة ثانية عشر: ويقال الفقر هو الذي تجحد فيه قضية الزمان والمكان.
حكمة ثالثة عشر: ويقال الفقر هو المترادف مع الخيرات المطلوبة.
حكمة رابعة عشر: ويقال الفقر هو الذي يسبح به في بحر الشرف، وينسخ العادة بأحكام خرق العادة، وينسخ مقام الوحشة بالوحدة، وينسخ مقام الوحدة بالحرية وينسخ الحرية بالعبادة في حال الاتصال بالأدب المستولى، وينسخ التوكل بالتسليم والتسليم بالتفويض ويترك معقوله في معقوله متخيِّرا، وينسخ التفويض بالرضا، وينسخ الرضا بالتوحيد، ويقوي التوحيد بالمحبة ويحفظ المحبة بالمعرفة، ويخلص المعرفة بالمشاهدة، والمشاهدة بالمقامات الفارطة كلها، والجميع بالتحقيق، ويركبها ويسلسلها بالتوجه والبحث والإنابة والأوبة، ويصرفها بالكلام المقيد بالعبارة والإشارة وبالبعض، ثم بالدقيقة وبالكل، ثم باللطيفة وبالمذكور، ثم بالحقيقة وبالمذكور في المذكور، فافهم.
ويعللها بالأحوال ويقيدها بالتصريف، ثم يجمع المتقدم والمتأخر في كسبه وفي كل شأنه، =

=

ويتصف بالجميع، ويخصها في محله ولا يهمله، ويثبت الناسخ والمنسوخ في ماهية شأنه كله، ثم يحذف مراتبها التي تعددت ويدير عليها دائرة نتيجة شأنه الآخر بمحرك شأنه الأول، ويسكنها بظاهر كنهه، ويجمعها بباطن كونه، ويجعل على الكل وفي الكل ومن الكل الأول الآخر الظاهر الباطن، وينظر إلى الأمر كله بعين التوحيد وكلمة السلب ويجدها قد اتحدت فيه وتوحدت من أجله فينسبها إليه ويديرها ثانية وثالثة ورابعة وخامسة وسادسة وسابعة عليه، ويعتبر جملة داخل الذهن كما اعتبرها خارج الذهن، وينسب بالاستعارة بعض الأشياء إلى بعض، ويجعل قلبه التوبة وكبده المجاهدة، ويده الصبر، ورجله الأدب، وعينه العلم، وسمعه الخلق، وشمه اللطايف، ولسانه الأحوال، ولذته المعرفة والرضى والمحبة، وحياته الوتر، وموته الشفع، وبالعكس، ونطقه الإسلام، وعقله الإيمان، وروحه الإحسان، ثم يسمى الجميع فقرًا وفقيًرا وقيًرا — و«قير» تأكيد للفقير كما تقدم وبالعكس كما لزم فافهم!

حكمة خامسة عشر: ويقال الفقر هو الحكمة التي ترسم أنها الفهم عن الله ﷻ، وهو الحكمة التي سماها الشرع سنة، وهو الحكمة التي تفيد معرفة الأشياء حسبما تعطيه وتقتضيه طبيعة البرهان، وهو الحكمة التي يعرف بها ترغيب القرآن وترهيبه، وجدله، وقصصه، ومثله، ووعده ووعيده، وأمره ونهيه وأحكامها كلها وكونها تنحل إلى الأسماء والصفات وفهم الحروف المتحابة، وحروف أوائل السور مثل: كهيعص، وسائرها ومقايسة بعض المتحابّة ببعض وتناسبها على وجه أكمل وأحكم وأنفع وألطف من الظاهر ومن جميع ما هم عليه بعض الناس ممن ينكر هذا الشأن العظيم فافهم!

وهذا الفقر الذي اختاره خير البشر. والمنصف به هو الغني الشاكر حقيقة فإنه غني بجوهره، والغني فيه ماهية ذاته إذ هو فعال بجوهره وعليه يجب الشكر الكثير الممتد إلى غير نهاية؛ لأنه باق فيه فافهم! وأعط المعنى المعقول مع شرف ذاته في الدارين وسلامته ومناجاته وغيره من الأغنياء بضد ذلك، وإن كان يشبهه هذا في بعض شأنه فعنده من هذا الفقير بما يشبهه وإلا فلا سبيل إلى شيء من ذلك، فافهم.

والفقير الصابر المعروف عند العامة: هذا الفقير الغني خير منه على الوجه الذي ذكرناه، وهو خير من الغني من حيث العرف والعادة والجمهورية.

وبالجملة: الفقر من جميع الوجوه هو المطلوب الشريف وحده، وكل مطلوب شريف وحده لا شيء أفضل منه. فالفقر من جميع الجهات لا شيء أفضل منه.

حكمة سادسة عشر: يقال الفقر الضعيف هو حمل الأذى وترك الأذى ووجود الراحة، والقوي هو التصرف في الأشياء بالكتاب والسنة والإجماع والقياس والعقل وفعل ما ينبغي كما ينبغي على ما ينبغي في الوقت الذي ينبغي وفهم الأسرار والأحوال الإلهية قبل وفروعها وأصولها وأسبابها. والفقر الشريف هو الذي إذا نظر الفقير به إلى نفسه لا غير نظر فيها جميع الأشياء المهملة والمخصصة، والمجملة والمفسرة، والمطلقة والمقيدة، والشريفة والخسيسة، والمرءوسة والرئيسة، ويجعل منها في ماهيته النورانية ما يجب وينسبها بحده وفي ماهيته المادية وينسبها لضده، ثم

=

=

يحقق الشيء الثابت وحده وينظر إليه به ويغمض عين سريرته المكتسبة ويفتح عين بصيرته اللازمة، ويقول عند تصوره لذلك: كيف يظهر من به يظهر وكيف لاحقه وهو لا يرى إلا بنوره ولا يشهد إلا بحضوره.

حكمة سابعة عشر: ويقال الفقر هو الجامع المانع.

حكمة ثامنة عشر: ويقال الفقر هو المعنى الشامل للملك والنبي والصديق والأمثل فالأمثل من حيث التخصيص والمخصوص والكل ممكن على العموم من حيث العموم والعرف.

حكمة تاسعة عشر: ويقال الفقر ترك الرغبة إلا في السعادة وأسبابها، والعبادة وأحكامها، وتدبير العادة وأحوالها.

حكمة عشرون: يقال الفقر عدم خوف الفقر من المحل مع الامتحان الكلي، ولا يكون للفقير ما يقترب به إلى ربه ويظهر الغنى به مع الحاجة، والشبع مع الجوع، والفرح مع الحزن، والمحبة لعدوه مع وجود الجور، ويصوم النهار، ويقوم الليل، ولا يظهر ضعفًا وكل ذلك بجد وصحة أصلية وخير محض.

حكمة حادية وعشرون: يقال الفقر هو الذي تعرف حقيقته اللفظية بما ذكر قبل، والفقهية بما ذكر قبل، والعقلية بما ذكر قبل، والصوفية بورودها على المحل إذ كانت جزء ماهيته ويتصف بأعراض لاحقة لها، ويغلبه بذوقه، ويخبر عنه بعد ذلك بغير الذي كان يخبر عنه قبل – فافهم !

حكمة ثانية وعشرون: ويقال الفقر حفظ السر المكنون، والعلم المضنون به والمصون، وأداء ما افترض، وصيانة الدين والمقام.

حكمة ثالثة وعشرون: ويقال الفقر هو الكمال الأول مع العلم، وهو الكمال الآخر مع المعرفة، وهو الجميع مع خالص الإنسانية.

حكمة رابعة وعشرون: ويقال الفقر هو الذي لا يطلب به إلا الله وإن طلب لذاته أعني الفقر مطلقًا لا خير فيه.

حكمة خامسة وعشرون: ويقال الفقر إذا تُصُفِّح وتؤمل وتتبع على أكمل ما يمكن قيل للفقير المتصف به فقير كما سمي اللديغ سليمًا، ويعتبر شأنه ولفظه بالعكس.

وهذا الفقر أعزك الله وأعانك على تحصيله بحبيبك الأول الذي لا يكون متحركًا ولا ساكنًا وهو ليس بجسم ولا في جسم.

وهو واحد من كل الجهات ووحدته بالذات، وبحبيبك الثاني الذي لا يكون متحركًا ولا ساكنًا وليس بجسم ولا في جسم ولكنه يقال فيه: إنه مع غيره الفاسق لا مرتكزًا ولا مربوطًا ولا مستندًا ولا ملتحمًا ولا حالاً.

وهو بالجملة لا متصلاً معه ولا منفصلاً عنه غير أنه يلازمه ملازمة النوع للعنصر والفاعل للمفعول ويشار إليه معه صحبة المجموع الإنساني مع أنه مفارق ومن قبيل المفارق.

وخلصك الله من حبيب ضدك وموضوعك وروحك وأكرمك الله بتحصيل أسباب السعادة بصلاح المادة والعبادة وحفظك في شأنك كله. حتى لا «ترفل في أثواب اللاهي ولا تغفل عن

=

ثواب الله»، فطالعه واحفظه وحافظ عليه وحصِّل مدلوله بالقول والعقل والحال والمقدمة والنتيجة والمسألة والجواب، ولا تبخل به ولا تمنعه عن أهله ولا تسمح في ذم فرعه وأصله وخاصة فصله. ولولا أنك محسوب عليَّ ومنسوب بمعناه إلى ما أسعفتك به، ولا قيدت لك فيه إلا ما يجمل بك وبأمثالك وأهل وقتك.

وشرطي عليك ألا يقف عليه أحد إلا الطلبة النبهاء والفقراء الفضلاء المحبون الأولياء، ولا يقرأه من المذكورين إلا من يتصفحه إلى آخره.

وإن علم منه أنه ينكره يؤخذ من يده، وإن توقع الضرر من لسانه وقلبه ويده ومن صعب عليه منه شيء يرحل به إليَّ. وإن عسرت حركته أو تعذرت يرجع به إلي، ونجيبه في الوقت بحول الله تعالى. والاستقامة هي رأس العمل مع العلم، وزوال الكسل والمَلَل. واعلم أن الشقي هو الذي ذهب شبابه بلذته، وارتهنه بتبعته، وخلف له التأسف عليه. والسعيد هو الذي علم أن أيام الحياة حلم، والموت يقظة، وفي الحساب تفسير أضغاثه. فجد واجتهد واكره دار الفواسق حيث الظل والذل والأبعاد الثلاث واللهو واللعب ولواحق اللهب، وتوجه إلى الحضرة السنية التي تبت بجحودها يدا أبي لهب.

وإياك والغفلة والتغافل فإنهما يستلان الخير ويخصصان السر. والغافل والمتغافل واحد، لأن الغافل تؤديه غفلته إلى الفساد، والمغفل يؤديه تغفيله إلى الفساد، فقد اتفقا في المحصول الذي هو الفساد. وليس ينفع المتغافل معرفته بما تغافل عنه إذا لم يستعمل فيه ما يجب، ولا يضر العاقل جهله بما لم يعلم إذا لم يعمل فيه ما يجب، لأنهما قد اتفقا في الإضاعة، وتباينا في العلم والجهل. وعليك بالهمة الجليلة التي هي سوق لا يتبدل إما العمر كله وإما في أكثر الزمان إلى الشيء الذي هو وكل الإنسان أن يفعله في حياته والخسيسة بضد ذلك. وبالجملة: إن كان الشيء الذي تطلبه الهمة جليلاً قيل في الهمة إنها جليلة، وإن كان خسيسًا قيل في الهمة إنها خسيسة. وعليك بالسيرة الجميلة التي هي الأفعال المحمودة التي يدور الإنسان عليها في حياته ويجعل وكده أن يفعلها ويتخلق بها ويعامل بها ذاته وغيره، ويجعلها مقدمته لمقاصده الكريمة. وعليك بالصناعة الرئيسة التي هي رئيسة على الإطلاق، وهي التي تعرف أي الصناعات والعلوم ينبغي أن تكون في المدن، وأي الصناعات والعلوم ينبغي أن يبلغ المتعلم اكتسابها باكتساب الشيء الذي يسمى خيرًا.

واعلم أنه لا بد لكل متوجه ولكل سعيد أو شقي أو غافل أو متغافل أو عالم أو جاهل من خير ما يتشوق إليه في شأنه الذي هو فيه ويطلبه، ولكنه لا يطلق الخير حقيقة، ولا يعقل إلا في الخير الذي هو سبب السعادة توجد عنده أو به أو معه أو فيه أو منه، أو إليه، أو عليه، أو عنه، أو له، ويطلع على لزوم الشرط والمشروط، مثال ذلك: الحياة شرط في العقل، والعقل شرط في العلم، والعلم شرط في العمل الصالح، والعمل الصالح شرط في الفضل، والفضل شرط في السعادة، والسعادة شرط في الكمال، والكمال شرط في الخير، والخير شرطه وأصله التخصيص، ولواحقه كثيرة هيئية وطبيعية بل العناية الإلهية خاصة.

وأنواع الخير ثلاثة: أحدها: الشيء الذي يراد لأجل ذاته ولا يراد في وقت من الأوقات لأجل غيره.

ثم المسكنة – شرط –:

وهي البقية الملتفتة للأسباب القاصرة عن مدارك الغايات، عكس (الشرف)[1].

ثم العمل – شرط –:

وهو حمل الأمانات مؤداة إلى أهلها، «**رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه**[2]».

=

الثاني: الذي يراد ويؤثر أبدًا لأجل غيره ولا يؤثر أصلاً ولا يُراد في وقت من الأوقات لأجل ذاته مثل الأشياء المؤذية المؤلمة كشرب الدواء المر الشنيع الطعم الكريه الرائحة، فإن هذه شرور بذواتها، وخير بالإضافة إلى الانتفاع بها.

والثالث: من هذه الأشياء هو الخير بالإطلاق، فعليك به وبما بعده.

والذي حملني على إفشاء هذا السر الذي لا يظفر به في كتاب ولا سمع في معتاد خطاب ما ظهر في زماننا هذا من آراء فاسدة وأحوال سيئة، وقلة استقامة في بعض الفقراء وعدم الإنصاف في بعض الطلبة وسوء ظن العامة في الجميع مع غيره من المشار إليه ويشاور ويشار إليه، ويعول على الله لا عليه.

وأنا أسأل الله العظيم أن يعينني على الخير ويوفقني إلى قبوله، وأسأل الواقفين على هذا الكلام أن يقبلوا عذري فيما تساهلت في تبيينه، وتسامحت في تعليمه وتثبيته، لأنني أمليته في بعض يوم على بعض الأصحاب والخاطر منقسم بالداخل إلى الخارج عني، ولم يتسع الوقت لتصفحه وتبديله.

ومن زعم أن يصل إلي ويباحثني ويطالبني فيه فأهلاً وسهلاً به.

ومن غلبت دعوته عليّ استطاعته يمهل عليه وتدفع الفائدة برفق إليه، ولسان حالي يسلم للمنصف ويسلم عليه، ولسان مقالتي يحمد الجميع ويعظم الكل.

ولقد أطلقت على الرجال في الكلام الأول ما نعلم ونتحققه أنه غير جارٍ ولا جائز عند الأكثر.

ولكني غلبت النصيحة على السياسة والحق أحق أن يتبع، والسلام على المنكر والمسلِّم، والعالم والمتعلم، والغالط والمتغالط ورحمة الله وتعالى وبركاته.

وسميتها لأحد أولادي بالعرض ولكافة الفقراء ولجميع من انتسب إلي بالذات والصفات فيما بالقصد الأول، ولجميع من ذكر بالقصد الثاني.

ومُعادُ التحية عليكم معشر الفقراء حيث كنتم من البسيطة، ومن العوالم الثلاثة بحسب مراتبكم من عبد الله، عبد الحق، الكثير بالقول، الواحد بالموضوع، الواجب بآنيته، الممكن بهويته، ورحمة الله تعالى وبركاته. وانظر: الرسالة الفقيرية (ص 82) بتحقيقنا.

(1) في (ب): الأشراف.

(2) رواه أبو داود (322/3)، والترمذي (33/5)، وابن ماجه (86/1).

ثم التآلف – شرط –:

وهو ترغيب في ملائم معلق على رخصة مراعاة لضعف الهمة.

ثم فك الرقبة – شرط –:

وهو التحايل في خلاص الهمة من عوائق الطبع ورعونات النفس.

ثم العزم – شرط –:

وهو حسم مادة تعلق التبعات.

ثم الجهاد – شرط –:

وهو استعداد بحسب الطاقة والاستطاعة لدفع العوارض المانعة، حتى ﴿**يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ**﴾ [الأنفال: 39].

ثم ابن السبيل:

وهو المسافر في أدوار أطوار التقلبات القلبية، والمتحير في فلوات إِشكال أشكال التلونات النفسانية.

نظامهم في عين الجمع بالروحانية الجسمانية، والحساسية، والنفسانية، والعاقلة، والقلبية، والروحانية، والسرية، والفؤادية، مفردات عين العرش، ﴿**وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ**﴾ [الحاقة: 17].

صورة زكاة الفطرة:

﴿**فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**﴾ [الروم:30]، يقوم بها الأكبر عن الأصغر بشرط تعلقه به سببًا أو نسبًا.

الأول: بالرق والصحبة الملازمة.

والثاني: (بالأينية والآنية) [1] «**من علمك آية من كتاب الله فقد ملكك رقًا**»، «**وكفى بالرجل إثمًا أن يضيع من يعول**»، «**وكلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته**»، ولأنه من بلغ حد الرجولية - في محل ﴿**فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا**﴾ [البقرة: 58]، وهي الجنة البرزخية التي هي الوصل بين العالمين والسبب القريب من

(1) في (الأصل): (بالأبنية والآبية).

الأفقين – انخلع عنه بالقوة الطلبية لوح قلبه، ومستقر انخلاع صوره البارزة من خزائن مستودعات قلبه «**انكحوا النساء فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة**[1]» فإذا نكح لسان الصادق سَمْعَ الصديِّق؛ ولدت صورة المعاني في بواطن الفهوم، ﴿**وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى**﴾ [الضحى: 8].

صورة رمضان :

اسم الله القيوم باللوح المحفوظ، موضوع الفرقان من التنــزيل الرحماني، بالآيات القولية من الأفق المبين، أيامه سور، آياته تفصيل كل شيء من الأحكام الخلقية، باطنه الكتاب المكنون، منــزل آيات الملائكة والروح من كل سر مصون، وأمر حكيم ﴿**خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ**﴾ [القدر : 3]، وهذا السميع المطيع.

﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شيئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾ [يس : 82]، هو ذات التكوين والتطوير والتكثير، في الملك والملكوت والجبروت، هيولاني الوجود، معدوم عند السلب، ﴿**مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ** ﴾ [الأحقاف: 3]، وهو حامل الأمانة، قيّوم المراتب، ممدوح في مراتب الإقبال، مذموم في مراتب الإدبار، «**أول ما خلق الله العقل قال له أقبل فأقبل ثم قال له: أدبر فأدبر**[2]».

---

(1) رواه أبو داود (220/2) بنحوه.

(2) رواه الديلمي في الفردوس (13/1). فقد أسند الحق سبحانه الجزاء إلى نفسه مع أنه المجازي لكل عمل؛ لزيادة العناية بالصوم؛ لأنه صفة صمدانية، وقد تخلّق بها الملائكة جميعًا، وكذا بعض البشر؛ كإدريس ؛ فإنه لم يأكل، ولم يشرب، ولم ينم ستة عشر عامًا حتى رفعه الله مكانًا عليًّا، وعلوّه بحسب قطبية للأمكنة العُلوية والسفلية، فإن الرابع مقر الشمس ومدارها.
ومنه يعرف قطبية إدريس إلى هذا الآن؛ لأنه حيٌّ باق، وأقطاب كل عصر إنما هم نوابه، وأيضًا قطبية الصوم بالنسبة إلى سائر الأخلاق، فإنه لتحسين الأخلاق؛ فهو مدار الأخلاق كلها، فإذا تمّ التحقق به، وكَمُل؛ كان مبيت الصائم عند الله تعالى، فلا يفطر إلا على علوم لَدنية.
وقد وصل حضرة الشيخ الأكبر قُدِّس سرُّه الأطهر، وهو في درباء المغرب إلى تسعة أشهر.
وأمَّا عقال المغربي فمكث في مكة المكرَّمة أربعة أعوام لم يأكل ولم يشرب إلى أن مات عليه؛ لانسلاخه عن حال الطبيعة، وأمر البشرية بالكلية، ومنه يعلم أن مُثلّثه لا يحتاج إلى بدل ما يتحلَّل؛ لأن عروقه مملوءة بالأنوار، والنور يفعل لصاحبه من القوة ما لا يفعله الدم.
=

فإمساك أيامه من طلوع شمس فرقانه، إلى غروبها في مغرب ليل محوه وإجماله، مؤكد عن صور آيات (مفعولاته) [1]؛ فإذا غاب شمسه وفقد أمسه، انحل عقال الواجب، واستبيحت حرم أحكام المراتب، ﴿سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الفَجْرِ﴾ [القدر: 5]، وهي بياض الخط الأبيض من الخلط الأسود، إذا حضر الغائب وصحا السكران ترتبت أحكام الفرقان؛ ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة:185] فإذا كَمُلَ العدد وانقضت مدة الأمد، امتنع إمساك إجماله وتفصيله، وارتفع حكم تصحيحه وتعليله، وتساوى محوه وإثباته،

=

وربما يعود الصائم إلى صورة الطبيعة؛ كحال النبي ﷺ، ومَن يُتابعه في هذا المعنى لكنه مُفطر صورة، وصائم معنى؛ لأنه دائم في صلاته، وإنما يترقّى من طبقة إلى طبقة كما دلَّ عليه قوله ﷺ: «أرحنا بلال»؛ فإنه أراد الإراحة بالصلاة والدخول فيها.

واعلم أن تقليل الغذاء في حكم الصوم أيضًا؛ لأن قدر ما يقوم به البدن لا يُعدُّ من التنعُّم؛ ولذا يُوصي به الحكماء الإلهية في كل عصر، ومَن لم يهتدِ إليه بقي في تيه طبيعته، حائرًا عن السداد، ومَن لم يَهدِ الله ما له من هاد، فأرباب الشريعة لهم أكلتان؛ لغلبة جسمانيتهم على روحانيتهم، وأرباب الحقيقة لهم أكلة واحدةٌ في يوم وليلة؛ لغلبة روحانيتهم على جسمانيتهم.

ثم اعلم أنه أخذ من الحديث القدسي المذكور: إن الصوم له تعالى دون غيره من الأعمال؛ بل هي لنفس العامل؛ ولذا كان تعالى بنفسه جزاء للصائم، فإن قلت: قد ورد في المخاطبات موسى عليه السلام أن الصلاة ونحوها إنما هي للعامل نفسه.

وأمَّا ما كان لله تعالى؛ فهو موالاة أوليائه، ومعاداة أعدائه، فما التوافيق بينهما؟ قلت: إن الصوم عمل مخصوص لله تعالى واقع بينه وبين العبد، والموالاة والصلاة المذكورة، قلت: عمل مخصوص لله تعالى واقع بين العباد.

فالصائم: عمل لله تعالى فيما بينه وبينه، والموالي: عمل فيما بينه وبين غيره من العباد، فكل منهما مخصوص له تعالى في مرتبة، وفيه إشارة إلى فضيلة الموالاة والمعاداة المذكورتين؛ كفضيلة الصوم، وهذا لا ينافي أن يشهد المكاشف في كل مشهد أسماء الله تعالى وشؤونه، فإن العبرة في الحقيقة للمتعيِّن لا للتعيُّن.

فلا ولي إلا لله، ولا عدو إلا ما سوى الله، كما قال تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء:77].

وقال تعالى: ﴿قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾[الأنعام:91]: أي الأسماء، والتعيُّنات، وتعلُّق بالذات المسمَّاة بها فإنها هي الأحرى بذلك.

(1) في (أ): مفعولات.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور:19]
﴿لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلاَ تَأْثِيماً إِلاَّ قِيلاً سَلاماً سَلاماً [الواقعة:25، 26].

صـورة الصوم:

«**الصوم فإنه لي وأنا أجزي به**[1]»، ولأنه ترك، والترك سلوب مادية خلع وتجريد؛ فلا يزال ينخلع ويخلع من فرقان حكيم وقرآن عظيم، حتى يخلع عليه خليعة ﴿لاَ مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾ [الأحزاب: 13] فيكون منه ضرب مثل من خلع المقام، وترك الطعام والشراب والنكاح ضرب مثل من التجريد فيه، عن زي الرسوم الصورية، وتبهجات نتائج الأحوال الطبيعية، كذلك إلى غروب شمس فرقان ذلك المقام، وهو العقل المستفاد؛ فينشأ ليل تجريد وسلب، وبطون وفقد، غير أنه يتلبس فيما تجرد عنه في مظاهر يومه ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة:187]، فلا يزال مجردًا في لباسه -لا ينافي تجريده- إلى أن تنقضي أيامه ولياليه، ليس عند ربنا ليل ولا نهار؛ فعند ذلك يكمل التجريد ويُتم كلمة التوحيد، وتتحقق كلمة:

﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [محمد: 19] في النفي والإثبات؛ فيكون الله ثوابه لا غير، ولربما ظهر عليه في زمن تلبيسه وتجريده ما تستشفه النفوس والعقول وتقبحه النصوص والنقول، «**وخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك**[2]»، «**إذا اجتبى الله عبدًا لم يضره ذنبه**[3]»، ويكره فيه زوال ما استقبحه مطبوع الحجاب، وهو حرمة السواك لطيبه عند الله.

صـورة الستة من شوال:

إتباعه بست تتمته لحفظ المراتب الظاهرية اختياراً لا قهراً، وهي الست التي خلق الله فيها السموات والأرض: المشاعر الخمس والحس المشترك، وقد تقدم

(1) رواه البخاري (2723/6)، ومسلم (807/2).
(2) رواه البخاري (670/2)، ومسلم (806/2).
(3) لم أقف عليه.

الكشف عن أسرارها[1].

(1) قال الشيخ إسماعيل حقي: في الحديث الصحيح: قال رسول الله ﷺ: «**مَن صام رمضان، ثم أتبعه ستًا من شوال؛ كان كصيام الدهر**».
الصيام: الإمساك، ومطلق الإمساك يشمل الإمساك الصوري؛ وهو إمساك الأعضاء والجوارح، وكل منها عمَّا لا ينبغي له، والإمساك المعنوي؛ وهو إمساك القوى الباطنة كل منها أيضًا عمَّا لا يليق له، ولا شك أن مَن قدر على هذا الإمساك؛ كان له مرتبة الصمدية، فله الإفطار عند الله تعالى بلقاء الله تعالى، ولم يقل: شهر رمضان مع أنه هو المراد مبالغة في الإمساك؛ لأن ما كان الله تعالى ينبغي أن يكون بجميع شروطه وقيوده حتى يقع في محل القبول عند الله تعالى.
وفي قوله: (ثم): إشارة إلى تفاوت ما بين صيام رمضان، وست شوال؛ لأن الفرض: إشارة إلى الوجود الحقيقي الوجوبي القدمي، والنفل: إشارة على الوجود الخلقي الإمكاني الحدودي، وتخصيص شوال إشارة إلى ارتفاعه عن شهور السنة بمزيد فضل يختص به؛ وهو التجلِّي الذاتي الذي وقع لنبينا ﷺ ليلة القدر، فاستمر إلى ست من ذلك الشهر.
فكان شهر رمضان الذي هو ثلاثون يومًا كل يوم منه ألف سنة عند الله تعالى بمنـــزلة ثلاثمائة ألف سنة، وست شوال بمنزلة ستين ألف سنة، فالمجموع ثلاثمائة، وستين ألف سنة؛ وهي من عمر الدنيا من أولها إلى آخرها، وعمر آدم منها جمعه من جمع الآخرة؛ وهي سبعة آلاف سنة، فكان الست منها إشارة إلى عمر الأمم المتقدمة، وجُعل تابعًا لعمر هذه الأمة المرحومة؛ لقوله ﷺ: «**نحن الآخرون السابقون**» فهم متأخرون صورة، متقدمون معنى؛ لتقدمهم في الأرواح، وفي دخول الجنة أيضًا؛ ليتطابق الأبد بالأزل.
وأمَّا الأمم الماضية فهم متقدمون صورة وشبحًا، متأخرون معنًى وروحًا؛ لتأخرهم في الأرواح، وفي دخول الجنة أيضًا؛ ليتوافق الأبد بالأزل أيضًا، فمدة هذه الأمة جامعة لمدد الأمم الخالية، ومَن قبلهم إلى أول الزمان؛ وهو زمان الكون والحدوث، فكان من عناية الله تعالى بهذه الأمة أن جعلهم أمة وسطًا، فكان من آثار فضلهم أن جعل الله تعالى صوم ستة وثلاثين يومًا بمنـــزلة صوم الدهر؛ وهو الزمان المطلق الساري في ثلاثمائة وستين ألف؛ فكانوا كأنهم صاموا من أول الدهر إلى آخره، وإن لم تبلغ أعمارهم تلك المدة؛ لأن الفضل إنما هو بالحكم لا بالعمر، فهذا سر التضعيف في الحديث.
ومَن لم ينتبه له؛ جعل الدهر بمعنى السَّنة، وفيه أيضًا قوله تعالى: ﴿مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام:160] يستدعي أن يكون صوم كل يوم: أي يوم كان مجزيًا بالحسنات العشر فلا يبقى لتخصيص رمضان فائدة، ثم إن فضل الزمان ليس بذاتي؛ بل إنما هو لمَّا وقع فيه من التجلِّي الذاتي الساري سره إلى ما قبله وما بعده؛ لأنه كما أن للتجلي الذاتي أحديته، فكذا للدهر؛ لأنه في الحقيقة عبارة عن الآن الغير المنقسم.
وفي مسلم: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ**»:أي شهر رمضان لِما ورد في الأثر: «لا تقولوا جاء رمضان؛ فإن رمضان اسم من أسماء الله تعالى»؛ والمراد بصيامه: الإمساك فيه بشروطه الظاهرة والباطنة حتى =

وكذلك عاشوراء تحقيقاً من الأيام العشرة الظاهرة والباطنة نحو ما تقدم.

=

يكون صومًا كما يقتضيه الشريعة، والطريقة، فإن الأجر الموعود الآتي لا يترتَّب إلا على ذلك.
قال ﷺ: «**ثم أتبعه ستًا من شوال**»؛ في ثم: إشارة إلى فضل الاتِّباع المذكور، ووجه العدد: إن التجلِّي الذاتي الذي وقع لنبينا ﷺ ليلة القدر استمر إلى الست من شوال؛ فكانت الست في حكم شهر رمضان، فإن ليلة القدر في الحقيقة، ويوم العيد عبارة عن: الزمان الذي يتشرَّف فيه العبد بألطاف الله الخفية.
فكل ليلة وقع فيها التجلِّي الذاتي لباطن العبد فهي ليلة القدر، ثم الأفضل عند أهل الحقيقة وصل الإمساك بيوم الإفطار الذي هو يوم العيد، كما يقتضيه أيضًا، ثم إذا حُملت على التراخي وتنكير ست فاعرف؛ ففيه دليل لكل مَن ينتحي الاستدلال.
كان المذكور من الصيام والأتِّباع كما في قوله ﷺ: «كصيام الدهر»[1]: أي السنة أو العمر، فإن الدهر هو الله تعالى، وصيامه إشارة إلى صمدانيته التي لا تقتضيه الأكل والشرب ونحوهما؛ يعني: كان ذلك اتصافًا بصفة الله تعالى، وهو التنـــزُّه في مدة العمر عن الأمور الطبيعية البشرية؛ ولذلك أورد الست على التأنيث؛ إشارة إلى الليالي، فإن الست مع ثلاثين.
وكذلك الست معها تبلغ إلى الاثنين وسبعين؛ وهي مدة العمر لهذه الأمة غالبًا، وعندها يُغلق باب التوبة الذي بين مصراعيه سبعون سنة، هذا من خواص شهر رمضان.
وأمَّا صوم غيره فليس بهذه المثابة؛ بل كل يوم عشرة على مُقتضى قوله تعالى: ﴿مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام:160].
فالحديث المذكور يُخصِّص هذه الآية، ففرَّق بين عموم الحسنة وخصوصها، وربما يكون الحسنة الواحدة من واحد من المقرَّبين تملأ ما بين السماء والأرض بخاصتها التي هي الإخلاص، فإن الإخلاص سرٌّ من أسرار الله أيضًا لا يودعه الله إلا في قلب مَن يشاء من عباده.
ولا شك أن السر أوسع من الروح، أوسع من الجسد، وذلك أن الجسد من عالم الملك، والروح من عالم الملكوت.
كما دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [يس:83]: أي روحه الذي يلي الحق؛ ولذا يقبضه الحق بيده.
وأمَّا السرُّ فمن عالم الجبروت، وسرُّ السرِّ من عالم اللاهوت، وربما يطلقون السرَّ ويريدون به سرَّ السرِّ؛ وهو السرُّ المطلق الساري في الأرواح الإنسانية، وهو مكشوف عند الإكليل، مُخفى عند غيرهم، وبه يظهر الفرق بين العارف والجاهل.
فطوبى لمَن صام الدهر كله؛ وهو مفطر.
فإن الصوم الحقيقي ليس بصوم الوصال صورة؛ بل بصومه معنى، كما قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ**﴾ [المعارج:23].
فعليك بإدامة العمل حتى يبقى ذكرك، وتكون أنت الحي الباقي إلى يوم التلاقي.

وأما يوم عرفة إذا لم يكن حاضر الجمع فلا بأس إن شاء[1].

---

(1) قال الحكيم: ذكر علَّة صوم يوم عرفة وعاشوراء والاكتحال فيه: وأمَّا علَّة صوم يوم عرفة: ما ذُكر عن النبي ﷺ أنه قال: «**كفَّارة سنتين سنة قبلها وسنة بعدها، وصوم يوم عاشوراء كفَّارة سنة**».

فإن الوفد قد برزوا إلى الله – تعالى – واقفين معتذرين إليه في ذلك المشهد العظيم، قد ألقوا إلى الله – سبحانه وتعالى – بأيديهم تسليمًا مسلِّمين نفوسهم إليه، فمن صام يومئذٍ في سائر المواطن فقد تشبَّه بهم في البروز إليه مانعًا نفسه شهواتها، واهبًا نفسه لله – تعالى –.

ومن شأن الوفد أن يغفر الله لهم ما مضى، ويحفظهم فيما بقي، وكما أخذ هذا الصائم بحظ من هذا اليوم، فكذلك يُعطيه ويُكفِّر عنه بهذا الصوم سنةً قبله وسنةً بعده، والوافد يُكفِّر عنه بذلك الوقوف جميع السنين قبله، وجميع ما بقي من عمره.

وأمَّا علَّة الصوم يوم عاشوراء: فإن الدنيا كانت تقرضت من زمن نوح عليه السلام، وهلكت بمَن فيها ولم يبقَ إلا سفينته ومَن فيها، وعلا فوق كل شيء أربعين ذراعًا من المشرق إلى المغرب، واستوت السفينة على الجودي يوم عاشوراء، وسلَّم الله – تعالى – على نوح عليه السلام وعلى أممٍ ممَن معه في صلبه وهم: الموحِّدون، وبارك عليه وعليهم.

فقال ﷻ: ﴿**قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ**﴾ [هود: 48].

فاستثناهم من الكفار، ولم يقل: أمم معك، ولكن قال: ممن معك.

وردَّ عليهم الدنيا يومئذ مع البركة والسلام؛ لأنه أمره بالهبوط إلى الدنيا؛ ليتبوأ هناك مستقرًا، وينمِّي ذريته بتلك البركة، فصام نوح يومئذ وأمر مَن معه بذلك حتى الوحوش في السفينة، فمن ذلك اليوم يصوم الوحوش يوم عاشوراء.

وقد ذكرنا أن الصوم هو: امتناع من الشهوات، وهو الزِّهادة في الدنيا، واستقبل الله بردِّ الدنيا على أهلها استقبالاً، فتلقَّاه نوح عليه السلام ومَن معه، بقبولها مع الزِّهادة فيها، وهو الصوم شكرًا لله ﷻ عليه، فإن من شكر الله أن يقبل نِعم الله – تعالى – لأنها نعم بلوى لا نعم ثواب، ولأنها نِعم دار الغرور لا نِعم دار السرور والقرار، ولأنها دار المقرِّ، فصام يوم عاشوراء زِهادةً في الدنيا، ففي كل يومٍ من الدنيا إذا جاء ذلك اليوم والغبار فيه شكرًا لله، ففي قَبول الدنيا من الله على الزِهادة فيها وعلى السلامة والبركة من الله.

ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ: «**مَن وسَّع على عياله في يوم عاشوراء وسَّع الله عليه في سائر سنته**».

فهنا من أجل أن هذا الموسِّع على عياله يومئذ هو مبوِّئ لنفسه وعياله في وطنه، فصار في هيئة نوح عليه السلام يومئذٍ فناله من تلك البركة؛ لأنه قيل له : اهبط لتبوِّئ لأهلك وعيالك في الأرض، فإنما هبط معٍ السلام والبركة.

فكل مَن أراد أن يحتظي من ذلك السلام والبركة فينبغي له أن يكون في ذلك اليوم في هيئة
=

صــورة:

تتنـــزل ذات الإنسان بحقائق آيات سور الفرقان، بكلام وقول وحديث، كل أفق من هذه الآفاق الثلاثة متنـــزل في نهاية العدد وهي العشرة كما تقدم من مراتب العدد، حقائقها العشرة: المشاعر العاقلة والحساسية.

فالكلامية منها: عالم الجبروت، وهي أيام الله بما انطوت عليه من سماوات وأرض وعرش وكرسي ولوح وقلم وجنة ونار إلى غير ذلك مما لا يحصيه الاستقصاء.

ثم الأيام القولية – معلول الكلامية –: عالم الملكوت كذلك في حصر العشرة من المشاعر الظاهرة والباطنة وهي هنا أيام الله نسخة ما فوقها.

الثالث منها: أيام الحق ومظاهر عالم الملك، ونتائج مركبات الخلق، نسخة ما فوقها بالمفعولية لا بالمعلولية، ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ﴾ [الزمر: 6] ؛ فإذا ترقت القوى من عالم الحديث إلى عالم القول، وسرت من عالم القول إلى عالم الكلام، وافتتحت باب واحد آحاد عشرته، كان وقت التماس ليلة القدر في مراتب أفراده لا أزواجه، بالقيام والاعتكاف، وهي الإقامة في بيت الرب، والاستتار عن مشاهد الأغيار،﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً﴾ [الكهف:20]، وهي إقامة على تجريد وتفريد عن ملامسة الزوجية جملة، ولأن المقام أحدي لا زوج له ولا تولد فيه، وما هي إلا تجليات ربانية وحقائق إلهية، تتنـــزل في لطائف روحانية،

=

نوح عليه السلام من التبوئة لنفسه وعياله في مستقره، فإذا فعل ذلك احتظى من تلك البركة، ووسَّع عليه سائر السنة؛ لأنه وفَّى بالزهادة حيث وسَّع وقدَّم صدقة.

ومن هاهنا قيل: مَن اكتحل يوم عاشوراء بإثمد لم تتجع عينه، وعوفي من الرمد تلك السنة؛ لأن الكحل مصلحة للعين، فقد بوأ البصيرة في عينه مستقرًا، فاحتظى من تلك البركة ما يوقي الرمد؛ لأنه قد أخذ بحظ من التبوئة، وبوأً لنوح عليه السلام لنفسه مع الزهادة فيها؛ وهو الصوم الذي صامه يومئذٍ، وأمر مَن معه بذلك، حتى الوحوش فقد ردَّ الله – سبحانه – عليهم مراعيهم وبراريهم. انظر: علل العبودية (ص 96).

ورقائق أمرية، ودقائق ملكية، فليس إلا تسبيح وتحميد وتنـــزيه وتمجيد وتهليل وتوحيد وسجود وخشوع وقيام وركوع، كل ذلك ولا غير ولا عدد، بل في حيطة الواحد الأحد؛ فإذا أراد المعتكف تنفيذ إرادته، أرسل رسول أمره لإصلاح شأن ملكه وملكوته، ولأن القلب محل الإخلاص، والإخلاص حضرة من ﴿لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: 103].

صـورة الحج:

الحج[1] قصد وسط، مختار وَجهَهُ قِبَلَ كل وِجهةٍ من جميع جهاته، مركز محيط

(1) قال الشيخ العلواني: فصل في روح وصل في الحج: روح فرقاني في روح الحج: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ [آل عمران:97].

وفي روح آخر: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَـٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾[البقرة: 197].

فالحج فيه من أرواح الفصل وهي أرواح المفارقة لروح البلد والوالد والولد فروح الحاج روح مفارق لكل عائق عن أرواح الوصل وله أرواح وصل على قدر المراحل والمنازل، وعلى مقدار أرواح الخطوات، وأرواح الحركات والسكنات فكل حركة وسكون ووصل وفصل في أرواح الحج أرواح قرب من الله وبذل الأموال والأنفس أرواح حب لله وأرواح تعظيم لله ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [الحج: 32].

روح بيان في روح الأركان في أرواح الحج الإحرام وهو روح نية الدخول في الحج بأن يقول نويت الحج وأحرمت به لله تعالى أي قصدت الدخول في أعماله.

الروح الثاني من أرواح أركانه: طواف الركن ثم الثالث من الأركان: السعي بين الصفا والمروة ثم الرابع من أركانه: الوقوف بعرفة ثم الركن الخامس: الحلق.

وبه يكون التحلل من الإحرام مثل ما أن التحلل من الصلاة بالسلام وروح الحج روح تجريد من الأرواح المكروهة فلا رفث أي فلا روح فحش في قوله ولا عمل ولا فسوق وهو ارتكاب الكبائر وإصرار على الصغائر ولا جدال ولا خصام في الحج ليكون روحًا مجردًا لله.

وروح البسط في أرواح الحج طويل وروح القصد من روح الحج تجريد الروح لله مع روح التوجه إلى إقامة أرواح المناسك على الأرواح المحمدية ومن أرواح السنن الزكية كثرة أرواح الطواف فإن أقل شيء يجده العامل في كتاب أعماله يوم القيامة.

=

كقرص الشمس، وضوئها بيت الرب، بما بطن فيه من أحدية ذاتية، وظهر عليه من واحدية صفاتية، من حيث: «**خلق الله آدم على صورته**[1]»، وكذلك ﴿**وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي**﴾ [صٓ : 72] أركانه بالذات والصفات والأسماء والأفعال.

الحجر الأسود ركن ذاتي، وبما بطن فيه من الحقائق الميثاقية، والرقائق العهدية، والدقائق الكلية والجزئية، أسبل عليه السرادق الأطلس ظلمة الذات، منبع أوار الصفات؛ فكان إنسان العين، وسواد نورها الباهر حيث يدرك ولا يدرك، ﴿**لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ**﴾ [الأنعام : 103]. الذي يليه من الحجر أسماء تنكيره، كذلك الذي يلي الذي يليه مقر أفعال تستيره، والذي يليه من اليمان مشرق أسمائه الحسنى وصفاته العلى، ولذلك كان بالاستلام، كما [أن] الآخر بالالتئام، «**سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر**»، المقام مصلاه المنفصل، والحِجْرُ مصلاه المتصل، هذا بالظاهر، وهذا بالباطن. حقيقة وحق.

ولما كانت القطبية بالتثليث، في الإلقاء والتلقي، كان هو الوسط المفيض على قطب الدوائر الظاهرات، وكذلك قطب الدوائر الباطنات؛ ﴿**إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ**﴾[قٓ : 17] ،أبي بكر وعمر، السمع والبصر.

زمزمه ينابيع حكمته، باطنه بحر مداد كلمات حقائقه، حرمه منتهى نور سراجه لا نور شمسه، الأول بالغاية، والثاني لا غاية له؛ فحرم منتهى نور سراجيَّته من

=

ومنها مشاهدة روح الكعبة وشرب ماء زمزم، والنظر في روح البئر وكل روح من أرواح الصلوات المفروضات في الحرم بمائة ألف صلاة وزيادة الروح المحمدي من أرواح الندب فلا يترك زيارته مع روح الاستطاعة إلا من أراد الله أن يحرمه من روح الأنس وقد يحرم من أرواح الشفاعة فعلى ذلك الروح الأطهر (ألف، ألف، ألف، ألف) روح من الأرواح إلا قمر والنور الأحمر.

والحج فيه روح كشف عن الروح الإنساني من أرواح الكبائر فيكون له بذلك روح من الخفة فيخف في سيره إلى الله وروح الهداية وأرواح العناية من الله. وانظر: «الأرواح» (ص 62) بتحقيقنا.

(1) تقدم تخريجه.

داخله كان أمنًا لا يُنفَّر صيده ولا يعضد شجره، ويتخطف الناس من حوله «افعل ما شئت مغفور لك»، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب : 33].

أمَّا بَابَاه: فسرّيّ وجهريّ، سد الباب السري، لما بقي في النفوس من الشرك الخفي، وكذلك إدخال الحجر في البيت، ولقوله صلى الله عليه وسلم لعائشة: «**لولا أن قومك حديث عهد بكفر لأدخلت الحجر في البيت، وجعلت له بابين**[1]» وقد كان، فسد الواحد غيرة في تنكير وإنكار، وأبرز الحِجر امتنانًا في غيرة، فأسبل الستر على السر، ووضع الحَجر على الحِجر، وأفيض عليه من ميزاب الرحمة، المستقي عن ظاهره «**أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم**[2]» «**ما صبَّ في صدري شيء إلا صببته في صدر أبي بكر**[3]».

ولذلك شرع الطواف حوله، والسجود لظاهره، فالطائف يطوف طوفان الحائر ويسجد سجود المعترف القاصر، ولأنه باطن لا حيرة فيه ولا قصور، موضع نور شمسه في فلك أحديته؛ فهو أحد لا يتبعض، وقبلة كله لا يستدبر، ونور حق، وكشف بيان، لا يطاف عليه، ولا يحار فيه، نقطة السمع والعيان، والإفصاح والتبيان، ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت:11] فهو الحبة المفلوقة، والنواة المفتوقة؛ فهو أصل الكلمة الطيبة، والشجرة الثابتة:

﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم : 24].

وبما كانت النفوس الأرضية والدقائق الحبيَّة، مضطربة من سطوات، قال لها متموجة تحت عظمة ﴿ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً﴾،[فصلت:11] أُرسيت بمراسي جبال العقول الثابتة بالعلم، القائمة بحكم الأمر.

وجعل عرفه خارج نورها السراجي بقرب متصل، كان ذلك لحكمة التعريف

(1) رواه البخاري (574/2)، (2646/6)، بنحوه.

(2) رواه الديلمي في الفردوس (45/1)، وذكره العجلوني في كشف الخفاء (251/2).

(3) ذكره الهيثمي في المجمع (551/9)، وهو حديث ذكره السادة الصوفية في كتبهم ويعتقدونه.

بحرمات الربوبية، والتشرف بزين آداب مشاعر الإلهية، ولأن «**الحج عرفة**[1]»[2].

---

(1) رواه الترمذي (237/3)، وابن ماجه (1003/2).

(2) قال سيدي عبد الحق ابن سبعين في رسالته في عرفة: فمن أدرك عرفة قبل أن يطلع الفجر فقد أدرك، وهو حديث انفرد به هذا الرجل من الصحابة، إلا أنه مجمع عليه، واختلفوا فيمن وقف بعرفة بعد الزوال، ثم دفع منها قبل غروب الشمس، فقال مالك: عليه حج قابل، إلا أن يدفع قبل الفجر، وإن دفع منها قبل الإمام وبعد الغيبوبة أجزاه.

وبالجملة فشرط صحة الوقوف عنده هو أن يقف ليلاً، وقال جمهور العلماء: من وقف بعرفة بعد الزوال فحجه تام وإن دفع قبل الغروب، إلا أنهم اختلفوا في وجوب الدم عليه، وعمدة الجمهور حديث عروة بن مضرس، وهو حديث مجمع على صحته قال: أتيت رسول الله ﷺ بجمع، فقلت: هل لي من حج فقال: «من صلى هذه الصلاة معنا ووقف هذا الموقف حتى يفيض وأفاض من قبل ذلك من عرفات ليلاً ونهارًا فقد تم حجه وقضى تفثه»، وأجمعوا على أن المراد بقوله في هذا الحديث «نهارًا»، أنه بعد الزوال، ومن اشترط الليل احتج بوقوفه بعرفة ﷺ حتى غربت الشمس.

لكن الجمهور أن يقول إن وقوفه بعرفة إلى المغيب لما روي من حديث عروة بن مضرس أنه على جهة الأفضل، إذ كان مخيرًا بين ذلك، روي عن النبي ﷺ، من طرقٍ أنه قال: «عرفة كلها موقف، وارتفعوا عن بطن عرفة، والمزدلفة كلها موقف إلا بطن محسر، ومنى كلها منحر وفجاج مكة منحر ومبيت».

واختلف الفقهاء فيمن وقف من عرفة بعرفة، فقيل: حجه تام وعليه دم، وبه قال مالك، وقال الشافعي: لا حج له، وعمدة من أبطل الحج النهي الوارد عن ذلك في الحديث، وعمدة من لم يبطله أن الأصل أن الوقوف بكل عرفة جائز، إلا ما قام عليه الدليل، قالوا: ولم يأت هذا الحديث من وجه يلزم بهذه الحجة والخروج عن الأصل، فهذا هو القول في السنن التي في يوم عرفة.

وأمَّا الفعل الذي يلي الوقوف بعرفة من أفعال الحج، فهو النهوض بعد غيبوبة الشمس وما يفعل بما تركناه لكونك لم تسأل عنه، ومن الناس من يريد جوابه أن يكتب مطابقًا ولا يكون زائدًا ولا ناقصًا ولا معدولاً، ولعلك كذلك، والحكيم ينظر في المصالح النافعة المدبرة المفيدة وبحسب الحق والمحق الواقع في الوجوه بعد إذا لم يجد ذلك من جهة المخاطب القريب، وهذا أجل وأكمل بكثير من الأول، والأول يصرف في الجدل، وفي بعض العلوم النظرية قال له أول الوجه الأول لا حاجة لي بعد ذلك، وانصرف وسلم بعد ما علم، واعترض الرجل المتوسط في ذلك الوجه عليهم فقال له: لأي شيء أنت أكبر ولم يظهر بماذا، وهذا الاسم لن يصح لك إلا على الزيادة، وبعد لم تظهر فافتح ما وراء العادة، وحرز طريق السعادة وما يحمد من العبادة وأنَّا نؤمن بجميع ما تذكر ونغتبط، قال: الإسعاف سيرتي، والإنصاف شرف سريرتي.

اعلم أن هذا اليوم وهذا الموضع وهذا الوقت وهذه النية في هذه العبادة من هذا العابد استدعاء ما في القوة من الكمالات، وما من أجله وجد التكليف لكي يبصر داخل الذهن، أو يحرر من عالم =

=

الملكوت ويحصل للنفس حضورها المنسوب إلى ضمير المكلف حتى يطلع على الأرواح المفارقة ويتوجه إليها، ويثبت بالآنية بعد ما طاف حول الهوية، ويستروح نفحات القرب، ويرسل قصده بالتذلل إلى الجلال المبصر بالماهية المضافة، وهي هي بعد ما كانت تظهر على مظاهر خفية، فيلحظها الذهن ويهرول، ثم يغيب عنه فيسكن، ويجتمع بعد ما كان قد تبدد في الأفعال، ويعامل المقصود بالمباشرة الخبرية، ويقيده بحقيقة الكنه المشترك، وينظر نكتته التي تكفيه مرض العادة، ولا يمكن معها الطلب على الأول؛ لأن تلك الذنوب كانت تقال على الهوية المبعدة بالمغايرة، قال له المتوسط المذكور: قد أخذت قصدي فكف عني ما وراء ذلك، فإن المؤمن لا يصلح به أكثر من ذلك إذا كان من المحسنين فالقوة والقصد والاستعداد.

قال له: هو الكلام على العموم من جهة المضاف فقط، وهو بحسب الرجال، ومن حيث المراتب، وها أنا نخبر آخر ذلك على الوجه بذلك كله، ونحسن إليه فإنه في مقام الإحسان، وقال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاء الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾ [الرحمن:60].

فنقول: يوم عرفة هو اتصال النسب، وقطع لواحق السبب والخروج عن ذل الأغراض المهلكة، والدخول في العالم الأعلى بالجوهر، ومشاهدة أول علامات الحد، والتعرض إلى نفحات خيرات المطلع حتى يبصر أو ينبصر أعني: يبصر بالجوهر المعني المقوم لوجوده، أو يعلم ذلك أنه كذلك، هذا إذا كان أمره بالوجه الأكمل، وأمَّا إذا كان بغيره الأنقص فيكون على جهة الشعور، أو يكاد يظفر بالسكينة الوهمية، قال له: تكلم بما يجب لك ومن حيثك، فإنك تكلمت بما عندي وبالوجه الذي نعلمه، ولم نفقده قط، قال لا طاقة لك على ذلك كله إلا به، وهو قد خصص وخلص وعين، لا أنه أهمل واستدرج، ودبرك تدبيرك المريد، وحرمك نور المراد، قال له: تكلم بحاصلك القريب مني بالمرتبة، فإذا فعلت ذلك اتركني مع المنعم فلعله يعلم ويلهم ويفهم ويقرر، والغرض منك الكلام عليها من كل الجهات وتطلع الكلام عليها حتى إلى عالم، ثم إلى القريب مني فقط، قال له المذكور: عرفة هي وظيفة شرعية، قال له: هذا قد علمته، قال له: عرفة اسم موضع، وهذا الاسم وضع بإزائه، وقد قيل أنه من الأسماء المستعارة، أو من المشتقة، وقصة آدم مشهورة، وتاريخ الخليل كذلك، وجميع ما قيل في هذا الاسم، وفي هذا الموضع وفي هذه الوظيفة هو من هذا القبيل، وقد قيل أنه من أسماء المرتبة التي يظفر بها هناك، وقد قيل أنه من أسماء الوقت.

وقد قيل أنه أخذ من بعض لواحق المعرفة وغير، وقد قيل أنه كان جوابًا من أحد الرجال لآخر حين سأله عن الحاصل في ذلك، وعن المدرك من الإنسان الكامل هل عرف معلومه على ما يجب في ذلك الموضع، وبحسب هذه العبادة، قال: نعم، عرفه، وقد قيل أنه من أسماء النفس، وقد قيل أنه من المنازل المستقيمة، وقد قيل أنه من أمثلة التجلي[2]، وقد قيل أنه من فصول المواقف المحصلة للمطلوب على العموم، وقد قيل فيه أنه قضية الفيض والتخصيص، وقد قيل أنه حكاية السالك الأول في الأرض المتشبه بحكاية الأول في السماء، وقد قيل فيه إنه زمان نصيب السعداء، وقد قيل: إنه بشارة واردة في دار الغرور، وقد قيل أنه من خواص الأنبياء، وقد قيل أنه

=

=

في الأمور العملية مثل الحروف المرسومة في أوائل السور.

قال له: قد علمت ذلك، وقد خرجت عن المراتب الخبرية والخلقية الخاصة والعامة، قال له: فأنت تسأل عن وزنه وفعله، أو عن تصحيفه وقلبه، أو عن مثاله أو حكمه، أو عن فائدته المشتركة، أو عن علته، أو عن اسمه، أو عن واضعه، أو عن جملته؟ قال له: جميع ما تصف لا حاجة لي به، ولا يمكنني البحث فيه من حيثك، وإنما يجب البحث فيه من جهة الأعلى فقط، فقال له: صدقت يوم عرفة من أنواع التصريف والخواص الفعالة، وفيه الكشف الكريم، وهو من الأسماء المرسلة، وله علامات لا يعلمها أحد إلا الله، والمعلوم الذي وهبه هو تعلقه المنسوب وخلاصه المحسوب.

قال له: صدقت، غير أن الأمر الذي نريده منك غير هذا، قال له: عرفة من الوظائف السببية المنحطة بعد وجود لازمها، ويكون ذلك اللازم مما قد عرفته من حيث هي حكمة لا من حيث هي عبادة، ثم الفتح بحسب الصدور، وهو فيها على عدد المصادر، قال له: صدقت، غير أن المطلوب عندي أجل من هذا، قال له: عرفة قضية التطور الخامس، أو سببها في ذلك، فإن كانت في الحس وصحبة أعراض النفس الحيوانية والمحرك العقل والقوة المشتركة كانت من قبل التوجه الأول الذي يكابد الأوهام المعوجة، وإن كانت في الأفضل وبحسب الأفضل، وعلى هذا النوع المذكور كانت من قبيل الأوهام الخالصة القريبة المستقيمة، وإن كانت في مظهرها الثلاثي الذي لا خير فيه إلا إذا نظر إلى عاقبته وفائدته الكلية، فهو الخير المحمود عند أهل الكمال الأول قبل تمام شروط الخلافة المعللة.

وإن كانت من النقط الواقعة من حضرة قوانين الموجود المعروف بذلك، وهي ذوات تلك وفيها صفات؛ بل هي وجه وسيلة قدر وسيلة الوسائل في أنا، وإن كانت من ظل المنسوب له من إضافة به برابط عنه فكنهه دون الملكة وفوق الحد الأصغر بفرض ما ينصرف إلى أمثلة الاستفهام، والعين متعددة بعد فهم وحدة الوجود ووجودها عنده، وإنما كان ذلك لكون الأعداد تقرب القطع بالماهية المبحوث عنها بالنصيب.

قال له: قربت في ذلك فتمم، قال له: عرفة هي الحركة الكلية الواقعة بالمعنى الأكمل على المألوف الأعلى الأكبر، ولذلك أقيم مثالها الطبيعي في عالم الطبيعة على الأقل وبحسب الضعف في الضد لكي يستجلب في حال قبضها نصيبه، فهو يطلب بشبه التوجه وذلك بجد، فتحدث من حال الواجد الحركة، ومن حيث المستجلب السكون، قال له: قد كشفت وبينت فكف عني، قال له: بقي المحق المخاطب، بل هي السكون والمثال على أصله هو على ما هو الأمر عليه من نفسه، فإن الجليل يعطي.

والقابل على ضربين: قابل يقبل، وحينئذ يقبل وآخر يسكن، وبعد ذلك يجد، والأول يتحرك إلى المألوف ما اعتبر فيه أنه المعتبر فنهض، وذلك لأجل النصيب الحاصل له من غير أن يحرر له من التوقف المتابع الذي يطعن في الماهية الراجعة المعتبرة بماهية وهمية هي الأصل في تحصيلها فيها، وفيها ذلك، والثاني يبعث عنده الأمر فينبعث له وما منه به وما به منه وهذا له من ذاته، وقد

=

=

ذكرنا مفهوم هذا الأمر في «الرسالة الحكيمة»، وكل ماهية يلحقها الزائد فاعلم أنها تابعة، فإن كانت على طريق التبدل فالأمر في أول الجلالة، وإن كانت في وسطه فهو في الوسط، وإن كانت في الآخر فهو في الآخر.

وجملة الأمر لا يعتبر المعتبر إلا مظهر المعتبر، ولا كل المألوف بل المألوف الذي تستند إليه الصفات ويكون لها كالمظهر وهي عنه في الماهية الموصلة، كأنها الآلة الطبيعية الثابتة في الشكل، وهو صور الأصوار، وطور الأطوار، وسور الأسوار، ودور الأدوار، والله هو المولى والله هو الأولى، والله هو الأعلى، والله هو الآخرة والأولى، والله هو الحليم، وهو الحكيم، وهو العليم.

فلمَّا فرغ من هذا الكلام التفت للوجه الذي يليه فقال له: علمت أنت هذا؟ قال: نعم، ولكنه لا يقنعني، قال له: حب الوجود المضمار في الأمور الشريفة مضمار ثان وشرف أكمل.

قال له: صدقت فعلم وفهم ولازم دعوة الحق وأهله، وبحسب هذه الأحوال يظهر المقصود في الجميع، قال له: عرفة هي الإضافة المتوحدة الناشئة بين الواحد والوحدة فقط، وهي التشفع القائم بين الأحد والتوحيد، قال: كان ذلك فكف، قال له: أمَّا من جهتك فنعم، وأمَّا من جهة الحق المخاطب بالقوة، فلا يمكنني ذلك، قال له: شأنك والحق ومخاطبة أهله.

فلمَّا فرغ قال للذي يليه: اعلم أن عرفة هي الاستخارة التي تنشأ بين العبد الأصم، وبين الأستاذ الراجع، وهي التي تصدر من أهل الهويات في السموات والأرض، وهي المواقف المجرورة الممتدة، وهي العجز الظاهر بعد الحصر الذي يجرد الماهية للوحدة المحضة أو للنقطة أو للقضية، أو يرسم الذوات في الذهن المغايرة وغير المغايرة، قال له: صدقت وقد فهمت فكف.

قال له القول الأول، ثم التفت إلى الذي يليه، وقال له: عرفة هي مكنة محصلة في العالم الموكل به المتمم المحسنة لخلافتها حتى كانت أو كادت، قال: كان المطلوب، ثم قال للذي يليه: عرفة هي العين الجاحدة لجميع الدول بالمضمار المهملة لأكثر الملل، وهي المتقدمة على الوظائف المحصلة، وهى ثمرة التركيب، قال له: كان ذلك، ثم التفت كما جرت عادته، وقال له: عرفة هي النور المبثوث في الوحي بعد الملك، وقبل الملك، ومعه، وهي الحق الراغب، والباطن المرغوب، وبالعكس.

قال له: صدقت فكف، ثم التفت إلى الذي يليه، وقال له: عرفة هي كل خط لا يصح له الوقوف، ولا يفوته التقوس في وضعه، وكل دائرة لا محيط لها في الذهن، ولا في خارجه، ولا يلزم المحال فيها، قال له: صدقت فاقطع، ثم التفت إلى الآخر، وقال له: عرفة هي توبة لواحق الخليفة، وخلة كشف التركيب، وعلة حب الوسائل، قال له: صدقت، ولا أستطيع على أكثر من هذا. ثم جمع الجميع في حضرة خليفة المألوف، وقال لهم: أعرفتم من عرفة؟ قالوا له: جملة أحكام، وبعض خواص وحقيقة واحدة، قال لهم: ما الأحكام؟ قالوا له: ثلاثة: الأول منها التدبيري، والثاني الإضافي، والثالث الجاحد المشوق الكاشف بذلك ذلك.

قال لهم: فما هي الخواص؟ قالوا له:سبعة: الأولى منها:

معرفة الخاتمة التي جهل الصم أمرها، والوجه الأول، والثانية: كشف أسرار الارتباط، والثالثة:

=

=

حصولها ماهية، والرابعة: الاطلاع على ذلك في حضرة الأمر حيث تظهر علل الأحكام، وعيون الحكم، ومقر الأرواح الوهمية، والخامسة: تحصيل الفروق المهلكة القاطعة المعللة، والسادسة: يحصل بها إدراك الأمور الشريفة في الماهية حتى أن الشيء الذي يبصره الناس في المنام يبصره هو في اليقظة، والذي يتعلمه الغير أو يعلمه من جنس المعلومات المبحوث عنها بالأقيسة يلحقه هو بذلك النوع الخارج عن قبيل العلوم المألوفة، والقوة الطبيعية التي يقدر بها الإنسان ويفعل المحمولة على أعضائه الشخصية التي هي شبه الآلة لها تقوم هذه الخاصية مقام جنسها؛ بل هي أفعال وفعلها أثبت، فإنها تفعل في الحال وبعده، وقد يلزم المنفعل عنها بقاء أثرها فيه فاعلم.

وكذلك ما يعمله الرجل بجاهه ومكانته هي أقوي وأفضل، فاعلم ذلك.

والسابعة: نيل أصلها الواقع بالفعل ومن حيث ما يعلم من معاملة الله له، والواقع بالقوة من حيث مكانتها، وقد يدرك ذلك بعض الرجال دون الخاصية المذكورة، وهو لا يحمد، فإنه بغيرها لا عاقبة له إلا بالعرض أو في الأكثر، وحالها هي بضد ذلك؛ لأنها من المألوف الحاصل أو المعتبر المحصل، والحقيقة هي بوجه ما الخبر الذي يحصر العدد للواحد ويصرفه إليه، والواحد للوجود، والوجود للموجود الذي يقال عليه بحسب هذا الاصطلاح أنه الوجود، والموجود الذي يكون الوجود زائدًا عليه، وتكون الوحدة معه بمثل هذا القول وهي عندهم بوجه آخر أكمل ماهية لا تنفك عن نظائرها اللاحقة، فهي فيها ذاتية لا أنها تحصرها حصر الكلي لما يحمل عليه أو الجنس لأنواعه، وهي لا يعرض لها شيء، ولا تتغير هي به، أعني بما هو بها، أو من حيث هي هي، وهي عندكم بوجه آخر أجل من الذي ذكر قبل.

فهي الآن ذات تخدم، وكانت في بعض الوجوه مخدومة في الحال الذي تبصر الأشياء مفتقرة إليها، ولا شيء يفعل بعدها إلا بما يسري له منها، والآن قد انقطع المنتسب والنسب والروابط، وبالجملة ظهر لكم أن معلومكم أو مدرككم أو ماهية ماهيتكم أو ذلك اللازم، أو ذلك البد الأول في ظاهركم بما هو باطنكم، وفي أولكم بما هو آخركم، في مظهر لا ينفعل عن ذات، ولا هو ذات حاصلة، وأنه هو الذي يخف الوهم عنده بل ينقطع.

وهذا المظهر هو ذات المعنى الذي ينصرف إلى بده، ولا يخبر إلا حقيقته، أعني: الله الذي يتجلى لنفسه أعني: الذي استجاب في الكل، ولا كل يعتبر معه بالمعنى الذي تقدم من الكلام في الواحد والوجود، وحاصل هذا كله مطلب ما هو ذل، وهل هو كل، ولم هو كل، وأين هو على، ومتى هو زل، وكيف هو هل، وأي هو خل، ومن هو هل، والبرهان شل.

وبلغتم الكلمة والكون على جهة الملكة والنور من جهة الحال والتركيب الأكبر، قالوا له: صدقت، قال لهم: الأمر أعظم، وشأن الله أعلى من أن تأخذه علوم الصم، أو حقائق الوجوه المذكورة أو همم الأقطاب، ولو علمتم ما أعلم لكنتم نحو الصواب في البعد والقرب، وإهمال الغايات غاية والنهايات نهاية، وجلال الله لا تفهمه العادة ولا يجهله بعض أهلها، ثم عزم وعزموا، وأمر فامتثلوا، وقال ففهموا، وكان وكانوا، وهم وهموا وهاموا، وأراد وامتنعوا وفعل وكفوا، وذكر وأنكروا، وخطب بماهية الوقت التي هي خليفة القضية الجامعة الحاكمة.

=

=

وقال الحمد لله الذي جعل عرفة من أسماء المواطن الرحمانية، وزمانها قربة الاعتدال، ومكانها نوره الواقف، وحكمها برهانه المتلو بلسان السنة الإلهية قبل سنتها الربانية الحاكمة في عالم الخلود المكتسب، والحمد لله الذي جعلها تشعر بشمائل الظاهر السابع، وتعظم السادس الماحي، وتحرر قصد الأولياء في ورقة الأسباب.

والحمد لله الذي فرضها بعد نكال، وقبلها كذلك، وربطها بضد ذلك، وجعل عاقبتها تجر إلى حكم اتباعه، يا هذا، قد أهملت الارتهان، وحادت همتي عن طريق المطلوب الذي زعمت قبل هذا، وإنا نـــزعم بأكثر منه، ونجدد الاصطلاح الذي يخصني، فنقول: هي عقدة رأس آخر العبادة السيئة، بل هي النية، بل هي العقل، بل هي القصد، بل هي الأمر، بل هي العين، بل هي التذلل، بل هي الزيادة الصاعدة، بل هي من قبيل الألواح، بل هي من قبيل فتح الماهية المغلقة التي لا يفتحها إلا الله العليم، بل هي سبب فتحها، بل هي أس السلامة منه، بل هي بد كما فيه، بل هي شهادة الله، بل هي عين أمره وعلمه وسائر صفاته، بل عندها يصل إليه المعتدل ويعد ثلاثة أخبار ويفرض الأسماء الكاشفة لسائر العادات المنجرة العالية بعد أمر الله عند جوهرها بالأمر الذي يجمع على أمور، ويحفظ بالأمر الذي يجمع على أوامر.

ومفهوم ذلك من أخبر عن حقيقته بالحق، وكان ذلك بالقوة الغالبة التي يجد الإنسان فيها ضميره كأنه يتكلم ويفعل مع السكوت، وفي حال السكون.

ومن قبيل هذا الأمر هو الذي يجده بعض هؤلاء الصوفية، فيقول: ليت كذا، وفعلت كذا، وهذا لا يلتفت إليه من علم الحق؛ لأنه من جنس الأحوال الكاذبة، وكان هذا الخبر أو ذلك الخبر انتهى تصريفه حيث انتهى خبره مثل ما يقوله الصم في سعيدهم إنه ينتهي حيث ينتهي علمه، وهذا هو البراق المكنون، والمقام الكامن الذي هو في جميع الناس، وهو الفصل الصحيح عند الخاصة أعني: فصل الإنسان من غيره لا الفصل الذي يقول له علماء الصم، فإن ذلك مدخول الحد، وهذا هو الفتح المبين أعني: فتح الماهية الذي يحيط بما يخبر عنه، وقد يحيط بأكثر من خبره وفتحها أن يكشف له منها جميع ما يريده، ولا يشق عنها لا عنه في الوجود، أو في الذي يريده شيء.

وأمَّا الفتح الذي يفتح به على الإنسان في صدره، أو في ملكه وعادته أو في تصرفاته كلها، أو في منقلبه، وبالجملة الفتح الذي يملك به السر الإلهي والسر الطبيعي، والظفر بالسلامة من كل الجهات ما هو هذا الذي أريده، فإن ذلك كله خارج من ماهيته، وأعوذ بالله من الفرح بغير النصيب، وبنوع منه قيل للخليفة خليفة، والنصيب هو أن يقول الحق يتولاك بقصد الرضا، أعني بفتح، فترى الامتداد الذي يسع البشرية، لا أنه يجعل فيك من المعلومات الجزئية التي لا يعلم في وقت ما نيلها الإلهي، وشاهدها في المواد الطبيعية وبحسب ضرب الأمثلة مالك الكليات، ومالك سببها، ومالك حفظها، ومالك ما يقدر فيها، وهو مع ذلك في العالم المفارق.

ومالك الشخصيات وهو في عالم الطبيعة، أو الشخص الذي يبصر من قصبة مجوفة وتكون بحيث لا يبصر إلا لمقابل لها، ويكون ذلك في وقت واحد، والإنسان الذي يبصر على الإطلاق، ويرفع

=

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ [النجم 5 - 10]، وكذلك قال: «أدبني ربي فأحسن تأديبي[1]».

=

المانع أو الشخص الذي يدفع له الحكيم من بعض دراهم تصريفه العلمي، وبآخر يدفع له السر الذي به يفعل، والذي به يحفظ، والذي به استخرجه، والرجل الذي خلق أكمه، ثم فتح له في وقت ما فأبصر مبصرًا ما، وبآخر خلق يبصر ببصره وبصيرته وبالوارد.

فقل أعوذ بالله من الفتح الذي يشرح فيه الصدر، أو تفتح من أجله أبواب الجنة وتغلق من أجله أبواب النار، وإنما الفتح هو الأول، وهو المفهوم من قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح:1]، ولا شيء أفتح من تحكم الصم على حبيب الله حيث قالوا: أراد الله بذلك الفتح فتح مكة، فلا هم صدقوا في المطلوب، ولا هم أنصفوا النصر، وذلك أن الله قد أخبر عن مكانته الشريفة التي بها يقول ويعلم ويفرح، والذي لا يسعه به إلا التوجه المطلق؛ ولذلك كان آخر الأمر الكريم أول الأمر العزيز، ولو كان الذي ذكروه على الوجه الذي يقال فيه إن الزمان في حق الله لا يصح، وإذا أخبر أخبر عن معلومه، ومعلومه لا يفوت، ولا يتجدد عليه شيء، ولا ينظر إلى مطلوبه بالقوة، ولا ينتظره، ولا فقده قط؛ لكان الأمر قبيحًا بالإضافة إلى ما يريده، فكيف وعرفة عند جميع الأنبياء في غير هذه الصفة، وبغير هذه الحلية، وفي دون ذلك، وكذلك في السموات والأرض. انتهى. وانظر: رسائل ابن سبعين (ص 538) بتحقيقنا.

(1) رواه أبو سعيد بن السمعاني في أدب الإملاء من حديث ابن مسعود، والعسكري في الأمثال وابن الجوزي في الأحاديث الواهية من حديث علي وقال: لا يصح، وصححه أبو الفضل بن ناصر.

قال السيوطي: وأخرج ابن عساكر من طريق محمد بن عبد الرحمن الزهري عن أبيه عن جده: إن أبا بكر قال: يا رسول الله لقد طفت في العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت أفصح منك فمن أدبك ؟ قال: أدبني ربي ونشأت في بني سعد. وذكره الحافظ في الأربعين المتباينة (ص 97)، والسيوطي في الدرر المنتثرة (ص 11).

خاتمة الكتاب

[تم ذلك وكان أوان تنـــزله في شهر رمضان المعظم سنة سبع وأربعين وسبعمائة] [1].

* * *

(1) هذا من الناسخ إثباتًا لتاريخ النسخ، أما قوله: (وقت تنـــزله) –ولم يقل وقت نسخه – اعتبارًا منه – وبحق – أن هذا الكلام الصادر من حضرة سيدي ومولاي محمد من باب الرزق المعنوي المقسوم – الصادر من الحق سبحانه لخلاصة عباده المقربين – لا من قبيل ما تنتجه العقول والفهوم على ما هو عادة المؤلفين، وقد صدق في هذا الاعتقاد والاعتبار، والصادق الناظر في كلام سيدي ومولاي يجده كذلك من أول نظر، لأن أصحاب عقول وفكر ولكن هيهات هيهات أين أهل الإسراف – أمثالنا – من سادات أهل الأعراف كأمثال سيدي، وفي السماء رزقنا مصداقًا لقول ربنا ﷻ: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ [الذاريات: 22] فإذن يصدق عليه قوله : أوان تنـــزله.

مفتاح السور من عين الخبر

لسيدي محمد وفا

قدَّس الله سرَّه

المتوفى 765 هـــ

تحقيق وتخريج وتعليق

الشيخ أحمد فريد المزيدي

نماذج من صور المخطوط

كتاب
مفتاح السور من عين الحق بسم الله الرحمن الرحيم قال
سيدي رضي الله عنا به سمعت الله في سري يقول انا في السر وحدي لا ازول
وجودي من وجودي مستفاده ✻ وعين العين عندي لا تحول
وفرض العقل بالاوهام عقل ✻ وحدس العقل في علمي فضول
وحيث الكل عني لا قبيح ✻ وقبح القبح من حيثي جميل
واني [illegible] من عطاي بما اوليته مني كفيل
اللهم اني اسلك النور والهدي والادب في [illegible] واعوذ بك من شر نفسي
ومن شر كل [illegible] يقطعني عنك لا اله الا انت قدس نفسي من الشبهات والاخلاق
السيات والحظوظ والغفلات و[illegible] عبدا مطيعا لك في جميع الحالات يا عليم
علمني من علمك يا حكيم ايدني بحكمك يا سميع اسمعني منك يا بصير بصرني في الائك
يا خبير فهمني عنك يا حي احيني بذكرك يا مو[illegible] خلص اراد[illegible] بقدرتك وعظمتك
انك علي كل شي قدير اللهم [illegible] بالله هو [illegible] التدبير والناسوت ذي
التسخير والعجز ذي التاثير المحيط بالكل والجملة والتفصيل في التصوير والتقدير
نسلك بذاتك التي لا تدرك ولا تترك وباحديتك التي من توهم فيها المعية فقد اشرك
وباحاطتك التي من ظن ان لها غيرا فقد افك ومن نظام الاخلاص فقد انفك
يا من سلب عنه تنزيها ما لم يكن في قدمه يا من قدر على كل شي باحاطته وعظمته
يا من ابرز نور وجوده من ظلمة عدمه يا من صور اشخاص الافلاك بما اودع

صورة الصفحة الأولى من مفتاح السور

من علمه في قلمه يا من صرف أحكامه بأسرار حكمه أنا ذيبك استغاثة تبعيد بقربك واطلبك طلب محب لحبيب وأسألك سؤال مضطر لمجيب رفع حجاب الغيب وحل عقال الريب اللهم أحيني بك حياة واجبة وعلمني كونك علماً محيطاً بأسرار المعلومات وافتح لي بقدرتك كنز الجنة والعرش والذات وامحقني تحت أنوار الصفات وخلصني بمنتك من جميع القيود المقيدات سبحانك تنزيهاً سبوح تنزه عن سمات الحدوث وصفات النقص قدوس تطهر من اشابة الذم وموجبات النقص سبحانك أعجزت كل طالب عن الوصول إليك إلا بك سبحانك لا يعلم من أنت سواك سبحانك ما أقربك من ترفع علاك اللهم ألبسني سبحة أحد وردني برداء العز وتوجني بتاج الجلال والمجد جردني عن صفاتي ذوات الهزل والجد وخلصني من قيود العد والحد ومباشرة الخلاف والنقيض والضد الأب عدمي بك عين الوجود وبقائي معك عين العدم فأبدلني مكان توهم وجودي معك بتحقق عدمي بك واجمع جمعي باستهلاكي فيك لا إله إلا أنت تنزهت عن المثيل لا إله إلا أنت تعاليت عن النظير لا إله إلا أنت استغنيت عن الوزير والمشير لا إله إلا أنت يا أحد يا صمد لا إله إلا أنت بك الوجود ولك السجود وأنت الحق المعبود أعوذ بك مني وأسألك زوالي عني واستغفرك من بقية تبعد وتدلي وتسمي وتكني أنت الواضع والرافع والمبدع والقاطع والمفرق والجامع يا واضع يا رافع يا مبدع يا قاطع يا مفرق يا جامع العباد أنت ذا الغياث الغياث يا غياثي يا غياثي النجاة النجاة الملاذ الملاذ يا من به نجاتي وملاذي أسألك فيما سألتك وأتوسل إليك بمقدمة الوجود الأول ونور العلم الأكمل وروح الحياة الأفضل وبساط الرحمة الأنزل وسما الخلق الأجل السابق بالروح والفضل والخاتم بالصورة والبعث والنور بالهداية والبيان والرحمة بالعلم والتمكين والأمان محمد المصطفى والرسول المجتبى وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً والحمد لله رب العالمين إنه الغفور الرحيم قال رضي الله عنا به بسم الله بسم الله الله الله في كل اسم الله قائم بوجوده أو بمعنى هو فإما أن يكون هو هو وإما أن يكون هو ذا الله الأمر نطقت الألسنة وفاهو حارت العقول وتاهوا هامت الأرواح ولا هو في ميادين معرفة ما هو وما هو إلا هو يا هو وقال رضي الله عنا به

صورة الصفحة الثانية من مفتاح السور

ويكشف عن ساق تحضر الشهاد ويدعى الى السجود اهل الطاعة والعناد وتعف
حقيقة الخبر الصدق وذلك هو اليوم الحق ويبرز لفصل القضا في المستوى
الرحماني وحلته يومئذ الساق والسبع المثاني وله سجدة الشفاعة في المقام
المحمود والوسيلة والدرجة الرفيعة وهو الشاهد في عين المشهود وهو الحامد
بالمحامد التي يلهمها للحامد المحمود والملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين
عسيرا واليه تنتهي الزيادة في حظاير القدس القدوسية وهو المرئي بالابصار
في المشاهد المرضية بلا حجب الناظر الاقدسية وانما يتجلى لكل امة في امامها
ولكل فرقة في اعلام علامها وهم السبعون الفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب
الذين وجوههم كالبدور والاقمار وشموس اضوا النهار وكما قال لهم حين
سالوه هل نرى ربنا فقال اتضامون في روية البدر اتضامون في روية
الشمس وفي كل يقولون لا فقال فانكم كذلك ترون ربكم وشاهده وما كان لبشر
ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب وبما هم السبعون الف الوجه انتظامهم
في السبع المثاني لا بد اقدام الاماني في كل واحد من السبعة عشرة الاف
وهي غاية العدد وهم وما ينتظم منهم في عين جمع القران العظيم المبسمل
بسم الله الرحمن الرحيم وهذا اليوم هو المقدر بخمسين الف سنة والتجلي فيه
برؤيته العظيمة ومقام الحكم بتخصيص الكلمة هو ذو المعارج الذي تعرج
اليه الملائكة والروح قدوس سبوح بين يدي سرير الاقدس وتوزع الطالع
الانفس تنصب الاسرة والمنابر والكراسي وتنشر اعلام الشها الولاية
الاولياء للداني والقاصي وتشهد الفضل الاعظم في مشاهد الانبيا والمرسلين
بمجمع جامع الاولين والاخرين ويقال للقوم العمين الذين لا يسمعون ولا
ينظرون فهذا يوم الجمع وللتنكيل كنتم لا تعلمون ولا انتم بما وراء حجاب الغيب
تؤمنون فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ويقال لاهل الايمان والتصديق
هذا يومكم الذي كنتم توعدون هذا يوم نعيمكم ايها الابرار والملائكة يدخلون
عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ويرفع لهم المرسوم مكتب
رب العالمين من الحي الذي لا يموت الى الحي الذي لا يموت فيسميهم باسمائه
ويسمهم بسماته كما خلقهم باخلاقه فلهم منه مكانة التمكين وكذلك يتداعون بينهم
سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين

صورة الصفحة الأخيرة من مفتاح السور

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة سيدنا المصنف

قال سيدي رضي الله عنا به:

سمعت الله في سري يقول	أنا في السر وحدي لا أزول
وجودي من وجودي مستفاد	وعين العين عندي لا تحول
وفرض العقل بالأوهام عقل	وحدس العقل في علمي فضول
وحيث الكل عني لا قبيح	وقبح القبح من حيثي جميل
وإني للمخصص من عطائي	بما أوليته عني كفيل

اللهم إني أسألك النور والهدى، والأدب في الاقتداء، وأعوذ بك من شر نفسي، ومن شر كل قاطع يقطعني عنك، لا إله إلا أنت، قدِّس نفسي من الشبهات والأخلاق السيئات، والحظوظ والغفلات، واجعلني عبدًا مطيعًا لك في جميع الحالات.

يا عليم علمني من علمك، يا حكيم أيدني بحكمك، يا سميع أسمعني منك، يا بصير بصرني في آلائك، يا خبير فهمني عنك، يا حي أحيني بذكرك، يا مريد خلص إرادتي بقدرتك وعظمتك، إنك على كل شيء قدير.

اللهم إني أسألك باللاهوت ذي التدبير، والناسوت ذي التسخير، والعقل ذي التأثير، المحيط بالكل والجملة والتفصيل في التصوير والتقدير.

نسألك بذاتك التي لا تدرك ولا تترك، وبأحديتك التي من توهم فيها المعية فقد أشرك، وبإحاطتك التي من ظن في أزلها غيرًا فقد أفك، ومن نظام الإخلاص فقد انفك.

يا من سلب عنه تنزيهًا ما لم يكن في قدمه، يا من قدر على كل شيء بإحاطته وعظمته، يا من أبرز نور وجوده من ظلمة عدمه، يا من صور أشخاص الأفلاك بما أودعه من علمه في قلمه، يا من صرَّفَ أحكامه بأسرار حكمه، أناديك

استغاثة بعيد بقريب، وأطلبك طلب محب لحبيب، وأسألك سؤال مضطر لمجيب، رفْع حجاب الغيب وحل عقال الرِّيب.

اللهم أحيني بك حياة واجبة، وعلمني كذلك علمًا محيطًا بأسرار المعلومات، وافتح لي بقدرتك كنـــز الجنة والعرش والذات، وامحقني تحت أنوار الصفات، وخلصني بمنتك من جميع القيود المعقدات.

سبحانك تنـــزيهًا.

سبوح: تنـــزه عن سمات الحدوث وصفات النقص.

قدوس: تطهر من أشابة الذّم وموجبات الرفض.

سبحانك أعجزت كل طالب عن الوصول إليك إلا بك. سبحانك لا يعلم من أنت سواك. سبحانك ما أقربك من ترفع عُلاك.

اللهم ألبسني سبحة الحمد، وردني برداء العز، وتوجني بتاج الجلال والمجد.

جردني عن صفاتي ذوات الهذل والجد، وخلصني من قيود الغد والحد، ومباشرة الخلاف والنقيض والضد، إلهي عدمي بك عين الوجود، وبقائي معك عين العدم؛ فأيدني مكان توهم وجودي معك بتحقق عدمي بك، واجمع جمعي باستهلاكي فيك.

لا إله إلا أنت تنـــزهت عن المثيل.

لا إله إلا أنت تعاليت عن النظير.

لا إله إلا أنت استغنيت عن الوزير والمشير.

لا إله إلا أنت يا أحد يا صمد.

لا إله إلا أنت بك الوجود ولك السجود، وأنت الحق المعبود.

وأعوذ بك مني، وأسألك زوالي عني، وأستغفرك من بقية تُبعد وتُدني، وتُسَمى وتُكَنى.

أنت الواضع والرافع، والمبدع والقاطع، والمفرق والجامع، يا واضع يا رافع يا مبدع يا قاطع يا مفرق يا جامع، العياذ العياذ، الغياث الغياث، يا عياذي يا غياثي، النجاة النجاة، الملاذ الملاذ يا من به نجاتي وملاذي.

أسألك فيما سألتك، وأتوسل إليك بمقدمة الوجود الأول، ونور العلم الأكمل، وروح الحياة الأفضل، وبساط الرحمة (الأول) [1]، وسماء الخلق الأجل، السابق بالروح والفضل، والخاتم بالصورة، والبعث والنور بالهداية والبيان، والرحمة بالعلم والتمكين والأمان، محمد المصطفى والرسول المجتبى، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، والحمد لله رب العالمين، إنه الغفور الرحيم.

قال رضي الله عنا به:

بسم الله، بسم الله، الله الله في كل اسم، الله الله قائم بوجوده، أو بمعنى هو، فإما أن يكون هو هو، وإما أن يكون هو لا إله إلا هو، نطقت الألسنة وفاهوا، حارت العقول وتاهوا، هامت الأرواح، ولا هو في ميادين معرفة ما هو، وما هو إلا هو، يا هو.

وقال رضي الله عنا به: مفتاح السور من عين الخبر

البسملة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:1]، وبما كانت الباء زائدة كان الاسم خبر لمبتدأ، أو سببيّة فللاستفتاح، والابتداء (محذوف) [2]، وعلى الوجهين صحيح: الأول عين الخبر، والثاني مفتاح السور[3].

---

(1) في الأصل: الأزل.

(2) في الأصل: محدوف.

(3) قال الشيخ ابن ناصر في شرح الفصين: كلمة بسم الله من الإلهيين بمنزلة كلمة الحضرة، فلما أراد ﷺ ظهور عين الكتاب المسطور في الرقِ المنشور، قال: بسم الله الرحمن الرحيم، فالأديب خلاق في هذه الدار ببسم الله الرحمن الرحيم؛ ليعصم في معاملته من مشاركة الشيطان حيث أمره بالمشاركة في الأموال والأولاد، فهو ممثل هذا الأمر الإلهي وحريص عليه، ونحن مأمورون بألقابه في هذه المشاركة، فطُلبنا وطَلبنا ما نتقيَّد به لكونه نجيًّا عنَّا لا نراه فأعطانا الله اسمه تعالى، فلمَّا سمينا الله تعالى أعمالنا عند الشروع فيها توحدنا بها، وعصمنا الله من مشاركة الشيطان، فإن الاسم الإلهي هو الذي يباشرها، ويحول بيننا وبينه حتى أن بعض أهل الكشف يشهدون هذه المدافعة التي بين الاسم الإلهي من العبد في حال الشروع وبين الشيطان، وإذا كان العبد بهذه الصفة كان على بيِّنة من ربِّه، وفاز ونجا من هذه المشاركة، وكان له البقاء في الحفظ والعصمة في جميع أعماله وأحواله، ذكره ﷺ في الباب الثالث والخمسين وثلاثمائة من «الفتوحات» وإنما عدل ﷺ عن قوله: كن أدبًا مع الله تعالى ورسوله ﷺ، فإنه إذا أراد شيئًا يقول له كن وحيث صدر منه ﷺ =

=

في غزوة تبوك: «كن أبا ذر» الحديث.
قال ﷺ في «الفتوحات»: مَنْ أراد التكوين، فليقل: بسم الله، فإن الأدب مع الله لا يشارك فيما أنت فيه مشارك، فافهم.
قال الشيخ الأكبر ﷺ في آخر الرسالة المسمَّاة : إن التأثير بالآلهة لا يعول عليه إلا إن صحبةُ بسم الله الذي هو بمنـــزلة كن منه، ثم نرجع، ونقول في بعض أسرار بسم الله على العموم لا باعتبار خصوص المقام.
اعلم أنه لما ثبت أن الأسماء الإلهية سبب وجود العالم، وأنها المسلَّطة عليه والمؤثِّرة لذلك، قال: بسم الله خير مبتدأ مضمر، وهو ابتداء العالم وظهوره كأنه يقول ظهور العالم بسم الله الرحمن الرحيم، فظهر به العالم، واختصَّت به ثلاثة من الأسماء؛ لأن الحقائق تعطي ذلك، فالله هو الاسم الجامع للأسماء كلِّها والرحمة صفة عامة فهو رحمن الدنيا بها رحم كل شيء من العالم في الدنيا، ولما كانت الرحمة في الآخرة لا تختص إلا بقبضة السعادة، فانفرد عن أخيه في الآخرة، فتمَّ العالم بهذه الثلاثة الأسماء جملة في الاسم الله، وتفصيلاً في الاسمين الرحمن الرحيم.
قوله: (بسم الله): بالباء ظهر الوجود، وبالنقطة تميَّز العابد من المعبود، قيل للشبلي قُدِّس سرُّه أنت الشبلي، قال: «**أنا النقطة التي تحت الباء**».
وهو إشارةٌ إلى وجود العبد بما تقتضيه حقيقة العبودية.
ونقل الشيخ ﷺ عن الشيخ أبي مدين قُدِّس سرُّه أنه قال: «**ما رأيت شيئًا إلا ورأيت الباء عليه مكتوبة**»، فالباء المصاحبة للموجودات من حضرة الحق في مقام كل شيء، فظهر في كل موجود وهذا سرُّ ابتداء القرآن بالباء بل ابتداء كل سورة بالبسملة، فافهم.
فالباء ملكوتيَّة، والنقطة جبروتيَّة، والحركة شهاديَّة، وأمَّا الألف المضمرة في بسم الله فهي إشارة إلى الحقيقة القائمة بالكل، واحتجب رحمه منها بالنقطة التي تحت الباء ثم وجدنا الألف المحذوفة في: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق:1] قد ظهرت، ولو لم تظهر ما علم المثل حقيقته ولا رأى صورته وسؤدته؛ وذلك لأنه تعالى أمر بتنـــزيه المجلى بتجلِّي المثل فقيل له: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ [الأعلى:1] الذي هو مُغذِّيك من المواد الإلهية، فهو ربك ولا طاقة لها على ذلك إلا بالباء.
ولا بد من امتثال الأمر، فلا بُد له من ظهور الألف التي هو الفاعل القديم فيتيقَّظ عن سِنة الغفلة، وافهم فإني أدرجت لك إن كنت ذا لبٍ لب المعارف فيه.
وأمَّا الألف التي في بسم الله فكان خفاؤها عنهم رحمة بهم، فخفف الله عنهم حيث عَلم أن فيهم ضعفًا إذا كان الإخفاء سبب إبقاء الوجود.
وعليهم قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ**﴾ [الشورى: 51] وأشار إلى هذا المقر الصحيح وهو: «**إن لله سبعين ألف حجاب لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**».
أمَّا قوله ﷺ: المضاف إليه الاسم من بسم الله ينبغي لك يا أخي رزقك الله وإيَّانا فهم الأسرار أن
=

=

تعرف أولاً ما يحصل في هذه الكلمة الطيبة من الحروف، وحينئذٍ يقع الكلام عليها فحروفها (اللاه) فلمَّا تعلق الألف باللام أحب الظهور فأظهرتها اللام، فصحَّ الظهور، وتمَّ به السرور وانتشر النور، ولما أفنتها اللام الثابتة بعدم شهود الألف التي بعدها فناء لم يبقَ منه باقية فظهرت اللام ورجعت بخلعة الوجود والفناء.

ثم جاءت إلَهًا آخر إشارة إلى بقاء وجوده آخرًا عند محو الرسوم، وهذا هو المقام الذي يضمحل فيه أحوال السائرين، وتنعدم فيه مقامات السالكين حتى يفنى ما لم يكن، ويبقى مَنْ لم يزل لا غير؛ ليثبت لظهوره ولا ظلام يبقى لنوره.

ويشير إلى هذا المقام قوله تعالى: ﴿لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ﴾ [المدثر:28].

وقوله ﷺ: «فإن لم تكن تراه فإنه يراك» فالألف الموصولة بالإضافة أعني: ألف الله إشارة إلى تحقيق اتصال الوحدانية، وتمحيق انفصال الغيرية وهو تحقيق المتصل بتمحيق المنفصل، فافهم.

والألف الثانية في اللام الثانية تمحو آثار الغير المتحصِّل: أي من الوهم المكتسب وظهور اللام بالاستقلال، وإما إلَهًا للهوية السارية إشارة إلى أنه منها بدأ وبها ختم وملَّكها الأمر في الوجود والعدم، وجعلها دالة على الحدوث والقدم، والله بكل شيء محيط، وصيَّر الكل اسمًا ومسمًّى، وأرسله مكشوفًا ومُعمًّا الله هو الولي الأعلى.

أما ترى أن اللام الثانية لما كانت مراده الكل مجتباه كيف أعربت واتصلت بألف الوحدانية اتصالاً شافيًا حتى صار وجودها نطقًا يدل على الألف دلالة صحيحة، وإن كانت الذات خُفيت فإن لفظك باللام تحقيق الاتصال.

ويُشير إلى هذا قول أعلم الخلق بالله ﷺ: «**مَن عرف نفسه فقد عَرف ربه**» فمَن عَرف اللام الثانية عَرف اللام بخلاف اللام الأول، فإنه مع الهمزة ولا يظهر الألف.

أما ترى تعانق اللام مع الألف تعانقًا حبيبًا عشيقًا لا يفارقها أبدًا؛ بل في ظهور الأول ثابت الهمزة عنها: أي عن الألف، وهي في حجاب غرة البطون لا تقبل الحركة والخروج لو شاء لجعله ساكنًا.

قال الله تعالى: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾ [الأنعام:13]، فافهم ولا تكن غليظ الطبع قدمًا أصم أعمى أبكم وعلى الله قصد السبيل.

وأمَّا قوله ﷺ عن الرحمن فاعتبر فيه وجهان: فمن أعربه بدلاً جعله ذاتًا.

قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَياًّ مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى﴾ [الإسراء:110].

ومن أعربه نعتًا فقد اعتبره صفة قال ﷺ: «**إن الله خلق آدم على صورته**»

وفي رواية: «**على صورة الرحمن**» وهذه الرواية ذكرها ﷺ في الباب الخامس من «الفتوحات» وقال: إنها صحيحة من طريق الكشف، فمَن أعربه بدلاً أشار إلى التحقيق بمقام الجمع الذاتي وفناء الصفات.

كما قيل: التوحيد إسقاط الإضافات وهو مقام أن الله خلق آدم على صورته، وذلك وجود العبد في مقام قُرب الحق في حد الخلافة فافهم.

=

أما الاسم هو المفهوم من المنطوق، الدال بصيغته على معلوم، وتميز بهيئة خاصة أو بوجه ما، والاسم على قسمين: حقيقي، ومجازي:

فالحقيقي: هو ما تعلق به الكلام، والقائم بالذات، وهذا هو الاسم.

والمجازي: ما تعلق به اللفظ المنطوق، وهذا هو التسمية[1].

=

وأمَّا من أعربه نعتًا فإنه أشار إلى رتبة الجمع الصفاتي، وهو من مقام خلق آدم على صورة الرحمن وهذا مقام الوراثة ولا يكون إلا بالحجاب، وهو المعبِّر عنه بالمثل، وفيما قررناه دلَّ على ما أضمرناه لمن له قلب.

قال تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾[الأحزاب: 25] فكن المعمي ولا تكن ممن هو أضلُّ وأعمى.

وأمَّا الرحيم من البسملة صفة محمد ﷺ بلا شبهة ولا مراء، كما شهد الله له بقوله: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:128]، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾ [النساء:79]، تَمَّت البسملة وبتمامها تمَّ العالم خلقًا وإبداعًا، وكان ﷺ مبدأ الوجود عقلاً ونفسًا.

ورد: «**كنت نبيًّا وآدم بين الماء والطين**»: أي العلم والعين وصار به ختمًا، وبه ﷺ ختم المقام روحًا وجسمًا كل آدم أبو البشر حامل الأسماء وهو ﷺ حامل الاسم والمعنى.

قال ﷺ: «**مثلت لي أمتي في الماء والطين وعلمت الأسماء كلها كما علم آدم الأسماء كلها**» ذكره الديلمي عن أبي رافع فالشهود في الماء والطين أتمّ وأعمّ من الشهود في عالم الأرواح أو المثال فافهم.

فإني ما ذكرت لك في مقام البسملة سوى قشور ما فهمته من معارفه ﷺ وذلك؛ لأن الفائدة في المحاورة والتعريف لا يكون إلا إفهام المخاطب، وإلا ما يقع في التعريف فائدة، ولما كان فهم المخاطبين بحسب إدراكهم فيما خوطبوا به مما ظهر منا إلا بحكم الحكيم، وإلا قال ﷺ: إنه وجدت البسملة أنها تتضمن ألف معنى كل معنى منها لا يحصل إلا بعد انقضاء حول، ولا بد من حصول هذه المعاني؛ لأنه ما ظهر إلا ليعطي معناه، فلا بد من كمال ألف سنة لهذه الأمة، وهي أوَّل دورة الميزان ومدتها ستة آلاف سنة روحانية محققة، ولهذا ظهر في هذه الأمة من العلوم الإلهية ما لم يظهر لغير هذه الأمة، فإن هذه الدورة التي انقضت كانت ترابية فغاية سعيهم علمًا وعملاً بالطبائع والإلهيون فيهم غربًا قليلون جدًا، يكاد ألا يظهر لهم عين، ثم إن المقالة منهم أيضًا ممتزج بالطبيعة، ولا بد منَّا صرف خالص سائغ للشاربين، ولا سبيل لحكم الطبع عليه أصلاً، هذا هو مال اليتيم الذي لا يقربه أحد إلا بالتي هي أحسن: أي باستحقاق الوراثة المحمدية ﷺ فافهم. وانظر: مجمع البحرين (ص 119) بتحقيقنا.

(1) قال سيدي علي وفا: المجاز حقيقة أريد بها تحقيق مثلها المباين لها من وجه من حيث هو مثلها، فإذا قلت: رأيت أسدًا، تريد به تحقيق أن شجاعة هذا الشخص ذاتية فيه، كالشجاعة للأسد،

=

الأول: نفس المُسمى في العلم، متصل المفهوم.

والثاني: غير في اللفظ متصل بالمرسوم.

والأسماء في الوضع على قسمين مشتقة وجامدة:

فالمشتقة: تفيد لفظًا وفهمًا.

والجامدة: لفظًا فقط.

فدال على غيره تسمية، ودال على عينه اسم.

فصل

الدليل قولان فصاعدًا، يكون عنهما قول آخر؛ فنتيجة المقدمتين دلالة على وجود مطلوب بنفي أو إثبات، تصديقًا بعد التصور.

والمقدمتين إما قطعية فقط، أو محتملة، أو ظنية فمحتملة.

والمدلول إما حاصل على الكمال فلا طلب، أو بشعور ما ضروري فيطلب كمال الحصول بدليل أوضح، من مدلول لا مساوٍ ولا أدق، أو لا شعور فلا طلب. والمقدمتان نتيجتان معًا في الترتيب، وكمال الماهية لا محالة.

وبما كان الواجب عينًا في جبروت العز وجودًا في الممكن بالتأثير ضرورة؛ فاستشعرته القوى المدركة شعور الغيب، ثم فقدت بالعجز كمال الحصول؛ فكشف لها علم الأسماء عن طلب الأدلة، ونبهها الخبر على ترتيب (المقدمات) [1] واستخراج النتائج؛ فوجدت بالضرورة في المشاهدات القطعيات في النفس والخارج، وكل الموجودات لا تخرج عن أمور ثلاثة:

موضوع مقدمة صغرى، ومحمول مقدمة كبرى، ونتيجة دلالة على مطلوب خبري.

=

فيجوز الذهن بهذا اللفظ القليل إلى ذلك المراد الكثير، الذي تقديره: رأيت رجلاً شجاعًا شجاعة غريزية لَه، فهو للاختصار والتقريب ما لم يغمض فيبعد، والخلق كله مجازي عن خالقه.

(1) في الأصل: المقامات.

فصل

وبما كان المصنوع دلالة على صانعه، كان القوى (الماء) [1] المستعد بالانبساط اللوحي لفيض القوى العرشي الفاعل، تشكل المواد الحرفية بالتصور القلمي بالمداد الوجودي، لفظًا في الأرواح، ورسمًا في الأشباح.

الماء والعرش مقدمتان كليتان: موضوع ومحمول، ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ﴾ [هود:7]، أما الحروف البسائط فمقدمات جزئيات، مجرد محمول، وغير مجرد موضوع، أملاك وأفلاك أنتجت مع التركيب معاني الأسماء، وأعيانه التسمية؛ فمن ثمَّ يعلم أن كل موجود أنتج اسمًا، دل بصفته الوضعية على واضع، أبدع ما أوجد وأتقن ما صنع.

أما الأسماء الحسنى: أرواح في النظام القديم، هي أنوارًا لصفات الذات، بما استودعت من تأثيرات وكلمات تامات، متعلقات العلم والحياة، معانٍ لاهوتيات وأنوار سبوحيات، وجبت لغيرها بالتعلق، اتصالًا بالوجود الحق نفس المسميات.

أما الحدوث: فظهور الكليات بالتجلي في غيب الأمر قوة الأبد، ونور الحجاب عين الأزل، أو تعيين الأجزاء بالوضع.

القلم الضلع القائم المحمول على الضلع الراقد الموضوع، تشكيلا وتصويرًا؛ فمن حيث وجوبها المجموع أسماء الله:

﴿الَّذي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة : 7]، ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى﴾ [الأعراف:180].

وبما كانت أسماء ذات وأسماء صفات الأفعال، تهيمنت الذاتية على الصفاتية، والصفاتية على أسماء الأفعال.

أما الذاتية: ثلاثة (هو)، (الله)، (الرحمن).

أما (هو) فضمير ليس باسم صفة[2].

(1) في الأصل:(المآ).

(2) قال سيدي محمد وفا: اعلم أن الهو الذي هو ضمير الجلالة على الحقيقة مطلقٌ فيها بالذات، مقيَّدٌ =

وأما الجلالة قيل: اسم مشتق، وقيل: جامد لعدم التصرف، وقيل: مركب من (ا ل ل هـــ)، أما الجمود فواضح جدًا هو اسم الذات[1].

=

بالوصف الأول بالعدم، والثاني بالوجود، ولهذا الضمير في غيب الشهادة إحاطة يُقال لها الإحاطة المشتركة من الوجه الذي بطن في كل مظهرٍ أشار إليه بحكم المرتبة سواء كانت المرتبة حقية أو خلقية، وهذه الإحاطة التي يتصور بها العلم أنه علمٌ، والوجود أنه وجودٌ، وكذلك كل شيءٍ يُتصور بها شيئيته، لا من الحقيقة المقيَّدة بتمييز ما، وهنا: «كنت كنـــزًا لا أُعرف فأحببت..».

وأما وقوع الإشارة على الضمير في المراتب، فمن حيث تجلّي الجلالة، سواء كانت الإشارة على الكشف أو على الحجاب، وقولنا مشتركة لموضع جمعها بين النقيضين الذي يأباه التصور الوجودي في موجوديته، ولا يجوزه السلوب العدمي في عدميته، ولهذه الإحاطة قيام في الجمع بينهما، واستلزام في تباين كل واحدٍ منهما، وهذه الإحاطة التي يكون بها المحقق عند رجوعه إلى الجلالة، ويكون بها العارف عند شهوده في مرآة التجلّي، فافهم. وهذا رفع القناع من موضع الامتناع. (الشعائر ص150).

(1) **فائدة:** قال سيدي محمد: واعلم أن إضافة الجلالة إلى ما هو تسمية في تصور العقل لا يكون إلا بواسطة اسم، كقوله تعالى: ﴿**اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ [الرعد:16]، وما أشبه ذلك، وهذا هو الحجاب الذي ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيًا أو من ورائه، فيكون هذا الاسم البرزخي كنون الوقاية فافهم.

ويُفهم من ذلك أن الله يَرى ولا يُرى، ولا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، وإنما المرئي هو هذا الاسم البرزخي، قال تعالى: ﴿**وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ [القيامة: 22، 23].

وهذا من باب قوله ﷺ: «**ينـــزل ربنا إلى سماء الدنيا..**».

وأما إضافة التسمية إلى الجلالة كقوله تعالى: ﴿**هَذَا خَلْقُ اللَّهِ**﴾ [لقمان: 11].

وما أشبه ذلك لا يفتقر إلى اسم يكون برزخًا بين المضاف والمضاف إليه، فإنه هنا هو حجاب نفسه؛ لأنه إما يضاف لحقيقته وهو الاسم كقوله ﷺ: «**تخلقوا بأخلاق الله**»، أو يُضاف لمجازه كقوله تعالى: ﴿**إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً**﴾ [مريم: 93].

الأول: بالتقديس، وهي الخلع الربَّانية، والأنوار الرحمانية، التي يكون بها الولي في دار الكرامة، كقوله ﷺ فيما أخبر به عن ربه، وقد أرسل كتابه إلى أوليائه في دار كرامته، من الحي الذي لا يموت إلى الحي الذي لا يموت.

وتفهم من هذا قوله تبارك وتعالى: ﴿**دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الحَمْدُ للَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ**﴾ [يونس:10].

والثاني: بالتلبيس كقوله تعالى: ﴿**وَأَنَّ الكَافِرِينَ لاَ مَوْلَى لَهُمْ**﴾ [محمد:11].

و ﴿**اخْسَئُوا فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُونِ**﴾ [المؤمنون: 108].

واعلم أن الإضافات الذاتية، وأعني بالذاتية التي لا يفرق فيها بين المضاف والمضاف إليه، على

=

وأما اسم (الرحمن) فمشترك يفيد الاشتقاق والجمود.

أما الاشتقاق فلما فيه من فحوى الرحمة.

وأما الجمود فلأن بنيته مباينة لاشتقاق الصفة.

وإن قلنا للمبالغة فـــ (رحوم)، و(راحم) [1].

=

قسمين: نفي تنـــزيه، ونفي تجريد.

الأول: سلب التسمية عن الاسم الحقيقي الذي هو علم للمسمى، كقولك: سبحان الله، وهذا من فناء الخلق في الحق، والاستدلال على الصانع بالصنع.

والثاني: وهو سلب التجريد، وهو تجريد الأحد عن العدد، كقولك: لا إله إلا الله، وهذا ليس بنفي عين ولا تجريد صفة، وإنما هو نفي توهم الغير ولا غير، وهذان المقامان بداية البار ونهايته.

وأما القسم الثاني فهو إضافة إثبات، وهو على قسمين: إضافة إمكان، وإضافة وجوب.

الأول: الثناء المطلق وهو الحمد، روح الطاعة والسمع، وهو في كل شيءٍ يثني على الله بعين وجوده المضاف إليه، وما من الله إلا وإليه.

والثاني: وهو إضافة الإيجاب كقولك: قدرة الله وإرادته وعلمه، وما أشبه ذلك وهي إضافة تحصيل الذات المطلقة في القوة المدركة بوجود الإطلاق، لا أنها مقيَّدة لها فإذا نعت إطلاق بالذات بالحقيقة ثبت المضاف إليها كمالاً بالإطلاق، ثبت ما تُوهم بالقيد مطلقًا بالحقيقة، وما نعت بالنقص كاملاً بالكشف، وهذان المقامان للمقرب بداية ونهاية، فافهم.

(1) **فائدة:** الرحمن الرحيم:

اسمان مشتقان من الرحمة، والرحمة تستدعي مرحومًا، ولا مرحوم إلا وهو محتاجٌ، والذي ينقضي بسببه حاجة المحتاج من غير قصدٍ وإرادةٍ وعنايةٍ بالمحتاج لا يسمى رحيمًا، والذي يريد قضاء حاجة المحتاج ولا يقضيها فإن كانَ قادرًا علَى قضائها لم يسمَّ رحيمًا؛ إذ لو تمت الإرادة لوفى بها وإن كان عاجزًا، فقد يسمى رحيمًا باعتبار ما اعتوره من الرقة، ولكنه ناقص، وإنما الرحمة التامة إفاضة الخير على المحتاجين، وإرادته لهم عناية بهم، والرحمة العامة هي التي تتناول المستحق وغير المستحق، ورحمة الله ﷻ تامة وعامة، أما تمامها فمن حيث أنه أراد قضاء حاجات المحتاجين وقضاها، وأما عمومها فمن حيث شمولها المستحق وغير المستحقِ، وعم الدنيا والآخرة، وتناول الضرورات والحاجات، والمزايا الخارجة عنهما، فهو الرحيم المطلق حقًّا دقيقة، الرحمة لا تخلو عن رقة مؤلمة تعتري الرحيم فتحركه إلى قضاء حاجة المرحوم، والرب سبحانه وتعالى منـــزهٌ عنها، فلعلك تظن أن ذلك نقصان في معنى الرحمة، فاعلم أن ذلك كمال، وليس بنقصانٍ في معنى الرحمة.

أما أنه ليس بنقصانٍ فمن حيث أن كمال الرحمة بكمال ثمرتها، ومهماً قضيت حاجة المحتاج بكمالها لم يكن للمرحوم حظٌ في تألم الراحم وتفجعه، وإنما تألم الراحم لضعف نفسه ونقصانها، ولا يزيد ضعفها في غرض المحتاج شيئًا بعد أن قضيت كمال حاجته.

=

=

وأما أنه كمال في معنى الرحمة فهو أن الرحيم عن رقةٍ وتألمٍ يكاد يقصد بفعله دفع ألم الرقة عن نفسه، فيكون قد نظر لنفسه وسعى في غرض نفسه، وذلك ينقص عن كمال معنى الرحمة، بل كمال الرحمة أن يكون نظره إلى المرحوم لأجل المرحوم لا لأجل الاستراحة من ألم الرقة، فائدة الرحمن أخص من الرحيم، ولذلك لا يسمى به غير الله ﷻ.

والرحيم قد يطلق على غيره، فهو من هذا الوجه قريب من اسم الله تعالى، الجاري مجرى العلم، وإن كان هذا مشتقًا من الرحمة قطعًا، ولذلك جمع الله ﷻ بينهما، فقال: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى﴾ [الإسراء: 110]، فيلزم من هذا الوجه ومن حيث منعنا الترادف في الأسماء المحصاة أن يفرق بين معنى الاسمين، فبالأحرى أن يكون المفهوم من الرحمن نوعًا من الرحمة، هي أبعد من مقدورات العباد، وهي ما يتعلق بالسعادة الأخروية، فالرحمن هو العطوف على العباد بالإيجاد أولاً، وبالهداية إلى الإيمان وأسباب السعادة ثانيًا، وبالإسعاد في الآخرة ثالثًا، والإنعام بالنظر إلى وجهه الكريم رابعًا.

تنبيه: حظ العبد من اسم الرحمن أن يرحم عباد الله الغافلين، فيصرفهم عن طريق الغفلة إلى الله ﷻ بالوعظ والنصح بطريق اللطف دون العنف، وأن ينظر إلى العصاة بعين الرحمة لا بعين الإزراء، وأن يكون كل معصيةٍ تجري في العالم كمصيبة له في نفسه، فلا يألو جهدًا في إزالتها بقدر وسعه رحمة لذلك العاصي أنْ يتعرض لسخط الله، ويستحق البعد من جواره.

وحظه من اسم الرحيم ألا يدع فاقة لمحتاج إلا يسدها بقدر طاقته، ولا يترك فقيرًا في جواره وبلده إلا ويقوم بتعهده ودفع فقره، إما بماله، أو جاهه، أو السعي في حقه بالشفاعة إلى غيره، فإن عجز عن جميع ذلك فيعينه بالدعاء، وإظهار الحزن بسبب حاجته رقةً عليه وعطفًا، حتى كأنه مساهم له في ضره وحاجته سؤال وجوابه، لعلك تقول: ما معنى كونه تعالى رحيمًا وكونه أرحم الراحمين، والرحيم لا يرى مبتلى ومضرورًا ومعذبًا ومريضًا، وهو يقدر على إماطة ما بهم إلا ويبادر إلى إماطته، والرب سبحانه وتعالى قادرٌ على كفاية كل بليةٍ، ودفع كل فقرٍ وغمةٍ، وإماطة كل مرضٍ، وإزالة كل ضررٍ، والدنيا طافحة بالأمراض والمحن والبلايا، وهو قادرٌ على إزالة جميعها، وتارك عباده ممتحنين بالرزايا والمحن؟!.

فجوابك: إن الطفل الصغير قد ترق له أمه، فتمنعه عن الحجامة، والأب العاقل يحمله عليها قهرًا، والجاهل يظن أن الرحيم هي الأم دون الأب، والعاقل يعلم أن إيلام الأب إياه بالحجامة من كمال رحمته وعطفه، وتمام شفقته، وأن الأم له عدو في صورة صديق، فإن الألم القليل إذا كان سببًا للذة الكثيرة لم يكن شرًّا بل كان خيرًا.

والرحيم يريد الخير للمرحوم لا محالة، وليس في الوجود شر إلا وفي ضمنه خير، لو رُفع ذلك الشر لبطل الخير الذي في ضمنه، وحصل ببطلانه شرًّا أعظم من الشر الذي يتضمنه، فاليد المتآكلة قطعها شر في الظاهر، وفي ضمنه الخير الجزيل، وهو سلامة البدن، ولو ترك قطع اليد لحصل هلاك البدن ولكان الشر أعظم، وقطع اليد لأجل سلامة البدن شر في ضمنه خير، ولكن المراد الأول السابق إلى نظر القاطع السلامة التي هي خيرٌ محضٌ، ثم لما كان السبيل إليه قطع اليد

=

=

قصد قطع اليد لأجله، فكانت السلامة مطلوبة لذاتها أولاً، والقطع مطلوبًا لغيره ثانيًا لا لذاته، فهما داخلان تحت الإرادة، ولكن أحدهما مراد لذاته، والآخر مراد لغيره، والمراد لذاته قبل المراد لغيره، ولأجله قال الله ﷻ: «سبقت رحمتي غضبي»، فغضبه إرادته للشر، والشر بإرادته ورحمته إرادته للخير، والخير بإرادته، ولكن إذا أراد الخير للخير نفسه وأراد الشر لا لذاته ولكن لما في ضمنه من الخير فالخير مقضي بالذات، والشر مقضي بالعرض، وكلٌ بقدرٍ، وليس في ذلك ما ينافي الرحمة أصلاً.

فالآن إن خطر لك نوع من الشر لا ترى تحته خيرًا أو خطر لك، أنه كان تحصيل ذلك الخير ممكنًا لا في ضمن الشر، فاتهم عقلك القاصر في أحد الخاطرين.

أما في قولك إن هذا الشر لا خير تحته، فإن هذا مما تقصر العقول عن معرفته، ولعلك فيه مثل الصبي الذي يرى الحجامة شرًّا محضًا، أو مثل الغبي الذي يرى القتل قصاصًا شرًّا محضًا؛ لأنه ينظر إلى خصوص شخص المقتول؛ لأنه في حقه شرٌّ محضٌ، ويذهل عن الخير العام الحاصل للناس كافة، ولا يدري أن التوصل بالشر الخاص إلى الخير العام خير محض، لا ينبغي للغير أن يهمله.

أو اتهم عقلك في الخاطر الثاني، وهو قولك إن تحصيل ذلك لا في ضمن ذلك الشر ممكن، فإن هذا أيضًا دقيق غامض، فليس كل محالٍ، وممكن مما يدرك إمكانه واستحالته بالبديهة، ولا بالنظر القريب، بل ربما عرف ذلك بنظرٍ غامضٍ دقيقٍ يقصر عنه الأكثرون، فاتهم عقلك في هذين الطرفين، ولا تشكن أصلاً في أنه أرحم الراحمين، وفي أنه سبقت رحمته غضبه، ولا تستريبن في أن مريد الشر للشر لا للخير، غير مستحقٍّ لاسم الرحمة، وتحت هذا الغطاء سر منع الشرع عن إفشائه، فاقنع بالإيماء ولا تطمع في الإفشاء، ولقد نبهت بالرمز والإيماء إن كنت من أهله، فتأمل:

لقد أسمعت لو ناديت حيًّا ... ولكن لا حياة لمن تنادي

هذا حكم الأكثرين، وأما أنت أيها الأخ المقصود بالشرح فلا أظنك إلا مستبصرًا بسر الله ﷻ في القدر، مستغنيًا عن هذه التحويمات والتنبيهات.

الملك هو الذي يستغني في ذاته وصفاته عن كل موجودٍ، ويحتاج إليه كل موجودٍ، بل لا يستغني عنه شيء في شيءٍ لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في وجوده، ولا في بقائه، بل كل شيءٍ، فوجوده منه أو مما هو منه، فكل شيءٍ سواه هو له مملوكٌ في ذاته وصفاته، وهو مستغن عن كل شيءٍ، فهذا هو الملك مطلقًا.

تنبيه: العبد لا يتصور أن يكون ملكًا مطلقًا، فإنه لا يستغني عن كل شيءٍ، فإنه أبدًا فقيرٌ إلى الله تعالى وإن استغنى عمن سواه، ولا يتصور أن يحتاج إليه كل شيءٍ، بل يستغني عنه أكثر الموجودات، ولكن لما تصور أن يستغني عن بعض الأشياء، ولا يستغني عنه بعض الأشياء، كان له شوب من الملك.

فالملك من العباد، هو الذي لا يملكه إلا الله تعالى، بل يستغني عن كل شيءٍ سوى الله ﷻ وهو مع ذلك يملك مملكته بحيث يطيعه فيها جنوده ورعاياه، وإنما مملكته الخاصة به قلبه وقالبه وجنده شهوته وغضبه وهواه، ورعيته لسانه وعيناه ويداه وسائر أعضائه، فإذا ملكها ولم تملكه

=

وبما كان الاسم (الظاهر) المهيمن على جميع أسماء الأفعال في الظاهريات، ذات التجلي أزل، والمجاز أبد[1].

وبما كان اسم الذات (الباطن) الجلالة المهيمن على جميع الأسماء الباطنات، الذات الموصوفة على زيادة عليه لازمة[2].

وبما كان (الهو) اسم الذات المحيطة في عين الجملة، إحاطة استهلكت تعيين

=

وأطاعته ولم يطعها فقد نال درجة الملك في عالمه، فإن انضم إليه استغناؤه عن كل الناس، واحتاج الناس كلهم إليه في حياتهم العاجلة والآجلة فهو الملك في عالم الأرض.

وتلك رتبة الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، فإنهم استغنوا في الهداية إلى الحياة الآخرة عن كل أحد إلا عن الله ﷻ واحتاج إليهم كل أحدٍ، ويليهم في هذا الملك العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، وإنما ملكهم بقدر قدرتهم على إرشاد العباد، واستغنائهم عن الاسترشاد، وبهذه الصفات يقرب العبد من الملائكة في الصفات، ويتقرب إلى الله تعالى بها، وهذا الملك عطية للعبد من الملك الحق الذي لا مثنوية في ملكه.

ولقد صدق بعض العارفين لما قال له بعض الأمراء: سلني حاجتك، حيث قال أو تقول لي هذا ولي عبدان هما سيداك، فقال: ومن هما؟ قال: الحرص والهوى، فقد غلبتهما وغلباك، وملكتهما وملكاك، وقال بعضهم لبعض الشيوخ: أوصني، فقال له: كن ملكًا في الدنيا تكن ملكًا في الآخرة، قال: وكيف أفعل ذلك؟ فقال: ازهد في الدنيا تكن ملكًا في الآخرة، معناه: اقطع حاجتك وشهوتك عن الدنيا فإن الملك في الحرية والاستغناء.

انظـــر: المقـــصد الأســـنى للغزالي (62/1، 68). وانظر الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي (61/1)، وشرح أسماء الله لزروق (ص 30).

(1) قال سيدي علي: الظاهر في مظهرٍ بربوبيته لَه ظهور يتربب به على ظهوره بما هو ربٌّ في مظهره ذلك، بما هو فاعلٌ فيما دون ذلك المظهر من القوابل الفعالة، وهو بقابله لفاعليته في ظهوره الثاني عبد لرب ظاهر به، فربٌّ قابل لفاعله عبدٌ بقابل لفاعلٍ فوقه، وكل فاعلٍ رب لقابله، وكل قابلٍ عبد لفاعله في كل مقامٍ بحسبه، وليس الفاعل والقابل بكل فعلٍ وقبولٍ إلا واحد لَه في كل مرتبة حكم ونظام، ولكل مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال، فافهم.

(2) وقال سيدي علي: ما بطن قيوم الكل إلا في ظهوره بالكل متمايزًا، فأعجب لمن هو الباطن بما هو الظاهر ولا تناقض.

اسمع: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: 3]، فما ثَمَّ إلا هو، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3]، فما ثَمَّ إلا هو متعينًا بعلمه معلومات، وفي علمه بمعلوماته، وإن سميت علمه فعلاً أو قبولاً أو عقلاً أو وهمًا أو خيالاً أو حسًّا، أو مهما سميته خلاف هذا ما ثَمَّ.

الزيادة ذات التجريد؛ فـــ(الهو) ذات الأحد الصمد، المجرد عن العدد في الأزل والأبد، لا يفيد غير مجرد الوجود مطلقًا، ليس في علمه غيره، ولا في فعله سواه.

واسم الذات الموصوفة بالصفات القديمة المقدسة عن التقديم والتأخير، زائدة لا بنعت التكثير الواحد القائم بالآحاد، مقدس عن الاتصال والانفصال، آحاده معلومات علمه، وأنوار حياته القائمة على كل نفس بما كسبت، لا يتصل به شيء، ولا ينفصل عنه، ولا يحدث فيه، كما لا يحدث به ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى:11] (1).

---

(1) اعلم أن أمر الوجود دائرة واحدة؛ لكن جُعلت نصفين باعتبار الوجوب والإمكان، فقوله: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) إشارة إلى النصف الوجوبي.

وقوله: (السَّمِيعُ البَصِيرُ) إشارة إلى النصف الإمكاني.

والنصف الأول: كتاب الوجود الحقيقي الذي آياته محكمات بلا متشابهات؛ لأنه كتاب الغيب، واللاتعيُّن، والإطلاق.

والنصف الثاني: كتاب الوجود الظلِّي الذي آياته متشابهات بلا محكمات؛ لأنه كتاب التجلِّي، والتعيُّن، والتقيُّد؛ فهما بحران بينهما برزخ لا يبغيان، فلا يبقى بحر الوجوب والمحكمات على بحر الإمكان والمتشابهات برفع حكمه، واعتباره، وإلا لبطلت الحقائق ومراتب الأسماء والصفات، وكذا لا يبقى بحر الإمكان والمتشابهات على بحر الوجوب والمحكمات برفع تأثيره، وفعله، وإلا انقلبت الحقائق والأعيان.

فالربُّ لا يكون عبدًا، كما أن العبد لا يكون الربَّ أبدًا، وإنما يظهر سرُّ الوجوب في مرآة الإمكان؛ ليحصل كمال الاستجلاء، فكون الإمكان مرآة الوجود، وكذا كون الوجود مرآة أحوال الأعيان؛ لا يوجب الانقلاب والاستحالة؛ لأن العين واحدة، والنسب مختلفة، فإذا غلب الفناء؛ ظهر سرُّ الوجود الباطني، وإذا غلب البقاء؛ ظهر سرُّ الوجود الظاهري؛ لأنه هو الأول، والآخر، والظاهر، والباطن، وأول بحر الإمكان من حيث اعتبار الكون؛ وهو الوجود العيني القلم الأعلى، والعقل الأول؛ وهو بحر العماء الكوني الذي هو مبدأ الكثرة بالفعل؛ ولذا يقال له: بحر العماء الصفاتي التفصيلي، كما أن ما قبله؛ هو بحر العماء الذاتي الإجمالي الذي هو مبدأ الكثرة بالقوة.

فالأول؛ كبدن الشجرة، والثاني؛ كالنواة، فوحدة بدن الشجرة وحدة اعتبارية إضافية، ووحدة النواة وحدة حقيقية أصلية.

ولمَّا كان أمر الوجود دوريًا لا خطيًا؛ ظهر النواة في صورة الشجرة، والأغصان والأوراق، والثمرة، وكان الانتهاء إلى النواة، فعاد الآخر على الأول مع كمال الظهور في المراتب، فكما أن النواة؛ وهي الغيب والمحكم لا تأويل فيها أصلاً؛ فكذا الشجرة بجميع ما تشمل عليه لا تأويل
=

واسم ذات التجلي الرحمن ذي الأبد والإظهار: مقدر الأقدار، ومكور الليل على النهار، مظهر أرواح الكليات في بطانة الرحمة الواسعة بالتجليات.

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى﴾[طه : 5 – 8].

فصل

(**الرحيم**) ذات الأبد المجازية، مشرق شمس التجلي (**الرحمن**).

وبما كانت الصفة الرحمة **﴿وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾** [الأعراف:156] بالإيجاز الكتبي تقديرًا مكنونًا، وتصويرًا موزونًا **﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾** [الأنعام :38] **﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾** [الأنعام:54]؛ فهو الكتاب المجمل المفصل، والنور المرسل المنـــزَّل، جاء به رسول الرحمة، الحق الذي به إيجاد الأمر والخلق، خبرًا دالًا بما ظهر على حقيقة ما بطن.

وبما اشتمل على ثلاثة حقائق: حقيقية التوحيد، وحقيقة الحكمة، وحقيقة الحكم:

أما حقيقة التوحيد[1]: فبما تعلقت احتملت على معانٍ روحانيات، وعلوم عرفانيات، ومطالعات باطنيات[2].

=

فيها أصلاً؛ لأنها شهادة ومتشابه معتبرة في مقامها على حدِّها، وعلى هذا فجميع المراتب من القلم الأعلى إلى آخر المولَّدات، ومرتبة الإنسان لا تحتاج إلى التأويل؛ لأنها حقائق لا مجازات، وإنما يُقال لها: مجازات باعتبار إنها محلُّ الجواز، والعبور إلى الأسماء، والصفات، والذات. فكما أن القرآن الفعلي برئ عن ذلك التأويل؛ فكذا القرآن القولي.

(1) قال سيدي محمد وفا في النفائس: اجلس مع الله على بساط التوحيد، وتأدَّب بآداب التوحيد، وانظر إليه بنظر التوحيد، وخاطبه بلسان التوحيد، فإن أمرك الرجوع إلى عالم الفرق، وكلفك هداية الخلق إلى معارف الحق، فقل: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَاناً نَّصِيراً﴾ [الإسراء:80]. (النفائس ص107).

(2) سقط بالمخطوط: تضمن معنى حقيقة الحكمة.

وأما حقيقة الحكم: فبما تعلقت باسم الرحمن ذات التجلي؛ فاحتملت على أفعال قُدوسيات، وأعمال سُبوحيات ملكيات وفلكيات، ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [الأعراف:160].

أدى الأمانة ونصح، وعبَّر في إشارته فأفصح، وأشار في عبارته فأبهم وأوضح،

ومن حيث الكل والجملة والتفصيل هو على ثلاث مراتب: كلام وقول وحديث:

أما كلام: فصفة نفس ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[النور:35]؛ فهو نور بالهداية والبيان، والنور ما به البيان؛ فبيَّن بما ظهر من المرسوم حقيقة ما بطن من المعلوم.

وبما كان الروح عيسى كلمة من الله ألقاها إلى مريم استدل بالبعض على الكل، وبما هو عين الجمع خصص به لتمييز المرتبة.

ومن حيث هو قول: فصفة فعل ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[يس:82]؛ فما من شيء إلا وهو كائن بالقول، مُنزَّل بالتكوين، ﴿قَوْلُهُ الحَقُّ وَلَهُ المُلْكُ﴾ [الأنعام:73].

وأما كونه حديثًا: فبحكم الإضافة، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً﴾ [النساء: 87]، وهو في أحسن وضع وأبدع نظم ﴿مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُت﴾ [الملك :3)]؛ فهو صفة ذات بالكلام، قام باسم الذات الجلالة، ﴿وَمِنْ آيَاتِه أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ [الروم:25]، ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا﴾[الشورى:52]، وصفه فعلي، بتجلي اسم الذات (الرحمن) الظاهر بالتأثير، الموصوف بالفعل بعد التأثير لا قبله، وصفة إضافة بالحديث، قائم باسم الذات المجازية (الرحيم)، أخلاق ونعوت، وتنــزل في أقدار وموازين ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [البقرة:286]، «**تخلقوا بأخلاق الله**[1]».

---

(1) ذكره المناوي في التعاريف (564/1)، وسيدي علي وفا في المسامع قائلاً: وجود إمام هداك هو ربك وإلهك وسيدك ومولاك، فالقائل: «تخلّقوا بأخلاق ربكم»، يريد تخلّقوا بأخلاق وجودي، =

«خاطبوا الناس على قدر عقولهم[1]» هذا كله من حكم الحديث، وحكمة القول، يفعل ما يشاء، ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الكِتَابِ﴾ [الرعد: 39].

وحقيقة الكلام ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[النور:35] ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء:22].

فصل

﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الكِتَابِ﴾ [الرعد:39].

أما العندية: فلتخصيص المرتبة العلى بالإيجاد الأول.

وأما الأمية: فبالإحاطة الفلك الرحمة، فيما أفاضه قلم القدرة، عن أرواح الأمر وأشباح الخلق، وأعيان الكون بالتوحيد والكلام والحكمة والقول والحكم والحديث.

أما المحو: فمن لوح التركيب بالتحليل، والنسخ والتبديل، والدفع والتنـــزيل.

وبما كان نبي الرحمة النبي الأمي واضح البيان، وواضع الأعيان، وصف بصفات الأفعال، ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف:4] كان من الله وقد تولاه، جاء بجمع الجمع وعين الخبر الحق، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾[الفتح:10].

بما كان رسول الأميين، حامل الأمانة الأمين، مؤديها على لسان الفتح المبين، لأهل الصدق والتصديق واليقين، وصف بالخلق العظيم؛ فولاية ونبوة ورسالة[2].

=

ولما كان من أخلاقه أن تغلب رحمته غضبه، وأن يفرح بتوبة من تاب إليه، ويشكر على القيام بما علمه وبيَّنه، ومكَّن منه، وعلى التودُّد إليه ببعض ما مَنَّ به، ونحو هذا وصف الله بذلك لعباده؛ ليتخلقوا فيتحققوا بوداده.

(1) تقدم تخريجه.

(2) فإن الذين يبايعون الرسول؛ فإنما يبايعون الله، وإن الذين يبايعون وارث الرسول؛ فإنما يبايعون الرسول بوساطة ذلك الوارث، والله تعالى بوساطة الرسول، فالمبايع في الحقيقة هو الله تعالى على أيدي الوسائط.

وبما كان الروح المنفوخة في آدم - إحاطة بالأسماء تصويرًا وتقديرًا وترقيمًا وتسطيرًا- فهو عين الخبر: «**خلق الله آدم على صورته**[1]» جامع الأسماء، مجلى المسميات، بذلك وجب سجود الملكوت لما ظهر من صفات الجبروت والرحموت.

فصل

وسع ﴿**كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً**﴾ [غافر:7].

أما وسع الرحمة: فبما ظهر من أنوار الأسماء والصفات، وأنوار سبحات التجليات، ظهورًا بالإرادة الغالبة، وبالمحبة لا بالكراهة، ﴿**يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ**﴾ [الرعد:2]، وبما جمع آدم بين علم الأسماء ونفخة الروح؛ فلوسع الرحمة والعلم، وخص خَلَقْ اليدين، « **وقلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن** [2]»،

---

(1) تقدم تخريجه.

(2) رواه مسلم (2045/4)، والنسائي (443/4) بنحوه.

فائدة: بنو آدم مائة وخمسة وعشرون جزءًا: مائة في بلاد الهند، والباقية فيما عداها من البلاد مطلقًا كلهم في النار إلا جزءًا واحدًا هم أهل السنة، والجماعة من المؤمنين

وفيه إشارة إلى كثرة أفراد الجلال، وقلة أفراد الجمال؛ لكن لمّا كان المقصود الأعظم: ظهور الإنسان الكامل، وبروز الخلافة الإلهية؛ كان الواحد في كل عصر من الكُمَّل كألف من غيرهم، وذلك من باب الغيرة الإلهية؛ لأن الجمال الإلهي لا ينبغي أن يراه إلا أولو الأبصار.

والمراد بالأصابع: الصفات الإلهية؛ كالقدرة، والإرادة، والقول ونحو ذلك، وأُضيفت إلى الرحمن لا إلى الاسم الله؛ إمَّا لأنهما بمعنى واحد في الحقيقة كما دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَـنَ أَيّاً مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى﴾ [الإسراء:110].

فالرحمة الظاهرة في الرحمن باطنة في الجلالة، والجلال الظاهر في الجلالة باطن في الرحمن.

وإمَّا لأن تقليب القلوب من باب الرحمة، وإن كان في صورة الغضب؛ لأن مال الغضب إلى الرحمة، فكم من مبتلٍ ابتلاؤه عين الرحمة في حقه؛ لأنه به يعرف قدر العافية، وفي حق غيره؛ لأنهم يعتبرون به.

وكم من معافًى عافيته عين الغضب في حقه؛ لأنها تكون استدراجًا له، وفي حق غيره إن كانوا من أهل الابتلاء؛ إذ به يردّون الأقضية الإلهية، ويعترضون على الله تعالى في أحكامه الأزلية المبرمة.

والإصبعان: الصفتان المتضادتان من الهداية، والإضلال، والرحمة، والغضب، والإكرام، والإهانة، والإعزاز والإذلال، وغير ذلك.

وبذلك يتحوَّل العبد من حال إلى حال: مرة من الحالة الحسنة اعتقادًا وعملاً إلى الحالة السيئة =

وتم بتحقق البيان، ويبلغ المقصود في هذا المكان[1].

=

اعتقادًا وعملاً، وأخرى بالعكس، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿**وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ**﴾ [الأنفال:24].

فإنه إذا كان حائلاً بينه وبين قلبه؛ كان أقرب إليه منه، فيفعل ما يفعل من التصريفات على ما يقتضيه استعداده الأزلي، الغير المجعول التابع له الحكمة الإلهية، فتصريفه إياه من حال إلى حال: أي حال كان عدل محض من الله تعالى؛ فإن الله تعالى: ليس بظلام للعبيد.

فمَن وجد خيرًا؛ فليحمد الله، ومَن وجد خلافه؛ فلا يلومن إلا نفسه، فالكل يجري على القضاء الأزلي، والسر القدري لا يقدر أن يخالف ذلك؛ ولكون فهمه من الغوامض؛ مُنع العامة من بحث القدر؛ بل الخواص أيضًا، وإن كانوا قد فهموا ذلك؛ لأن البحث عنه يفضي إلى تعليلات فاسدة، ثم إنه تعالى شبَّه تقلب القلوب كلها مع كثرتها بتقليب قلب واحد؛ لما يقتضيه سر الحقيقة، فإن العين واحدة، والكثرة إنما هي باعتبار التعينات الخارجية.

فكما أن أنوار الشمس وأشعتها لا تتجزأ إلا باعتبار الكُوى والمنافذ؛ فكذا نور الوحدة، ومنه يعلم سرَّ قوله تعالى: ﴿**وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا**﴾ [البقرة:255]، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**﴾ [فاطر:41] ونحوهما.

وإضافة المشيئة إلى نفسه كما في قوله تعالى: ﴿**وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ**﴾ [الإنسان:30]؛ لأن الحقيقة الإلهية الظاهرة في كل فرد من أفراد الكائنات هي الفاعلة المؤثرة.

وأمَّا المشيئة من وجهة القوائل؛ فتابعة لتلك المشيئة الذاتية، فعليك بالفهم التام من غير زيغٍ وضلالٍ.

(1) فائدة في هذا الفصل المتقدم: قال سيدي علي وفا: الرحمن وسع كل شيءٍ علمًا بنفسه، ورحمةً بخليقته، فلما ظهر في مرتبة الأصالة عين الكل علمًا، ولما ظهر في مرتبة الخلافة عين الكلِ حكمًا، ولما شهده الملائكة بخصوصية تروحنها، وقدسها في المرتبتين، قالوا: ﴿**رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً**﴾ [غافر: 7]، فلم يروا معلمهم، وإن تسمَّى بآدم إلا مسمى الرب بالحقيقة، كما قالوا: ﴿**لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ**﴾ [البقرة: 32]، فعيل بمعنى فاعل ومفعل، ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ [البقرة:33]، فهو في مقام النبوة ظاهر، ﴿فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: 33].

فهو في مقام الربوبية باطنًا، فهو آدم النبي الخليفة إمكانًا، والعليم الحكيم وجوبًا، ﴿قَالَ نَبَّأَنِيَ العَلِيمُ الخَبِيرُ﴾ [التحريم:3].

اسمع: جاء في الخبر المحمدي قال الله: «**أنا الله، وأنا الرحمن، خلقت الرحم وشققت لها من اسمي**»، يعني مثاله الذي قال فيه أنه على صورته، «**فمن وصلها وصلته ومن بتها بتته**». رواه الترمذي وصحَّحه، وابن حبان في صحيحه من حيث عبد الرحمن بن عوف.

=

فصـــل

أمُّ الكتاب ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [الفاتحة:2] إضافة الحمد لله إضافة حق لحقيقة، وإضافة الرب للعالمين إضافة لمجاز.

وبما كان الرب من الجلال بصيغة النعت - والنعت في الحقيقة بدلاً من المنعوت - كان العالم بدلاً من الحمد، الأول ظاهر، والثاني يُشكَل إلا بالكشف.

وبما كان الفرع بدلاً عن الأصل «**خلق الله الأرواح قبل الأشباح**[1]»، وذات الحمد المخصوص بالأولية في الخلق الروحاني: «**أنا أول الأنبياء خلقًا**[2]» ويعسوب

=

فانظر هذه المناسبة بين اسم الراوي والمروي، وجاء في الخبر: «إن الله اشتق اسم محمد وأحمد من اسمه حميد»، أو نحو هذا. فانظر كيف هو الرحم الذي اشتق لها من اسمه، وقال: فمحمد فرق بين الناس، من أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار: أي نار الناس التي ﴿**وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**﴾ [البقرة: 24]. وقال ﷺ: «**كل نسبٍ وسببٍ منقطع**»: أي من الحق الديان، «**يوم القيامة إلا نسبي وسببي**» وكذلك ورثته الذين هم آله ومنه وهو منهم.

(1) تقدم.

(2) وروي «أول ما خلق الله روحي»، وبلفظ: «نوري»، وهو أن أول ما خلق الله تعالى نور سيِّدنا محمد ﷺ، ثم خلق منه القلم، والحجب السبعين، وملائكتها، ثم خلق اللوح، ثم قبل كماله وانعقاده خلق العرش، والأرواح، والجنة والبرزخ.

أما العرش فإنه خلقه الله تعالى من نوره، وخلق ذلك النور من النور المكرم، وهو نور سيِّدنا محمد ﷺ، وخلقه: أي العرش ياقوتة عظيمة لا يُقاس قدرها وعظمها، وخلق في وسط هذه الياقوتة جوهرة، فصار مجموع الياقوتة والجوهرة كبيضة بياضها، هو الياقوتة، وصفارها هو الجوهرة، ثم إن الله تعالى أمد تلك الجوهرة وسقاها بنوره ﷺ، فجعل يخرق الياقوتة، ويسقي الجوهرة، فسقاها مرة ثم مرة، إلى أن انتهى إلى سبع مرات، فسالت الجوهرة بإذن الله تعالى، فرجعت ماء ونزلت إلى أسفل الياقوتة التي هي العرش، ثم إن النور المكرَّم الذي خرق العرش إلى الجوهرة التي سالت ماء لم يرجع، فخلق الله منه ملائكة ثمانية، وهم حملة العرش، فخلقهم من صفائه، وخلق من ثقله الريح، وله قوة وجهد عظيم، فأمرها تعالى أن تنـــزل تحت الماء، فسكنت تحته فحملته، ثم جعلت تخدم، وجعل البرد يقوى في الماء، فأراد الماء أن يرجع إلى أصله ويجمد، فلم تدعه الرياح، بل جعلت تكسر شقوقه التي تجمد، وجعلت تلك الشقوق تتعفن، ويدخلها الثقل والنتونة، وشقوق تزيد على شقوق، ثم جعلت تكبر وتتسع، وذهبت إلى

=

=

جهات سبع، وأماكن سبع، فخلق الله منه الأرضين السبع، ودخل الماء بينهما والبحور، وجعل الضباب يتصاعد من الماء؛ لقوة جهد الريح، ثم جعل يتراكم، فخلق الله منه السموات السبع.
ثم جعل الريح تخدم خدمة عظيمة على عادتها أولاً وآخرًا، فجعلت النار تزيد في الهواء من قوة خرق الريح للماء والهواء، وكلما زندت نارًا أخذتها الملائكة، وذهبت بها إلى محل جهنم اليوم، فذلك أصل جهنم، فالشقوق التي تكونت منه الأرضون تركوها على حالها، والضباب الذي تكونت منه السموات تركوه على حاله أيضًا، والنار التي زندت في الهواء أخذوها ونقلوها إلى محلٍ آخر؛ لأنهم لو تركوها لأكلت الشقوق التي منها الأرضون السبع، والضباب الذي منه السموات السبع، بل وتأكل الماء، وتشربه بالكلية؛ لقوة جهد الريح.
ثم إن الله تعالى خلق الملائكة الأرضيين من نوره ﷺ، وأمرهم أن يعبدوه عليها، وخلق ملائكة السموات من نوره ﷺ، وأمرهم أن يعبدوه عليها.
وأما الأرواح والجنة إلا مواضع منها، فإنها أيضًا خُلقت من نورٍ، وخُلق ذلك النور من نوره ﷺ.
وأما البرزخ: فنصفه الأعلى من نوره ﷺ، فخرج من هذا أن القلم واللوح ونصف البرزخ والحجب السبعين وجميع ملائكتها وملائكة السموات والأرضين كلها خُلقت من نوره ﷺ بلا واسطةٍ، وإن العرش والماء والجنة والأرواح خُلقت من نوره ﷺ.
ثم بعد هذا فلهذه المخلوقات سقي آخر من نوره ﷺ.
أما القلم: فإنه سُقي سبع مرات سقيًا عظيمًا، وهو أعظم المخلوقات؛ بحيث لو كشف نوره لجرم الأرض لتدكدكت وصارت رميمًا، وكذا الماء فإنه سقي سبع مرات، ولكن ليس كسقي القلم.
وأما الحجب السبعون فإنها في سقي دائم.
وأما العرش فإنه سقي مرتين: مرة في بدء خلقه، ومرة عند تمام خلقه؛ لتستمسك ذاته، وكذا الجنة فإنها سقيت مرتين: مرة في بدء خلقها، ومرة بعد تمام خلقها؛ لتستمسك ذاتها.
وأما الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وكذا سائر المؤمنين من الأمم الماضية، ومن هذه الأمة، فإنهم سُقوا ثمان مرات:
الأولى: في عالم الأرواح حين خلق الله نور الأرواح جملةً.
فسقاه الثانية: حين جعل يصور منه الأرواح، فعند تصوير كل روحٍ سقاها بنوره ﷺ.
الثالثة: يوم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف:173]، فإن كل من أجاب لله تعالى من أرواح المؤمنين والأنبياء عليهم الصلاة والسلام سُقي من نوره ﷺ، لكنهم متفاوتون، فمنهم من سُقي كثيرًا، ومنهم من سُقي قليلاً، فمن هنا وقع التفاوت بين المؤمنين، حتى كان منهم أولياء وغيرهم.
وأما أرواح الكفار فإنها كرهت شرب ذلك النور، وامتنعت منه، فلما رأت ما وقع للأرواح التي شربت منه من السعادة الأبدية، والارتقاءات السرمدية، ندمت وطلبت سقيًا، فسُقيت من
=

=

الظلام، والعياذ بالله.

الرابعة: عند تصويره في بطن أمه، وتركيب مفاصله، وشق بصره، فإن ذاته تُسقى من النور المكرم؛ لتلين مفاصله، وتنفتح أسماعها وأبصارها، ولولا ذلك ما لانت مفاصلها.

الخامسة: عند خروجه من بطن أمه، فإنه يُسقى من النور المكرم؛ ليلتهم الأكل من فمه، ولولا ذلك ما أكل من فمه أبدًا.

السادسة: عند التقامه ثدي أمه في أول رضعة، فإنه يُسقى من النور المكرَّم أيضًا.

السابعة: عند نفخ الروح فيه، فإنه لولا سقي الذات بالنور المكرم ما دخل فيها الروح أبدًا، ومع ذلك فلا تدخل فيها إلا بكلفة عظيمة، وتعب يحصل للملائكة معها، ولولا أمر الله تعالى لها ومعرفتها به ما قدر ملك على إدخالها في الذات.

الثامنة: عند تصويره عند البعث، فإنه يُسقى من النور المكرَّم؛ لتستمسك ذاته.

ثم السقي في هذه المرات الثمانية وإن اشترك فيه الأنبياء والمؤمنون من سائر الأمم ومن هذه الأمة، ولكن الفرق حاصل، فإن ما سُقي به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قدر لا يطيقه غيرهم، فلذلك حازوا درجة النبوة والرسالة، وأما غيرهم فكل سقي بقدر طاقته.

وأما الفرق بين سقي هذه الأمة الشريفة وبين سقي غيرها من سائر الأمم، فهو أن هذه الأمة الشريفة سُقيت من النور المكرَّم بعد دخوله في الذات الطاهرة، وهي ذاته ﷺ، فحصل له من الكمال ما لا يكيف ولا يُطاق؛ لأن النور الكريم أخذ سر روحه الطاهرة ﷺ، بخلاف الأمم السابقة؛ فإن النور في سقيها إنما أخذ سر الروح فقط، فلهذا كان المؤمنون من هذه الأمة كُمَّلاً وعدولاً وسطًا، وكانت هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس، ولله الحمد والشكر انتهى.

فإن قلت: أفاد هذا قوة سقي المؤمنين من هذه الأمة على سقي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقد سبق ما ينافيه فما قولك فيه؟

قلت: الأنبياء وإن سُقوا من النور قبل دخوله في الذات، كثر سقيهم منه جدًّا حتى فاق سقي هذه الأمة الذي هو بعد دخول النور في الذات، على أن سقي الأنبياء بدون واسطة، وسقي هذه الأمة بواسطة الختم.

فإن قلت: ربما أفاد هذا مساواة الختم للأنبياء حيث سُقي بدون واسطة.

قلت: الختم له سقيان: أحدهما بواسطة الأنبياء، والآخر بدون واسطة، ومع ذلك فالسقي الحاصل للأنبياء بل وللصحابة أقوى من الحاصل للختم، والله تعالى أعلم.

ثم قال في الإبريز: وكذا سائر المخلوقات سُقيت من النور المكرَّم، ولولا النور الكريم الذي فيها ما انتفع أحدٌ منها بشيءٍ.

قال ﷺ: ولما نزل سيِّدنا آدم عليه السلام إلى الأرض كانت الأشجار تتساقط ثمارها في أول ظهورها، فلما أراد الله إثمارها سقاها من نوره المكرَّم ﷺ، فمن ذلك اليوم جعلت تُثمر، ولقد كانت قبل

=

الأرواح أي: أصلهم؛ فذات الحمد روح الأمر ونور العلم، فاتحة الكتاب الحمد وأمه الجامع لحقائق العلم، ومتعلقه المعلوم بالفعل، من حيث الكلام والقول، وكما كانت الأرواح بدلاً عن ذات الحمد كذلك الأشباح بدل من الأرواح، والأجسام من الأشباح، كظهور حواء عن آدم، ثم تكثر، والبدل ينوب عن المبدل منه بوجه ما، كالسراج عن الشمس، و(إذا حضر الماء بطل التيمم)، ولهذا نُسِخَ بتعيينه الأعيان، وأخفى النجوم الأول ببروز شمسيه، وإذا تجلى نور الحمد ذات الأمر استترت تحت

=

ذلك ذكارًا تنفتح، ثم تتساقط، ولولا نوره ﷺ الذي في ذوات الكافرين فإنها سقيت به عند تصويرها في البطون، وعند نفخ الروح، وعند الخروج، وعند الرضاع، لخرجت إليهم جهنم وأكلتهم أكلاً، ولا تخرج إليهم في الآخرة حتى يُنـــزع منهم ذلك النور الذي صلحت به ذواتهم، والله أعلم.

وقال الحاتمي ﷺ في الفتوحات: مستمد جميع الأنبياء والمرسلين من روح سيِّدنا محمد ﷺ؛ إذ هو قطب الأقطاب، فهو ممد لجميع الناس أولاً وآخرًا، فهو ممد كل نبيٍّ ووليٍّ سابق على ظهوره حال كونه في الغيب، وممد أيضًا لكل وليٍّ لاحقٍ فيوصله بذلك إلى مرتبة كماله في عالم الشهادة، وفي حالة انتقاله إلى البرزخ والدار الآخرة، فإن أنوار رسالته ﷺ غير منقطعة عن العالم من المتقدمين والمتأخرين، فكل نبيٍّ تقدم على زمان ظهوره فهو نائبٌ عنه في بعثته بتلك الشريعة انتهى. انظر إلى شرحنا لياقوتة الحقائق.

ونقل في الإبريز قبل هذا عن سيدي أحمد بن عبد الله الغوث ﷺ أنه قال لمريدٍ له: يا ولدي، لولا سيد الوجود ﷺ ما ظهر سرٌّ من أسرار الأرض، فلولا هو ما تفجَّرت عينٌ من العيون، ولا جرى نهرٌ من الأنهار، وإن نوره ﷺ يا ولدي يفوح في شهر مارس ثلاث مرات على سائر الحبوب، فيقع لها الإثمار ببركته ﷺ، ولولا نوره ﷺ ما أثمرت.

ويا ولدي إن أقل الناس إيمانًا من يرى إيمانه على ذاته مثل الجبل، وأعظم منه فأحرى غيره، وإن الذات تكلّ أحيانًا عن حمل الإيمان فتريد أن ترميه، فيفوح نور النبي ﷺ فيكون معينًا لها على حمل الإيمان فتستحليه وتستطيبه انتهى المراد منه.

فظهر أن المخلوقات كلها مستمدة من نوره ﷺ، حسبما سبق في علم الله تعالى واقتضته حكمته ومشيئته، لا أنه تعالى متوقفٌ في خلق الأشياء على ذلك فافهم، فمن ثَمَّ سُمِّي ﷺ نور الأكوان.

ثم إن الأكوان عند المتكلمين أربعة: الاجتماع، والافتراق، والحركة، والسكون، والمراد بها هنا جميع المخلوقات.

أشعته نجوم الخلق، وتحللت معاقل الكون، وإذا تجلت الجلالة من غيب الأزل اندرجت أسماء الحق بالأفعال في اسم الحقيقة، (الصفات الذات)(1)، وانطوى الواحد في الأحد، وبطل حكم العدد.

وبما خلق الله نور الحمد من نور الوجه - حجاب الأزل للحق من حيث تعيين الفعل- خلق الله نور محمد من نور وجهه، كان السُّبحة العظمى البارزة بالوجود الكل، حقيقة القول، ظهورًا بالتجلي، متصلاً كالنور عن الشمس، بارزًا بالإرسال، متصل بالأصل، ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾ [النحل:60] ولرسوله، والأمر كذلك عن الباطن بالعلم، والظاهر بالفعل عينًا ومعنى، غيبًا وشهادة، ولن تفترق «**لا إله إلا الله محمد رسول الله**» أبدًا وأزلاً.

أمـــا نـــسخ أعيان الفعل بمعنى الحمد في أفلاك الموجد إلى حقائق الوجود- الأسمـــاء الحـــسنى- المتـــصرفة في الأملاك، الحاكمة في المراتب استيلاءً بالترتيب الوضعي، كان الحمد روح الأمر، نفته الاسم الباطن في أعيان الفعل الموات في طلب الحجـــاب؛ فـــسبحوا بالهداية - الحياة - إلى حقائق غاياتهم، وهي الأسماء: الغيب والشهادة ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾[الإسراء:84]، وهذه النكتة حقيقة السيادة بالـــنور المرشـــوش علـــى الخلـــق في الظلمـــة، ﴿أَوَ مَـــن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاه﴾ [الأنعام:122].

وبما كان تنـــزيله الكتابي في ﴿لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر:1]، بالملائكة والروح، بالإذن ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر:5/4] هذا بروز السُّبحة في باطن الغيب الروحاني.

وبما تنـــزَّل فيها القرآن جملة (كلامه) (2) فاتحة الكتاب الحمد، عرج إلى الله ذي المعارج في اليوم الكلي، بالملائكة والروح تعميمًا إلى النهايات والأسماء

(1) كذا في الأصل.

(2) في الأصل: كلا انه.

والغايات، في المرتقى العلي، ﴿وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات:164].

«اقرأ وارْقَ[1]» وكل هذا من سر التسبيح بالحمد، هذا من حيث التفصيل تعميمًا، وأما من حيث الجملة وتخصيص عين الجمع ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً﴾ [الإسراء:1]، كما نـــزل سرًا ترقى سرًا إلى أن رأى من آيات ربه الكبرى، الأول تعميمًا والثاني تخصيصًا، بطونًا وظهورًا، تشريعًا وتحقيقًا.

فصـــل

حفظ ولاية الولي الحميد لذات الحمد:

وبما حفظ الله الذكر في التنـــزيل بالعصمة في الأمهات المثاني السبع والقرآن العظيم، عين الجمع من أُولي العزم: ﴿قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً رَسُولاً﴾ [الطلاق: 11/10] كان الولاء تخصيصًا بالعلم النوراني والكشف الروحاني، بحسب التنـــزيل في المراتب: من المقامات: الرسل، والدرجات: الأنبياء والخلفاء الأتباع، ﴿وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقاً﴾ [النساء:69].

فولاية الله لذات الحمد المخصوص بما كان اسم الذات الأعظم ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف:196].

وكذلك ولاء (الأسماء الصفات الذات) [2] السبع المثاني حقائق ذوات وأسماء صفات[3].

---

(1) رواه أبو داود (73/2)، والترمذي (177/5).

(2) كذا بالأصل

(3) قال الشيخ محمد وفا في «العروش» في كلامه على السبع المثاني وأرواح الأواني والمعاني:
اعلم أن هذه الأرواح والحقائق والدقائق، كانت للإسرائيليات بالإرساليَّات والنبويَّات وهي في المحمَّديات بالقطبيات والولايات، وبما كان عصره ﷺ كله جمعيات، فكل مائة في زمانه جمعة من جمعه وعصر من عصور مطلعه.
وبما قال ﷺ: «استدار الزمان كهيئته يوم خلقه الله»، فكانت كل جمعة من هذه الجُمع الجامعة سبعة أيام كل يوم مشرق شمس من شموسه الطالعة؛ وهى سبع جُمع في كل أفق ومطلع، والجمعة الثامنة مصلاها جامع إجماع جوامع جمعاتها، ومنارة منارات منابر عروش إحاطات رحموتيات =

=

رحمانياتها، وهذا هو العصر المقْسَم به في نص الذكر.
حيث قال الله تعالى: ﴿**وَالْعَصْرِ*إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ**﴾ [العصر:1، 2]؛ ولأنه يومٌ فيه يُختم على كل قلبٍ بما فيه، فإن كان حقًّا ختم عليه بحق، وإن كان شكًّا ختم عليه بشك.
قال تعالى: ﴿**سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ**﴾ [الأنعام: 139].
ولذلك قال: ﴿**إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾ [العصر:3].
وهذا هو اليوم الذي يرفع فيه ظاهر القرآن لَمَّا رُفع باطن القرآن أولاً؛ ولأن الربح والخسران متعلِّقات فيه بالإنسان لا بآدم الأعيان؛ ولأن في عيسى ختمت الدورة آدمية والأزمان الدنيوية وفي الزمن المحمَّدي؛ تجلَّت الأزمان الأخروية والدورات الإنسانية، ولذلك أُخِّر نزول عيسى عليه السلام إلى آخر الزمان حتى يرتفع الإنسان بحضرة الرحمن، ويكون القيام على الآدمية والأبدان، وتحقُّق الأديان بين يدي الديَّان وهذا يوم الفرقان وهو ظاهر القرآن.
وبما قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾ [القصص:85].
وحقيقة المعاد تكرار منارة الأنوار على كل دائرة دار، فلما انقضت جمعة الخلافة الأولى التي كانت بجَمعه الأبهى وصدره الأزهر الأزهى.
وبما قال ﷺ: «**لا يبقى في المائة الثانية ممن على وجه الأرض اليومَ أحد**».
فبيَّن ﷺ انقضاء كل عصرٍ من عصوره بما فيه من حكم وأحكام وعلماء أئمة أعلام؛ ولأن الزمان الثاني يأتي بحكم المثاني، ولكن في خِلع علوم معارف وأحوال، ومظاهر أحكام وحِكمٍ وأقوال، وظواهر رسوم وأفعال وأعمال.
وبما قيل: لكل زمان دولة ورجال، وهذا من حكم النسخ والتبديل بالتخفيف والتثقيل.
قال تعالى: ﴿**وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ**﴾ [الأحزاب: 4].
وقال: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ [البقرة:106].
وهذا النسخ نسخ بطون، وجَمْع لا نسخ إعدام ورفع، فلا يزال ذلك العين العلم المعْلم والمعنى العالم المعَلِّم المحْكم، يتطلَّع في مطالع كل جمعةٍ من جمعه بعين أعيان مطالع طلعته في خلعة من تكوينات خِلع خلعته، حتى ينتهي إلى ثامنه، وجامع سبعته فتكون هذه العين الطالعةُ بالطلعة، وجامعُ سبعة الجمعة هو الرجل الذي يبعثه الله على رأس كل مائة يجدد لهذه الأمة دينهم، وهو تجديد في بطانيات الحياة وإمساكات القوى، وهذا هو الجامع الربَّاني والعين المحمَّدي الرحموتي الرحماني، وله في وقته سبع من المثاني وهم أيام الجمعة، وحقائق البطانات السبعة فأُسَّهم وأساساهم ورئيسهم ورأسهم؛ هو القطب الأسنى والسرُّ الأخفى والنور الأجلى والولي الأوْلى في الآخرة والأولى؛ وهو القائم بين يدي العين المحمَّدية والطلعة الأحمدية.
وهو الذي قال ﷺ: «**ورجلٌ من أمتي على قلبي**».

=

=

فهو القائم تجاه الوجه الأعلى بحكم المسامتة على خط الاستواء، وهذه حقيقة المرافقة والمطابقة كالبدر المستفيد من نور الشمس إذا كان معها على خط الاستواء، وإنما هذا لا ينحرف أبدًا، شديد القوى لا يضلُّ ولا ينسى، وهذا هو الواحد الغريب والمقرَّب الحبيب وسيد الغرباء ونائب حضرة البهاء محمد المصطفى إذا ترقّى إلى غيب بطانة بطانيته، وتجلّى في حجاب رحمانيته، فيكون هذا بين يديه في مقام نيابته بتحقيق محمَّدية سيادته؛ وهو بخاصية المثالية الجبريليَّة الدحيَّة التي كان فيها الملك رجلاً يكلِّمه كفاحًا وعن شماله الفرد والمحقق والعارف، فالفرد له العلم الخاص في الزمان الذي لم يعلمه قبله عقل، ولا خطر في جنانٍ، ولا فاه به فم، ولا نطق به لسان، وهذا وهو الهويَّة المرسلة مع الهويَّة السارية، والمحقق هو المستهلك في التوحيد بالكليَّة والفاني في الوحدة الإلهية؛ وهذه درجة الجلالة.

والعارف هو القدم المكين والروح الحافظ الأمين وهو درجة الرحمانية، وبما قلنا في العروش الأربعة الذين هم مستويات المحمَّدية ولا يزالون معه بالمعيَّة وبما ذكرنا من الخاصيات الثلاثة في العُلوية، وهم علي عيسى ويحيى، وكلُّ تثليث عرش الأول بالخاصيَّة والثاني بالخاصة والثالث بالخصوصية ففي هذه الحيطة العرشية علي بخاصية الفرد وعيسى بخاصية المحقق والعارف بخصوصية يحيى.

وبما قال ﷺ: «ورجلٌ من أمتي على قلب عيسى».

وهؤلاء عن يسار القطب وعن يمينه الغوث والخليفة والإمام.

فالغوث: هو موضع الصدِّيقية وحاملِ التجلِّيات الربانية والمختطف عن العوارض البشرية بالكلية، وهو السميع المطيع بالذات لِمَا يتجلَّى عليه من انفهاقات الأسماء والصفات وهذه حقيقة الغوثيَّة؛ إذ لولا حقائق الصدِّيقية وقوابلها الراضية المرضية، ما تفتَّحت الأبواب الغيبية، وتنـــزَّلت الإخبارات الصادقية بالعلوم اللدنيَّة.

والخليفة: هو خزانة الأمانة وحرز الوفاء والصيانة، والحكم بالعدل والعدالة؛ فهو مصرف القسم العرفانيَّة في البواطن الإيمانية، والمشاهدات الإحسانية، والشواهد الإسلامية.

والإمام: هو وجه مواجهة القلوب بمطالبها، والعقول بمذاهبها، والإدراكات بتصوراتها فهو حضرة قُرب القربين، وإليه تنتهي أقدام السابقين.

وهذا هو العرش الأبي بكري فالغوث بالخاصية الأبي بكرية، والخليفة بالخاصية الآدمية، والإمام بالخصوصية الإدريسية، وهذه السبعة وجوهٌ كرام وبدورٌ تمام وحضرات سلام بين يدي العين المحمَّدية والحضرات الوحدانية الأحمدية، ولكل واحد من هذه السبعة العلا مائة من الأسماء الحسنى، فهي حضرات تجلِّيه، وقُدس تدلِّيه وتدنِّيه، ولكل اسمٍ من المائة اسم مائة اسم هي لـــه تسمية كُنى، بحيث يتحقق الهو والأنت والأنا؛ وهي درجات نزوله في تمثُلاته وعيون ظهوره في تطلُّعاته، فمجموع هذا الجمع الأوفى، والنور الأظهر الأخفى سبعون ألفًا.

وبما قال ﷺ: «**سبعون ألفًا من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب**».

ثم وصفهم فقال: «**هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربِّهم يتوكَّلون**»، ثم

=

=

وصفهم في دخول الجنة، وقد شبَّه وجوههم بالبدر نورًا ونوعًا.

ثم سُئل في الحديث الآخر: «**هل نرى ربَّنا، فقال: أتُضَامون في رؤية الشمس، أتضامون في رؤية البدر**».

فأشار ﷺ إشارة موقَّرة مقدَّسة مطهَّرة إلى هذه الحُجب الوجهية القمرية الشمسية؛ وهم حُجب ربانية وتجلِّيات رحمانية، كما تقرر في التمثُّلات الجبريلية في الصورة الدحيَّة وهو أنه إذا انكشف غطاء البشرية، وانفك طابع طباع الفخارة الطينية، ظهرت أسرار هذه الحقائق القدسية؛ ولأنها كلها أسرار إلهية وأرواح رحمانية وأفئدة ربانية وقلوب أحمدية، وعقول محمَّدية، وأنفس ملكية جبريلية، وإدراكات ميكائيلية.

وعلى الجملة والتفصيل؛ كلها أسرار إلهية وأنوار رحمانية في تجلِّيات ربانية، وتمثُّلات روحانية رحموتية جبروتية ملكوتية مُلكية، وقد ضرب لنا مثلاً عظيمًا ونبأ كريمًا بما ينـــزل روح التأمين وسكينة التسكين بإيضاح فصاحة التبيين؛ ولأن جبريل عليه السلام كان في ضمن قوَّته، وتصور علميته صورةُ دحيَّة في بساطةِ قُدس غيبة الإحياء، فلما تمثَّل أخرجَ للفعل ما في القوى، فإن قلت: ذلك المثال نفس جبريل؛ فهو الحق فإنه لا ينفصل عنه انفصال الاستقلال، ولا يباينه مباينة الأجسام من الأجسام والأجرام من الأجرام.

وإن قلت: هو غيره فبوجه ما ينطوي في القوى إذا رجع إلى إحاطته الأولى، وإن كان عن إحاطته ما نَزلْ، وعن مملكة كرسي قدسه ما انعزلَ؛ وإنما هو كتموج الموج في الماء.

قال تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [النحل:60]، فإن ظهر هذا فنقول على وجه البيان: إن جبريلَ الحقيقةُ وصورةَ دحيَّة في القوي؛ هي متعلِّق القوى كما تقدَّم فيما مضى، وهذه هي العلة والمعلول اللَّذان لا يفترقان أبدًا كما تقدَّم في معلوم العلم.

كذلك تقول في مقدور القدرة ومراد الإرادة ومسموع السمع ومبصور البصر وكلمات الكلام وأرواح الحياة: كل هذه غيوب لاهوتيتها، وقُدس بواطن إحاطيتها، فإذا تجلَّت كانت هذه المعلولات لها صور تمثُّلات وأشكال تنـــزُّلات، وتجلِّيات متَّصلة لا منفصلة؛ وهي الأقلام الكاتبة وكل قلمٍ منها هو أمرٌ.

قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ [يـــس:82] وألواحها منخلعة عنها كانخلاع حواء عن آدم، كما تقدَّم وتقادم، وتكون الكائنات بعد هذا مشتركة بين الألواح والأقلام كما يشترك السمع واللسان في الكلام، فافهم حقيقة هذا التنـــزيل، قال تعالى: ﴿**وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ**﴾ [الأحزاب:4].

فهذه الشموس والبدور تجلِّيات ونور وحضرات حضور، وتمثُّلات أسرة أسرارِ سرور، وألواحها المنخلعة عنها منابرها وكراسيها وأسرتها في جبروتها وملكها وملكوتها، فإن فهمت هذه الحقيقة اللدنية فلنرجع إلى كمال القطبية بعد ما تفصَّلت أسرار العين المحمَّدية بالعرشية العَلويَّة، والعرشية الأبي بكريَّة، ولنتنـــزَّل من هذه الجبروتيَّة إلى الملكوتيَّة بحيث العرشيَّة العُمَريَّة العثمانيَّة؛ وهي الأنوار الوتديَّة وبما كان الاثنان اللذان بقيا من الصحابة العشرة رضي الله عنهم أحدهما بخاصيته الكبير

=

=

الكفهي، والنور الأزهر المستخفي في كهف القطب الذي على قلب محمد ﷺ وشرَّف وكرَّم وعلى آله هؤلاء الطيبين الطاهرين وأصحابه المؤمنين الآمنين.

وكان هذا الكبير الكفهي؛ هو الوتد القائم بين يدي القطب، كما أن القطب محمد ﷺ وهذه القطبية الوتدية هي موضع تثبيت الفرقان وسكينة تقلُّب قلب مسكن الإيمان، وبما قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ [الفتح:4].

مع قوله ﷺ: «لقلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يقلبها كيف يشاء».

ثم قال ﷺ: «اللَّهم مُثبت القلوب ثبِّت قلوبنا على دينك» فتحقق بهذه أن ثَمَّ تقلُّبات قلوب بمقلِّبات غيوب، وأن ثَمَّ سكينة إيمان وتأييد روح أمان.

كما قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ [المجادلة:22].

وهذه الروح السكينة القدسيَّة؛ هي حقيقة القطبية الوتديَّة الخاصية الصحابيَّة والكهفيَّة وهذا الوتد عن يمينه النقيب والنجيب والحافظ.

فالنقيب بخاصية حق اليقين؛ وهو حصول عين الخبر في المخبَر له.

والثاني: النجيب بعين اليقين؛ وهو تحقيق الخبر في عين المخبر.

الثالث: الحافظ بعلم اليقين؛ وهو حصول الخبر قطعًا بتصديق المخبِر، فهؤلاء عن يمين القطب الوتدي، وهو بخاصية عمر وإبراهيم وإلياس، وعن يساره البدل والخفير والصالح وهم بالإحسان والإيمان والإسلام، فالبدليَّة انتقال من غيب إلى شهادة ذوقًا، وهذا هو الإحسان.

حيث قال ﷺ: «**اعبد الله كأنك تراه**»، وحقيقة بطون البشرية في الروحانية البدليَّة.

كما في قوله: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ*وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [إبراهيم:19، 20].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ﴾ [إبراهيم:48]؛ فهذا تبديلٌ بالصفات لا بالذات، ولولا حقائق البدليَّة ما ترقَّت القلوب في الدرجات، ولا عرجت القلوب إلى الحضرات، وهذا هو الإحسان بتحقيق الإنسان.

وأمَّا الخفارة؛ فهي تحقيق الإيمانية بما فيها من صدِّيقية غيبية عارضة ربيَّة ودقيقة حالية وهذه حقيقة الخفارة؛ ولأنه بنور تصورات إيمانه يغفر شائبة الشرك الخفي، ويستر بستر إخلاصه النير الجلِّي.

ولذلك قال ﷺ: «**حياتي خير لكم ومماتي خير لكم، تحدثون ويحدث لكم تُعرض عليَّ صحائف أعمالكم، فما كان فيها حسنًا حمدت الله عليه، وما كان فيها غير ذلك استغفرت الله له**».

والغفر الستر فبنور إيمان الخفير، يستر شرك القاصر الخفي اليسير.

وبما قال ﷺ لحارثة: «كيف أصبحت؟ قال: أصبحت مؤمنًا حقًا، فقال رسول الله ﷺ: لكل حقٍّ حقيقة، وسأله عن حقيقة إيمانه، فقال: أعرضت نفسي عن الدنيا فتساوى عندي ذهبها

=

=

ومدرها».
وجعل الذهب بدلاً عن الدنيا؛ ولأنه يقول ﷺ: «**تَعس عبد الدينار والدرهم والخميصة إن أُعطي منها رضي وإن لم يُعطَ لم يرضَ**».
وفي الحديث الآخر: «**تَعس وانتكس وإن شيك فلا انتقش**».
ثم قال ﷺ لحارثة بعد أن قال: «**تساوى عندي ذهبها ومدرها، فكأني أرى أهل الجنة في الجنة ينعمون، وأهل النار في النار يُعذَّبون، وكأني أرى عرش ربي بارزًا**».
والفرق بين هذا الإيمان والإحسان أنه قال ﷺ: «**اعبد الله كأنك تراه**»؛ فهذه رؤية الله مع نفي الأغيار.
وأمَّا الحافظ فبخاصية الإسلام وحقيقة الانقياد والتسليم والتفويض في الأحكام، وبما جعل الله التسليم للقضاء شرطًا في الإيمان.
فقال تعالى: ﴿**فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾ [النساء:65]، فأكَّد الإسلام بالتسليم وحقَّق التخصيص في التعميم، وهذا حقيقة الحفظ؛ ولأن الأبشار لا تصبر تحت تصرُّفات الأقدار، ولولا الأخيار لهلكت الأغيار.
وبما قال ﷺ: «يقول الله: لولا أطفال رُضَّع، وبهائم رُتع، وشيوخ رُكع، لصببت البلاء عليكم صبًّا».
وهذا الحافظ المسلم موضع نظر الحق عند تنـــزيل الأرزاق للخلق، فالبدل بخاصية عثمان والخفير بخاصية موسى. وبما قال ﷺ: «**ورجلٌ من أمتي على قلب موسى**».
والحافظ بخصوصية الخضر، فالعُمريَّات أقطاب في العلم اللدني والعثمانيَّات أقطاب في الحال، وهؤلاء يتزايدون في العدد، ويتكاثرون في المدد حتى يكون مع كل واحدٍ من السبعين ألفًا المتقدِّم ذكرهم سبعون ألفًا من هؤلاء.
كما قال ﷺ في دخول الجنة بغير حساب: «سبعون ألفًا ومع كل واحد منهم سبعون ألفًا».
كلهم شموسٌ عُلا وأقمارٌ بَها ونجوم هدى، وهذا هو المشهد الكبير في الجمِّ الغفير، وهو عالم الملكوت ظهارة بطانة غيب الجبروت، فهم سبعمائة ألف ألف.
قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:261]، وهذا تنـــزيل العروش الرحمانية والحقائق الربانيَّة.
وأمَّا الكراسي الأربعة التي تقدَّم ذكرها في الصحابيات وهي ظواهر على الغيوب العرشيَّة وبطائن للظواهر الملكية في السماويَّة والأرضية؛ بَل هي أعيان عيونها وموازين أحكام ترجيح ظنونهم، وتبيين موجودات أوهام أفهامهم في فنونهم، وهم أئمة الاجتهاد ومؤصِّلوا أصول الفرق بين الصلاح والفساد، وحقائقهم عقول الترجيح والتجريح في التحسين والتقبيح؛ كمالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد أُولي المناصب المنيفة والمراتب الحفظة الشريفة؛ هم أئمة الدين وحفظة المسلمين وخزنة العقد الثمين والسرِّ المكين، جعلهم الله حُماة لحمى عدم أمانه، وحفظة لخزائن

=

ثم إلى ما في ضمنهم من سور نبوية ورسلية، وآيات محكمات أمية تبعية، حتى الأقرب فالأقرب، في حقيقة الباطن من القرآن العظيم، والأسماء الأفعال في الظاهريات بالترتيب يتصل الفرع ما يتناول الأصل، من فيض الحياة، بحسب الاستيفاء، والثمرة بالفرع، والفرع بالأصل، والأصل بالمدد: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج:22/21].

فصل

الثاني من السبع المثاني ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:1] تكرار المفتاح مجردًا عن اسم الجلالة. وبما يحجب في قوة ظهوره؛ فالأول فتح الأفق الأعلى وما حوى: ﴿مَا كَذَبَ الفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم:11] [1] من خفيات ربانية، ولطائف علمية،

=

أسرار إيمانه وإحسانه، وحافظهم وجامعهم وقطب دائرتهم الواحد الباقي من الصحابة العشرة الكرام البررة، فجر ليالي المحمَّدية الطالع، وإبصار نور برق سرِّه اللامع ﷺ أجمعين وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وهذا هو الجمُّ الأعم والأكثر الأكبر، والعِلم الأعلم المعَلِّم فمنهم المتكلِّم والأصولي الفقيه، والفقيه الفروعي هذا بالنمط الواحد.

ومنهم: المحدِّث والنحوي والمفسِّر؛ هذا بالنمط الثاني وهذه أيضًا سبعة بخاصية الوسط الصحابي، ولكل علم من هذه العلوم الستة قطب في الزمان، تكون فيه النهاية ويأخذ منهم الغاية.

والنمط الثالث من الكراسي منهم: العامل المجاهد، والصابر المكابد، والمقتصد القاصد وهؤلاء أيضًا أقطابٌ في الزمان وذخائر أسرار في الأوان.

والنمط الرابع: الصوفي المحقِّق، والصوفي المتخلِّق، والصوفي المصدِّق.

فالأول: بجمع الجمع نحو ما تقتضيه علوم الصوفية، والثاني: بالجمع، والثالث: بالسمع فرب حالٍ، وصاحب حال، وعبد حالٍ وهؤلاء؛ هم أنوار الحضرات وأبواب أسماء سماء سماك النُّهى، كما أن الكرسيين الأولين مفاتيح أبواب جنة الجزاء، وديوان حساب العطاء، وهذا في كل أيام سبعة في يوم جمعة من الجُمع السبعة، تتكرر تكرار الصلوات، وكما مضى يكون ما هو آتٍ حتى إلى يوم الميقات.

(1) قال سيدي محمد وفا في المعاريج (ص 204): فهو محل لتنـــزل العلم اللدني، وإلقاء النور الروحي في غاية من الكمال والتمام بالاتصاف بحقيقة الفقر لذي الجلال والإكرام، فأخذه من الله تبارك وتعالى عطاؤه ونواله سرمدي بغير انقضاءٍ ولا انقطاع، ولا حقيقة وصف وامتناع، فصلاته دائمة سرمدية أبدية أمدية، نظر إلى حقيقة أوصافه النورانية، ووجهه وجهة ظاهرية لباطنية، وكشفية لغيبية، وتنـــزلية لعلمية، وسرمدية لأزلية، سامعة لما قيل للنبي الكريم داود عليه البركات

=

ومشاهدات عرفانية.

كان الفؤاد غيب القلب -الكتاب الحق- ﴿أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ﴾ [المجادلة:22] بيت الرب باطنه، سكينه الساكن الواسع العليم، رأى بعين العلم البصير ذات الوصف —الجلالة- حقيقة في إطلاق الكل.

وهذا الفؤاد الأحمدي ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى﴾ [النجم: 14/13] (1) ذات الزمان والمكان، وتفصيل في الجمع.

=

والتسليم من الرب الكريم: «يا داود أنا بُدُّكَ اللازِم، فليس لك مني بُد، فإن حصلت لك حصل لك كل شيءٍ، وإن فتك فاتك كل شيءٍ».

(1) قال سيدي إسماعيل حقي: قال الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ [النجم:13] :أي وبالله لقد رأى محمد جبريل - عليهما السلام - على صورته الحقيقة؛ وهو باسط ستمائة جناح يتناثر منها الدرُّ والياقوت.

قال تعالى: ﴿نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [الآية:13]: أي مرة أخرى من النـــزول؛ لأنه كان للنبي ﷺ ليلة المعراج عرجات لمسألة التخفيف من إعداد الصلوات المفروضة، فيكون لكل عرجة نزلة، فرأى جبريل في بعض تلك النـــزُّلات عند سِدرة المنتهى ظرف للرؤية.

وسِدرة المنتهى؛ مقام جبريل، وقد كان بقي هناك عند خروجه ﷺ: أي مستوى العرش، وقال: لو دَنوت أنملة؛ لاحترقت: أي لأن لكل من الروحانيين مقامًا معلومًا ظاهرًا وباطنًا لا يتجاوزه؛ ولذا ذمَّ المدَّعي والشُّطح.

وسُميت المنتهى؛ لأنه ينتهي إليها ما يهبط من فوقها من الأحكام، ويصعد من تحتها من الآثار؛ كالأعمال، وهذا بالنسبة إلى العامة.

أمَّا الخواص فلهم سِدر الانتهاءات بحسب خلوصهم وشهودهم، فيقف بعض الأعمال في سِدرة المنتهى، وبعضها يتجاوز إلى اللوح، وبعضها إلى القلب، وبعضها لا يعلم مكانها إلا الله تعالى.

وكل ذلك مدَّخر لصاحبه؛ لينتفع به يوم القيامة، ولتلك الأعمال صور مجسَّدة تُرى على إيمانهم يوم القيامة طريقًا تسلكها، فتأخذ بها تلك الطريق مشاهدة أصحابها، فيتخذها العاملون مراكب تحملهم إلى مستقر الرحمة.

وأمَّا أعمال الأشقياء فتقوم لها طرق متداخلة عن يسارهم لا تعرف: أي طريق تمشَّى بها أصحابها، فترجع من الحيرة إلى الله بالذكر.

فمنها لا يهتدي إلى صاحبه أبدًا رحمة من الله تعالى، ومنها ما يهتدي إليه فيتعلَّق به فيقول: احملني فقد تعبتني في طلبك؛ فيجبر العامل على حمله إلى أن تناله رحمة الله تعالى، ثمنه ما من قصر ولا طاف في جنة الأعمال إلا وغصن من أغصان السِّدرة داخل فيه، وفي تلك الغصن من النبق؛ وهي ثمرة السِّدرة على قدر ما في العمل الذي هذا الغصن صورته من الحركات، وما من ورقةٍ في ذلك

=

والأفـــق المبين حيث وقف الروح الأمين أصل الملائكة والأرواح السبحية،

=

الغصن إلا وفيها من الحسن بقدر ما حضر هذا العبد مع الله تعالى في ذلك العمل، وأسعد الناس بهذه السدرة أهل بيت المقدس، كما أن أسعد الناس أهل الحرم المكي، كما أن أسعد الناس بالحق أهل القرآن[1].

قالت رابعة العدوية: سبَّحت ذات ليلة بتسبيحات من السَّحر ثم نمت؛ فرأيت شجرة خضراء نضرة لا يُوصف عظمها وحسنها، فإذا عليها ثلاثة أنواع من الثمر لا أعرفه من ثمار الدنيا؛ كثدي الأبكار؛ ثمرة بيضاء، وثمرة حمراء، وثمرة صفراء؛ فهن يلمعنَ كالأقمار والشموس في خلال خضرة الورق فاستحسنتها. فقلت: لمَن هذه؟.

فقال لي قائل: هذه لك بتسبيحاتك آنفًا.

قالت: فجعلت أطوف حولها، فإذا تحتها ثمرة مستنشرة على الأرض في لون الذهب.

فقلت: لو كانت هذه الثمرة مع هذه الثمار على هذه الشجرة؛ كانت أحسن.

فقيل لي: قد كانت هناك إلا أنك حين سبحت تفكُّرت هل تخمر العجين أم لا، فانتشرت؛ فهذه عبرة لأولي الأبصار، وموعظة لأهل الأذكار.

ثم إن ابن برجان من أفاضل أهل التفسير ومكاشفيهم أرجع ضمير رآه إلى الله تعالى، وجعل الإسراء مرتين؛ مرة وهي الأَوْلى بالفؤاد مقدَّمة، وهذه بالعين، ولمَّا كان ذلك لا يتأتَّى إلا بتنـــزُّل يقطع مسافات البعد التي هي الحجب؛ ليصير به بحيث يراه البشر.

عبَّر بقوله: (نَزْلَةً أُخْرَى) ليُكمل له الأمر مرة في عالم الكون والفساد، وأخرى في المحلِّ الأنزه الأعلى، وعيَّن الوقت بتعيُّن المكان، فقال: (عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى) كما في تفسير المناسبات: ولا يلزم إثبات المكان والجهة لله تعالى؛ إمَّا لأن المتقيِّد بالعندية؛ هو الرائي، ولا يلزم من كونه عند سِدرة المنتهى حين الرؤية كون الحق تعالى عندها، وإمَّا لأن المرء عندها وإن كان هو الحق تعالى إلا أنه لمَّا كان متجليًا بصفته وذاته محتجب بها؛ لم يلزم أن يكون متقيِّدًا بالعندية من حيث هو: أي في مرتبة ذاته، وقد رآه ﷺ في بعض سكك المدينة أيضًا؛ وهي مرتبة تجمع المرتبتين؛ مرتبة قاب قوسين، ومرتبة أو أدنى.

وفي الآية إشارة إلى شرف بعض الأمكنة؛ كالسِدرة، والكعبة وغير ذلك، وبعض الأزمنة؛ كليلة القدر الواقع فيها المعراج يقظة؛ ولذا ترى الخواص يرغبون في الأيام والليالي الفاضلة، والأماكن والبقاع المتبركة لِما أن الإمداد الإلهي أكثر فيها؛ لكون باب الرحمة مفتوحًا للعوام والخواص بحسب قابلياتهم.

فإذا كان العبد في وقت شريف، ومكان لطيف، وقلبه أصفى، وروحه أجذب، وسرُّه أقرب؛ فلا بعد من كرم الله تعالى أن يتجلَّى له تجليًا أفعاليًا أو صفاتيًا أو ذاتيًا لاسيما إن كان المرء في الأوقات المباركة، والأماكن المتبرِّكة جليس الملائكة.

ولا شك أنهم ينـــزلون ليلة القدر، فبقدر المجالسة يحصل الأنس، وينجذب الباطن، ويَردُ الفيض الإلهي، والحمد لله تعالى.

حـــيث بطـــنت جلالة الذات في غيب الرحمن تنـــزيهًا عن العند والجهات الأعيان، حيث تعين العبد، واستولى الرب أمرًا ونهيًا.

وهذا الرائي هنا القلب المحمدي، المنخلع عند قلب الأعيان.وتبديل:

﴿**الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ**﴾ [إبراهيم:48] انخلاعًا بالتخصيص، فلا يـــضامون في رؤية الرحمن، وبهذا اللباس – ساتر العورة في محل الغيرة – كان آدم في الجنة معززًا موقرًا بالقلب الرحيم.

الكتاب المسطور في الرِّق المنشور تعميمًا، وكتاب الأبرار في درجات العلى تخصيصًا، بالسوابق اللاتي في اللواحق الأخرى.

فصــل

الثالث ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ [الفاتحة:4] بحكم الحاكم على محكومه، بالسمع نفيًا وإثباتًا، ويوم الجمع سابع العدد، ثامن بالفتح والختم، ﴿**وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ**﴾ [الحج:47]، والعند كما تقدم تخصيص الوجود الأول بالمقام الأقرب والآلاء[1]، والسبع الحمل أنوار اليوم الجامع الكلي، مالكه الرحمن، من حيث قيد المرتبة بالسيادة وتعيين الفضل وعلو الدرجة.

وكان اللواء المنشور نور اقتران الاسم بالاسم في الذكر والحكم، ولا بد لكل معنى من عين، وغيب من شهادة، والملك المطاع في الأمر والنهي ترغيبًا وترهيبًا، ومالك الملك هو المتصرف في الأجزاء والجمل من حيث استولى على الكل، اليوم الجامع للأيام الزهر: أيام الرب ﴿**لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**﴾ [غافر:16].

وبما كان اليوم الأول متصرفًا باختيار الأسماء والأفعال ﴿**فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى**

---

(1) قال سيدي علي: لأن زمن الوصل قصير عند المحب وإن طال، ولأنه في الزمن البسيط الذي يومًا منه ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: 47].

اسمع: حقيقة الزمان الآن الذي لا ينقسم ولا ينفد إلا في صورته الإضافية الوهمية، وهي الدهر إذا لم يمنع ظهورها بحكمها الدوامي ما تقيدت به من المراتب الانقسامية، وهي السرمد إذا لم يتقيَّد بتلك المراتب. وانظر: المسامع (ص 333).

رَبِّهِ سَبِيلاً﴾[المزمل :19)].

فانخلعوا بالانتباه في صورة المفعول، تقييدًا بالمسموع مجازًا للحكم، فرسمت الصحف الأعمال في اختلاف الأشكال ﴿**صُحُفاً مُّطَهَّرَةً**﴾ [البينة:2] باتباع أحسن القول والعكس؛ لتحريف الكلم من بعد مواضعه.

وبما سلبت المولوية عن الكفار كانوا في جميع اليوم ساعة حذر.

وبما كانت الطاعة في الأيام الزهر والساعات الغرر أوقات القرب وموضع العصمة – لخاتمة الوتر – وجبت المولوية بالجزاء الوفاق ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لاَ مَوْلَى لَهُمْ**﴾ [محمد:11]، وإذا كان اليوم الآخر وألزم الطائر العنق، وأخذ الكتاب – وهو الشكل المنخلع (.........) [1] على الصراط المستقيم، وبالشمال والوراء، منكبًا على وجه:

﴿**ولاَ يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ ضَراً وَلاَ نَفْعًا**﴾ [الفرقان:3]، ﴿**وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ**﴾ [القلم:43].

وقد تجلى الرحمن على الكرسي الأعز، وقامت (الأسماء الصفات الذات) المؤذنون بالإذن إلى قرب الحضرات.

﴿**وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ**﴾ [طه:108]، وأُذن لأهل الشفاعات، ونصبت المنابر لأهل الولايات، ﴿**وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ**﴾ [الزمر:69] .

فصل

وفي الاسم (الملك) [2] استقرت الأسماء المظهرة من المفتاح والفاتحة، حيث

---

(1) غير واضحة بالأصل.

(2) الملِك بكسر اللام: ذو البسطة الذي يستغني في ذاته وصفاته عن كلٍّ، ولا يُستغنى عنه لا في وجوده ولا في بقائه وهو أبلغ من المالك؛ لأن الملِك لا يكون إلا مالكًا، والمالك قد يكون غير الملِك، والعبد لا يتصور أن يكون ملَكًا مطلقًا، كيف وأنه فقير في ذاته وصفاته إلى الله تعالى؟ وإن كان مستغنيًا عما سواه.

فالملِك من العباد من يملك مملكة خاصة وعامة، واستغنى عن كل شيء سوى الله تعالى سبحانه، =

اجتمعت الأمهات الكوامل والأنوار الشوامل، ذوات الكلمة السابقة والعقول المجددة الناطقة، أقلام العلى و(آلاء الإله الآلي) [1] صرتُ لمستوى أَسمعُ فيه صريف الأقلام، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم[2].

=

واحتاج الناس إليه في حياتهم العاجلة والآجلة، أما الخاصة فقلبه ولسانه وسمعه، وبصره، ويداه، ورجلاه، وسائر أعضائه، وشهوته، وغضبه، وهواه والعامة جنوده، ورعاياه فإذا ملكها ولم تملكه، وأطاعته، ولم يطعها فقد نال درجة المِلك في العالم، وتلك رتبة الأنبياء وخلفائهم من الأولياء، وسلطنتهم على قدر استطاعتهم في إرشاد العباد واستغنائهم عن الاسترشاد.

الخواص:

هذا الاسم مشترك الخاصية، فمن قرأه كل يومٍ تسعين مرة نَوَّر الله تعالى قلبه بنور اليقين، وأغناه وأطاعه الملوك، وقد جُرِب لازدياد الجاه والعزة إدامة ذكره، ولو قرأ تسعة عشرة مرة استغنى عن الخلق، ومن أكثر ذكره أطاعه الخلق، وقضى الله تعالى حاجته، ويصلح لمن كان اسمه عبد الملك.

(1) في الأصل: (الآ الآله الآلي) .

(2) أشار شفيعنا عند الله – من الوجه الثابت في الشرع: أن لك مؤمن شفاعة – إلى بعض أنعُم ربه عليه، من أنه صار لمستوى سَمِعَ فيه صريف الأقلام، وصدق سيدي ومولاي في قوله – وهو الصادق بدون تصديق أمثالنا له – لأن معه من الشرع ما يؤيد دعواه، ومنه: ما ورد في حديث الإسراء أنه لما تقدم السيد الأعظم ﷺ وتأخر جبريل - عليه السلام- استوحش ﷺ وقال عن ذلك: «فسمعت صوتًا يشبه صوت أبا بكر يقول: قف عن ربك يصلي » الحديث. فها هو الصديق الأكبر – رضي الله عن سيدنا- تصل روحه المقدسة وبسبب تعلقه بالسيد الأعظم ﷺ لهذا المستوى، وأفضلية الصديق على سائر الأمة لا تمنع من أن يهب الحق سبحانه وتعالى بعض ما وهبه لآحاد أفراد من الأمة المشرفة بنبيها، المرحومة بسعة عفو ربها، المعلمة بالقرآن الجامع.

إلى غير ذلك من النصوص الدالة على سعة فضل الله، والتي يصعب استقصائها لكثرتها، وانظر منها قوله -تعالى وتقدس – مخبرًا عن أوليائه وما لهم من وسع الفيض الإلهي: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الزمر:34]، فتأمل هذا الإطلاق في المشيئة أقال ربنا: لهم قلب الأعيان أو السير أو الطير أو العلم، لا، لا. بل لهم إلى جانب كل ذلك كله- إن أرادوه- ما يشاءون، وإذا كان ذلك عند ربهم لا من عندنا فلمَ الاعتراض؟! سبحان الله أشاركنا الحق - تعالى- في خلق العالم حتى نشاركه في منحه أولياؤه؟!! لا، لا بل نؤمن بقوله حيث أطلق المشيئة على وليه ونؤمن بأنه (واسع عليم)، ونؤمن: ﴿أَنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾ [الحديد: 29] الفضل الذي عظم عن تقييد البشر.

ونؤمن بأن: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: 26] الحسنى الجنة ونعيمها، والزيادة العلم بخالقها وربها، وبالسيد ﷺ الذي حل بها فشرفها وزاد حسنها.

=

البسملة بها إلى استقرار الملك مظهرة، ولم يبق إلا المضمرات تحجبًا في عالم الملك، تصرفًا سريانيًا حيث لا يُدرك ولا يُترك.

وبما تكرر المفتاح البسملة ذات الأول، جمعًا اتحاديًا في أحد لا يميزه العدد، وكان التكرار والتجلي الحق والكلمة السابقة: الصدق إبداعًا وإيداعًا، وبما كان الرب بين الجلالة والرحمن، مظهر حجاب العز وتمييز مرتبة العبد والرب.

﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [يوسف:111] في التأبيد. ذي العقول المجردة المؤثرة في النفوس الناطقة بالقوى والفعل، ومن هنا حفظت الحمايات وحضرت الترتيبات.

والرحمة والحمد: حجابي الأزل والأبد؛ فالرحمة مظهر الواجبات بالوجود الحق، والحمد واجب الممكنات بالإيجاد عن التجليات؛ فتكرار وبدل، وأنموذج

=

ونؤمن بأن: ﴿يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: 64].

ونؤمن بقوله -تعالى وتقدس-: ﴿عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً﴾ [الكهف: 65]، فهو عبد (من) العباد -الذين أُتوا وعُلموا – لا كل العباد، غير أنه موسوي فما بالك بالمحمدي ومن كان من (خير أمة)؟! فهو أعبد وأعلم وأجمع وأكثر قربًا من ربه.

ولا تقيد الحق سبحانه فتقول- كما قال أهل الغلول-: هذا مخصوص بالخضر الموسوي -عليه السلام- فلا يصح الاستدلال به.

لأن هذا القول خطأ من وجوه:

الأول: أنه لا دليل عليه، لأن العبرة – عما هو معلوم عند حفظة الشريعة - بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

الثاني: أن الخضر- عليه السلام- ولي من أولياء الله؛ فيثبت لأولياء من هذه الأمة ما ثبت له من العلم. بل ولا بد أن يكون العلم في الأمة المحمدية أوسع وأظهر ويكون الصديق أو الفاروق – مثلاً- أعلم من كل ولي أو مقرب في الأمم السابق بما فيهم الموسوي - عليه السلام-، وذلك بما ثبت من نصوص الشرع في الدلالة على أفضليتها على سائر الأمم، ومنها شهادة الحق لهم بأنهم خير أمة، وأفضلية صالحيها ومقربيها على سائر المقربين والصالحين من الأمم السابقة.

وإن قيل: إنه نبي - وهذا غير صحيح لما دلت الأدلة على نفيه - قلنا: لنا الحجة في فعله أيضًا بإقرار نبينا ﷺ أحواله، فلنا الحجة فيه على احتمالي: نبوته وولايته، بل يصير من الشريعة أيضًا. والحمد لله الذي يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء.

ومثل، فتنـــزيل الجلالة الرحمن في حجاب الرحمة إفاضة في الحمد توصيل حكميًا، هذه بطانة الغيب ومستودعات الكنـــز الأعظم تناولها الرب، بطانة الرحمن الأبد، تناول الذوات من الذوات، بحكم بطانة الآحاد في الواحد، وحيث وجبت الخلافات وتمكنت الولايات حرفها أيضًا في الرحمة الأبدية، على السنة المتقدمة والألسنة المتكلمة، إلى الذوات المنفصلة والأعيان المتفرقة من العوالم الطبيعية والرياضية والإلهية، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ [النساء :58].

الأول من المضمرات: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:5] (الياء) [1] هي الذات للمضمرات، الباطن ذو القرب والمعيد، رابع الأربعة وخامس الخمسة، باطن بالآحاد، متحجب بالأعداد والإشارة، الفعال لما يريد.

عُبِدَ في الأعيان معرفًا بشعور الحقيقة الباطنة ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر:3] [2]، مُنكرًا بحكم المراتب، وكانت الاستعانة في رفع حكم

(1) في الأصل (الاء يا)

(2) اعلم التوحيد واقع في العام، ومتحقق في نفس الأمر سواء عرفه الإنسان، أو لم يعرفه، وتكلَّم بكلمته، أو لم يتكلَّم.

فإن الله تعالى لمَّا خلق العقل الأول؛ كان أول ما تكلَّم به: لا إله إلا الله، فشرَّفه الله تعالى بأن يقول: محمد رسول الله، وبقي أمر الوجود على هذا التوحيد إلى قيام الساعة، وإلى الأبد، ولمَّا أخذ الله الميثاق؛ كان أول مَن تكلَّم بقوله بلى هو العقل الأول[2] لأنه رئيس أهل التوحيد لا قبل البعثة، ولا بعدها؛ لأن اللاحقة عين السابقة، والأبد مرآة الأزل، والنهاية صورة البداية، والآخر سرُّ الأول، وكل مَن وقعت له المناسبة الذاتية بذلك العقل الأول؛ كان حاله في التوحيد حاله؛ لأن تعيُّنه هو عين تعيُّنه، والكل في الصف الأول بهداية الله تعالى وعنايته.

فقولنا: لا إله إلا الله؛ صورة التوحيد لآدم وذريته في سبعة آلاف سنة.

وقولنا: محمد رسول الله؛ صورة التصديق لهذه الأمة المرحومة في ألف سنة؛ بل وقد يكون من هذه الأمة مَن له الجمعية الإحاطية؛ فيحصل له من التوحيد والتصديق في العمر القليل حكمهما في تمام دور السنبلة، فإن الله تعالى إنما جعل هذا الدور سنبليًا؛ لأجل المضاعفة المقصودة لهذه الأمة لا لغيرها من الأمم السالفة، فظهر أن المعبود بالحق من الأزل إلى الأبد؛ هو الله تعالى وأن الرسول هو محمد ﷺ؛ لأن مَن عَداه من الرسل المتقدمين؛ إنما هم من شعبه وصوره.

والمشركون جعلوا الأصنام معبودات كما دلَّ عليه قولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾ [الزمر:3]؛ وذلك باطل جدًا، وإن كان مرادهم من ذلك؛ هو التقرُّب إلى الله تعالى كما دلَّ عليه قولهم: ﴿إِلاَّ
=

الوسائط وإزالة المانع عن حضرة الحق، ولهذا طلب الهداية للصراط المستقيم، وهو الثاني من المضمرات؛ فالهدى دليل الفهم إلى المقاصد الحق، والحقيقة تخصيصًا وتعميمًا، فللردى وللطريق المثلى، أما الردى فللطرق المتفرقة: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف:39].

وكان الطريق المستقيم هداية الفهم إلى عين الجمع، حيث نقطة السمت وكلمة العدل، ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ﴾ [آل عمران:64]، والاستقامة: الاستمرار تربصًا بالدليل، الآخذ في مدرجة اليمين ومجانبة الشمال.

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [هود:112] تقديسًا ملكيًا وتنزيهًا نسكيًا.

الثالث من المضمرات: صراط السبق، السبيل المبتَغَى بين السبيلين، حيث قتل الغلام وبان البدلية بين الخرق والإقامة، وهذه الطريقة التي خطها صاحب الوحي، وخط عن جانبيها خطوطًا وذكر الحديث.

=

لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر:3].

وذلك أن التجلِّي الأحدي سار في جميع الموجودات، فإذًا كل الأشياء دليل عليه لا شريك إذ لا شريك أصلاً؛ لأن الوجود واحد، والشيء لا يُقرِّب نفسه إلى نفسه؛ وإنما يُقرِّب غيره، والغير هنا هو العبد العابد، ومنه قرب النوافل، وقرب الفرائض.

ولذا قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء:48، 116]؛ لأن المعدوم لا يكون مغفورًا مستورًا، وشريك الله تعالى ممتنع فلا وجود له أصلاً.

وكون الأصنام شركاء له؛ إنما هو باعتبار الوهم، والتصوُّر الباطل، فبطل التقييد، وظهر سرُّ الإطلاق.

ألا ترى أن الشمس إذا طلعت؛ فنورها يعمُّ الدنيا، ويدخل في الكَوَّات جميعًا، فكل شعاع منعكس من أشعتها؛ فهو دليل عليها، إلا أن شمس مثلها، فالشمس واحدة، والأشعة مختلفة متعددة بحسب اختلاف الكَوَّات وتعددها، وكل الأشعة إذا اجتمعت؛ فهي الشمس، فمَن حصرها في شعاع من الأشعة؛ فقد جهل الأمر في الخارج، ونفس الأمر، فكما أن هذا التقييد من الجهالة؛ فكذا تقييد نور الإلهية بواحد من المألوهات، أو أكثر جهل وشرك عظيم، فتنبَّه لهذا الأمر العظيم، واجتنب من الإلحاد والشرك والكفر، فلا تعبد إلا الله. انظر: مرآة الحقائق لحقي (ص 337).

وبما ﴿أَسْبَغَ عَلَيْكُم نِعَمَهُ ظَاهِرَةً﴾ بإلهام سلوك الصراط الأول: اليمين.

﴿وَبَاطِنَةً﴾[لقمان:20] رسخ القدم على الصراط الثاني: الباطن في غيب الإيمان ﴿غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة:7].

الرابع: لا ﴿يَهُودِياً وَلاَ نَصْرَانِياً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً﴾[آل عمران:67].

فصـــل

تكرار البسملة في أوائل السور لا كتأصيل وجوبها في أم الكتاب.

وبما أنـــزلت السورة مجتملة بآية مشتملة على آيات مبينة، عين الوعد والوعيد والتوحيد، مجملة ومفصلة، مبينات في عين الجملة المنـــزلة، إرسالاً تخصيصًا بالأنباء. فتحت بالبسملة تنبيهًا وعلَميَّة على علا الغيب المفتوح، والنور الظاهر المرسول، وفي الشرائع شرائع، وفي النبوات نبوات، أما تكرار الفاتحة في الباقيات الصالحات:

الصلوات الخمس قيام أُولي العزم في اليوم الكلي، لفتح أوقات الحضور من أسفار نور الظهور، إلى إسبال المستور، حيث تصح صلاة الوتر بعد الطهارة بالطهور –الإخلاص– وكانت الصلاة الوسطى والعروة الوثقى موضع سنة الاستقامة، على صراط الجمع والقيام على خط العدل.

فصـــل

المسمى: ما وجب بتعلق العلم.

والاسم: ما أمكن بتعلق الفعل.

والحرف: ما يكون بتعلق الحسن.

فالمعلوم المسمى واجب لنفسه وبغيره، والمعقول اسم وتسمية، والمحسوس ملفوظ ومرسوم، الأول الكلام، والثاني القول –قد مضى الشرح–، والثالث الحديث: وهو عالم الحروف، أعيانًا مميزة أشخاصًا مميزة، محللة ومركبة. وكان:

اللوح الحمد: ذات النفوس.

والقلم الرحمة: ذات العقول، والمراد الوجود.

وكان حدث الحروف -بنتاج المقدمتين- القلم المحمول واللوح الموضوع، من حيث تعيين مراتب الحروف بالتخطيط خطًا مستقيمًا وضلعًا راقدًا وزوايا قائمة، ثم المربع ومقدم المدور والمثلث قواعد المرسوم لا المنطوق، بحكم ما في المخيلة من الشكل، كذلك النطق عن الفكرة[1].

وحقائق الحروف: صبغ المخارج في النظم، والتركيب تعيين وجودها بالنتاج.

وعدمها على قسمين: جزئي وهو التحليل بعد التركيب[2].

وكلي: وهو المحو من حيث بطن المصور في غيب القلم العقل، وفيض قوة الفعل.

فصــل

الحروف اللفظية في كون رسمها على قسمين:

مجرد لا يتعلق لعدم الشبيه له، وهي هذه (ا ل م هـــ ك).

ومجرد يتعلق بشبيهه من القيد، وهي هذه (خ د ر س ص ط ع).

وليس بينها وبين متعلقها إلا اللفظ، متى ارتفعت فلا فرق.

---

(1) قال سيدي محمد وفا في النفائس: الحروف أقلام الوهم يرسم بها أمثالهم في لوح الخيال القابل لتصور الشيء على غير ما هو عليه، فيفرض الإمكان والوجوب، ويقدر الإيجاب والسلوب، ويجعل راجحًا ومرجوحًا ومتساويًا، ويقدر تمييزًا لا يحتمل النقيض، وكل فلكٍ، ولم يكن وإن الظن لا يغني من الحق شيئًا.

(2) قال سيدي علي وفا قدس سره في المسامع: الحروف كلها مركبة الصور في إسميتها، وأجزاؤها أجنحتها وهي مثنى كحا، وثلاث كعين، ورباع ككاف؛ لأن الحرف المطبق لا يتأتى النطق به إلا بعد سكون وحركة يعرضان لآلة النطق به في أوله، يقتضيان تكرره من ألقى باله بتأمل أدركه، فيصير الثلاثي بتكرار أوله رباعيًّا، وأوضح من هذا الثلاثي إذا نُوِّن تربَّع.

انظر ليس في المتولدات شيء بارد فقط، ولا حار فقط، ولا رطب فقط، ولا يابس فقط، إلا مبادئ قوتين أو ثلاثًا أو أربعًا مزاجية، وقسْ على هذا، فمفهومها المفرد الذي هو فرد من أجزاء صورته المركبة جامع لها هو ملك فلكية صورته المركبة، وأجزاؤه أجنحة مثنى وثلاث ورباع، وإذا جعلت مثنى اثنين في اثنين، وثلاث ثلاثة في ثلاثة، ورباع أربعة في أربعة، صار المجموع تسعة وعشرين حرفًا وجناحًا، والتضعيف تكرار في الصورة، وسيلان في المعنى؛ لأنه بالأول منفصل، وبالثاني متصل.

وهي هذه: (ج خ ذ ز ش ض ظ ع ف ق).

ومن المقيدات ما لا يتعلق بشيء من الأعلام لعدم التشابه؛ ولذلك متى قيده عُدِمَ حكمه.

وهي هذه: (ب ت ث ن ي)، ولم يبق إلا زوائد كالتي خرجت بصفتها عن أصولها.

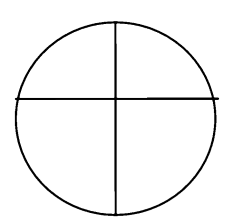
وبما كان تركيب جميع المسطورات لا تخرج عن شيء من هذه الحروف سُميت: الحقائق المفردة.

وبما كان الخط المستقيم إلا لفاصلها، لأن كل حرف هو خط مستقيم، غير أن العلم حرَّفه في مياه خاصة.

وبما كان ائتلاف الألف من النقط مراكز القلم، دانت النقطة أصل الأصل، هي حقيقة الحق، لتنـــزلها في جميع الهيئات الموتسمة غير المنحرفة، ولا المنحرفة غيرها بالائتلاف، وكان المداد المطلق بالوجود الجامع بالقوى والقلم، القوى: هي الأمهات الفياضة بالفعل، المقيدة بالتمييز، وكان اللوح القوي المستعد لقبول الصور الهيولانية، وهذه الثلاث إحاطات المعظمات والحقائق المكرمات، حُجُب الأزل والأبد، ووجه البقاء والسرمد.

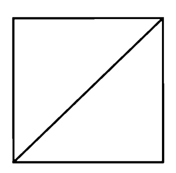
فصـــل

الرسوم الهيللية أشرفها المدور شكل الرأس، وبما كان مظهر الحواس الشريفة طرف التنـــزلات والترقيات قام في وسطه شكل الخط المستقيم الساق؛ فربَّع المسطح وقامت الزوايا، وهو هكذا:

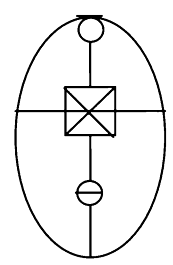


ثم الشكل الوسط المربع الكرسي، تحت الرأس ثلاثة الخط المنحرف وسطه،

لا كالراقد وهو البرزخ الماسك المانع عن التداخل والوقوع ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن :20] القطر الأعلى منه للسموات، والأدنى للأرضيات، ﴿ يُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [الحج :65]، وكذلك ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾[البقرة :255] وهو هكذا:



وأما الفلك المحيط الأعظم الدائر عليهما معًا دائرة الشكل الآدمي، وهو المثل المضروب عن طالع عينه، استغني عن الغيوب، وضع الحكيم الشكل الكلي الخارج على شكله دوران كان جزئيًا بالظاهر، وهو كل الكل بالباطن الإنساني، والفلك المحيط هكذا:



ولما تثمن المسطح من المربع كانت الأربعة التي تلي الرأس كرأس الأربعة أملاك: جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل.

والأربعة التي تلي القدمين أفلاك الاستقصَّاتِ الأربع: الماء والهواء والنار والتراب، والزوايا الأربعة التي بين المربع والمدور خزائن الإمداد، وأرواح الأعيان، وظهور الأشكال في هذه الصورة الفلك كظهور الأشكال في الجواهر الصافية والمرائي الرائقة، ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ﴾ [فصلت :53].

وبما تقدم القول على انقسام الحروف المطلقات والمقيدات: منها خمسة علوية لا تتعلق ولا يتعلق بها، وهي (ا ل م هـــ ك) والخمسة السفليات المقيدات

بالعمليات النقط المنقطعات عن تعلق العلويات، متى ارتفع قيدها بطل حكمها، وهي (ب ت ث ن ي).

وأما العلوي المجرد المتعلق بالمنطوق المقيد، لتعلق التشابه في المراتب الرسمية، متى مُحيت النقط للقيود وتساوت المراتب وارتفع الفرق صارت هكذا (ح د ر س ص ط ع).

وبما كان اللسان العربي أعظم الألسنة، كان مرسومه (ج خ ز ش ض ظ غ ف ق) كذلك وهو واضح فحروفه أشرف الأوضاع، وأعدل الأشكال.

وبما وضُعت بالإلهام على المثال المرسوم في ملكوت الخيال، وبما فتح غيب الكلام بالكلمات التامات حقائق المسميات، وغيب القول بالأسماء الحسنى، والجوامع الأمهات؛ فتح عالم الحديث بالحروف الأصول الثابتات.

الأول: الألف الشكل الأقوم المنفصل حثيما تقدم، وهو الحجاب الأعظم، والوجه الأجل الأكرم، ألف الألوف «**خلق الله آدم على صورته**[1]» هو الأصل في شكل الحرف بعد وجوده في غيبه، ونقطته متصلة، وشكل غير منفصل، كذلك في كل مرسوم بكل قلم أعرب أو أعجم وله أصل العدد، موجود في كل حرف في الرسم المفرد وفي النظم، لا يتقدم قط إلا متصلاً، وهو أول المتصلات.

وأما اللفظ فكلاهما قرين الآخر، ضرورة على الإفراد، لا بحكم النظم؛ لأنه بين الهمزة والفاء، والألف بين أصل اللام والميم، والثالث الميم.

وبما كانت المكرر بنفسه في اللفظ والرسم مقرأ لا كالواو –ولتعلقه– ولا كالنون –لتقييده وانقطاعه عن المطلقات– فهو حجاب التكرار في تنـــزل الكائن: ﴿خَلْقاً مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾[الزمر:6].

وبما اتصلت باللام في اللفظ وبطنت معها في الألف، وهو بها للإثبات، وبنفيها للنفي.

هذا! وهي أشباح روحانية: مدركة سميعة بصيرة متكلمة، ولذلك جعلها

(1) تقدم.

مفتاح مقدمة السورة فقال: ﴿الــم﴾ [البقرة:1] [1].

ثم أشار للكتاب، ونفي الريب تنبيهًا على ما نحن بصدده.

فالألف: حجاب الجلالة، الاسم العظيم الأعظم الكلام .

---

(1) أشار بالألف إلى المبدأ الذي هو الإنسان؛ فإنه خرج من مخرج الشأن الذاتي الغيبي الذي كان تعيُّن الذات الأحدية في تلك المرتبة بالنسبة إلى سائر التعينات؛ كتعيُّن الحروف بالنسبة إلى التركيبات اللفظية، ثم لمَّا خرج بالحركة المعنوية، والنفس الرحماني من تلك المرتبة؛ مرَّ بمرتبة الأرواح التي هي مرتبة اللام التي تعيَّن مخرجها من الوسط.

فإن الأرواح متوسطة بين عالم العلم وعالم العين، ثم مرَّ بمرتبة الأجسام التي هي مرتبة الميم التي تعيَّن مخرجها من الفم الذي هو آخر المخارج، ولم يتعرَّض لمرتبة المثال، وإن كانت من الحضرات الخمس؛ لكونها ممتزجة بالطرفين؛ فلها وجه إلى مرتبة الأرواح، ووجه إلى مرتبة الأجسام، فإذًا المخارج الكلية ثلاثة: المبدأ الألفي، والوسط اللامي، والآخر الميمي، وما عداها فمخارج جزئية.

وأخبر ذكر هو من بين سائر الأذكار؛ لكون الهاء مادة من المبدأ إلى المنتهى الذي هو مرتبة الواو؛ كالميم فهي آخذة من كل المراتب الجزئية والكلية خاصتها، فكانت بمنــزلة الإنسان الكامل المار بجميع الأطوار، ففي لفظ هو من الجمعية في الإنسان، فمَن غلب عليه الفناء، وجمع الحقيقة؛ فليذكر بذكر هو هو، ومَن غلب عليه البقاء، وفرَّق الشريعة؛ فليذكر بذكر لا إله إلا الله، فإن الشارع أخبر أنه أفضل الأذكار؛ لغلبة أهل الفرق وكثرتهم، ولا شك أن لسان الشارع؛ إنما هو لسان الشرع الذي يقتضي التعميم لا التخصيص.

والحاصل: كما أن الإنسان آخر الكائنات؛ فكذا لسان الشرع آخر الألسنة، وفوق لسان الشريعة لسان الطريقة، وفوقه لسان المعرفة، وفوقه لسان الحقيقة، ولكل مقام مقال رجال.

فقد جاء عن ابن عباس ﷺ أنه قال: أبهموا ما أبهم الله، وفصلوا ما فصَّل الله.

ولم يكن أحدًا من أولياء هذه الأمة مأذونًا لإظهار بعض الأسرار، إلا حضرة الشيخ الأكبر، والمسك الأزفر، والكبريت الأحمر، قُدِّس سرُّه الأطهر، ومن عداه أُمروا بالسكوت، أو بالرموز لا غير، وكذا فوق مرتبة الإنسان مرتبة المواليد، ثم مرتبة العناصر، ثم مرتبة الطبيعة الكلية، ثم مرتبة الأرواح، ثم مرتبة الأعيان الثابتة، ثم مرتبة الشؤون الذاتية الغيبية، ولا اسم ولا رسم، ولا نعت ولا وصف فوقها.

وبعبارة أُخرى: فوق مرتبة الإنسان الخاص، وهي مرتبة الولاية، وفوقها مرتبة الإنسان الأخص، وهي مرتبة النبوة، وفوقها مرتبة الإنسان الذي هو أخص الأخص، وهي مرتبة الرسالة، وفيما بعد المرتبة الأولى يظهر الإنسان في صورة الحق بالفعل، فهو إذًا حق خلق.

وأما في المرتبة الأولى فهو وإن كان ظاهرًا في صورة الحق، لكن بالقوة لوجود الحجاب والجهل والغفلة، كشف الله من بصائرنا ذلك الحجاب آمين.

واللام: حجاب الاسم الأعظم (الرحمن) مفيض القول الحق.

والميم: حجاب الاسم العظيم (الرحيم) مفيض الحديث الخلق الكون.

ثم الرابع من الحروف الخمسة المطلقة العلى: (الهاء)، ولإطلاقه وعدم تعلقه كان أوله معينًا بالألف، ولاشتراكها في المخرج حيث يتحقق أصل الحرف، ولذلك جُمِعوا في بسملة الجلالة له المفردة باسمك اللهم.

الخامس: الكاف بما (أشبهت) [1] اللام في التعليق الرسمي خاصة.

وهذه الخمسة الأحرف: الحضرات الحجبية، والهياكل العرشية، هم رأس المجدب وخواص الوجه. إلا الكاف فلاختصاصه باليمين -اليد للعهد- وإن عمَّ كل الهيكل لكن بالحجاب النون بحكمه تنـــزل المجردات العلى بأنوار التجلي في الأسافل والدنى، واتحاد اللطائف بالكثائف اتحاد المعنى، فكان القلم الأدنى: الكاف، والمداد: التكوين، والنون هو الكائن المعدوم، والحي الميت وهو وما في نظمه السفلي من الأربعة الباقين، ولا يشهد في الأرضيات غيرهم ولا يحس سواهم؛ فالأنوار والمطلق المتعلق: أرواح، والمقيد غير المتعلق: أشباح، والمقيد المتعلق أجسام.

فصــل

جملة الحروف مفاتح السور أربعة عشر حرفًا: (ا ل م ص ر ك هـــ ي ع ط س ح ق ن).

المقيد منهم ثلاثة، ليس في النصف الأول من القرآن شيء منها، وافتتح النصف الثاني بخمس حروف: (الكاف والهاء) مطلقان مجردان، و(العين والصاد) مطلقتان متعلقان، وجعلت (الياء) بينهما للفرق والمشاركة المجازية.

وبما كانت من الحروف السفلية المنقطة وكذلك النون، ولهذا سُمي بها الحوت عام القعدة التي عليها النور، وهو برزخ الإنعام، والروح الناتجة عن التعين على اختلاف مراتبها لا المنفوخة.

---

(1) في الأصل : أسبهت.

أما (الباء) فلإجابة الداعي، وبما كانت مرتبتها من العدد النهاية ومن المرسوم النهاية، والنهايات أبدًا تستدعي الرجوع.

وأما (القاف) فلأنها لاستدعاء العلي بحكم تعلقها بالمطلق (الواو).

وليس في الحروف شيء أعظم من العلي ولا أسفل من الدني؛ فتنـــزل الأعلى إلى الأدنى، كنـــز في الأدنى إلى الأعلى، كل ذلك مجاز، وهذه مراتبها المفردة:

أشباح ملكية ﴿أُوْلِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ﴾ [فاطر:1] حيث ينطق بها كقولك: (ألف لام) فالألف ثلاثي، والباء بألف مثنى.

أما التربيع فبقوله للتنوين، وبهذا شرف النون، وكذلك الياء في الخفض.

أما (**الواو**) فله شرفان: شرف الإطلاق، وشرف مشاركته بالضمة، ومتى تركبت الحروف خرجت عن مراتبها الملكية، وأفادت كيانات زائدة على صورها، مع أنها تصير إلى حقائق ذواتها، وبعد تقييد النظم لا يطلقها التحليل إلا باعتبارات أخرى .

فصـــل

نفي الأشكال عن العقل في العقليات متعذر جدًا، يكاد أن يكون ممتنعًا؛ لأن قضاياه غير متناهية، وبراهينه لا تكاد تنحصر كثرة، وإن صدق بعضها فلا تخلو عن المعارضة مع الاتصاف.

وأما التحكمات فليس فيها بلاغ اليقين؛ لأن تقدير العلم لا يحتمل النقيض، وهذا غير موجود في العقل إلا مع العجز والتقليد، وهو منه حتى قضى العقل في بعض الأشخاص بنفي الحقائق المقطوع بها في إدراك الحواس؛ فكيف المسموعات؟!

واختلاف العقل في كلامه ونحله، ومناقضاتهم في الفروض كل ذلك دليل على عدم الحصر؛ فكيف ومتعلقات العلم الواجب لا يتناهى!

ثم القدرة لا تتعلق بالمحال، وعكس المحال حق والكائن عكسه، والمعقولات كلها في قوة العقل راجح أو مرجوح أو متساوي، وأما القضايا القطعيات فتحكم محض، ترتيب وله قواعد ومقدمات تستلزم واضعها الأول السفسطة إن استلزم الثاني

المخالف.

فإن قيل: ذلك معقولاً!

قيل: فبما ركنت النفس له في الأولية وانطبع فيها التوهم، ثم إن النفوس ارتاضت بهمتها المقاصد منه، وثبت على أنه الحق وذاك المقبول أيضًا، دانيًا من جهله، وقطع بجهله، وكذلك جهل وقطع بجهلهما، هذا باجتماع الجم الغفير على القطع في كل واحد منهم.

هذا دلاً على أن الحق غير منحصر، والعلم غير متناه ومعلوماته، ﴿**وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ [النحل: 8].

فصل

صفات الواجب لنفسه على متعلقاتها -وهي واجبة لها- ولا يلزم طويات زيادة على القديم، وليس للمعلول تأثيرًا في علته وإلا جاء الدور، ولا في مثله لانتقاء مؤثرين في أثر واحد، أما كون المعلوم مبصورًا ومسموعًا وموجودًا فلإثبات القدرة ونفي العجز.

أما الحدوث حكماً فلإخراج ما في القوى للفعل؛ فالموجود الأول عن الوجود لا عن العدم، وأي شيء هذا العدم؟

معنى موجود في الذهن كغيره، مثل الحدوث والقدم والمعية والمحال وغير ذلك، وهي أشياء مشعور بها.

وقد عرف أهل الكشف والشهود حقيقة العدم من حيث ما هو لا يحاطه به، وهذا الموجود الأول لا متصل ولا منفصل، لأنه لا في مسافة ذهنية ولا خارجية؛ فإن المكان والزمان والحدوث معان أمكنت لغيرها، موجودة في الذهن لا في الخارج، وفعل الواجب واجب، وليس إلا الظهور بعد البطون، لازم للواجب، علة الممكن، ذات وجودية لا جوهرية، ولا المفارقة عنه بحكمه عن الواجب، ثم النفوس، ثم الأفلاك، وهذا هو القديم الذي لا يقضي بحدوث أصليته عن حيث البطون، ولا تعدم فرعيته حيث الظهور، والإلزام وجوب الممكن وإمكان الواجب.

فصل

الأقلام السبعة ألواحها أنوار وجوداتها، ومكتوباتها ظلال متعلقاتها، ثم الألواح أقلام لألواح هي منخلعة عنها على صورتها [تمثلات][1]، وسابقة الوجوب، وكان بمقدمة السؤال والوهم الخيال؛ فقلت وبالله المستعان وعليه الاتكال:

الوجوب من حيث هو أربعة أقسام:

حق، وحقيقة، ثم وهم وخيال.

فالحقيقة: هي الأصل الأول، والمطلوب الآخر؛ فحقيقة الشيء ما قام به ووضع لأجله.

والحق: ما ثبت، بحيث لا يزول ما به تصور المحال.

والخيال: ما ظهر ولم يكن، وكان ولم يستمر؛ فليس له مرتبة في الوجود ولا في العدم[2].

أما الوجود: فضد العدم وهو على قسمين:

قائم بذاته، ومعتل، والعلة: ما يلزم من وجوده الوجود وعدمه العدم، والشرط: ما لزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده الوجود، واللازم عكسه؛ فالحقيقة علة العلل، وما قام بها لازم حق، وغير لازم وهم بالوهم خيال.

فالوجود الذات، والقائم بها الصفات لازم، والأفعال في القدم غير وجودية، والأثر: ما جاز عدمه عقلاً، والوجود لا يقبل ما جاز عليه.

فصل

الوهم علة المجاز، والمجاز: ما لا وجود له من صفة نفسه، هو وهم علة التأثير، وتَوهم علة التدبير في العقل والنفس والخيال.

الملك علة الصورة الملك، ومعلول التوهم النفس، والجائز المعدوم متعلق

---

(1) كلمة غير واضحة.

(2) قال سيدي علي: الخيال مجمع شمل الأحكام فيه، يتعين تصور المراتب علمية كانت أو عقلية أو وهمية.

الوهم، العقل معلوله من حيث أمكن في غيب الوجود الكل ما ظهر لأجزاء توهمه، وبطن شيئًا بعلمه، وهو واحد بالقوى، أحدًا بالفعل.

الأول: حقيقة بالعلم.

والثاني: مجاز بالوهم.

فصل

الغيوب الكلية تضمنت الكائن بالجزئية تضمن التقدير العقلي، لا كتضمن ظاهر الغيب، وهو الملكوت؛ لأنه تضمن التشكيل بالخيالي.

والحجاب: منع رجوع الأثر الظاهر على المؤثر الباطن بالتأثير.

والمفتاح: ما به زوال المانع، كالحواس ومراتب العقول، يعيدون إلى الغيب الكل ما ظهر عنه بالفعل، ثم الصفات الذات الوجود الحق ﴿**لاَ يَخْفَى عَلَيهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ**﴾ [آل عمران:5].

فمفاتح الغيب الثمانية:

الحياة والعلم والسمع والبصر والإرادة والكلام والقدرة و(الجود الحق) [1]، وهذه الثمانية حقائق الحملة العرشية، هم في نظام الذات التي أشعرت بزيادة الوجود الحق، وهي الهو، ﴿**وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ**﴾ [الأنعام:59] [2].

كما أن الحملة الثمانية: الأربعة الوجهية، والأربعة العقلية: الحفظ والذكر والمخيلة والفكر، والمحمول الوجود الكل موضوع الاستواء الحق؛ فالثمانية العلى مفاتح الغيب الأزل الذي لا يُظهر عليه ﴿**إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى**﴾ [الجن:27].

---

(1) كذا بالأصل ولعلها: الوجود الحق.

(2)نفى أن يعرف مجموعها أو أن تعرف من حيث كونها مفاتيح، وأن يعرف لا بتعريفه وتعليمه سبحانه.

وأما كون المفاتيح لا تعلم نفسها، أو لا تعرف بعضها بعضًا، أو لا تُعرف بتعريفٍ، فلا نص فيه، فافهم.

فلكل فاتحة خاتمة، وهي عينها هو الأول، الآخر، الظاهر، الباطن جمع النقيضين وانختم الختم على العالمين، فافهم.

والثمانية المثاني مفاتيح الملكوت، ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الزمر: 63].

فغيب الواجب الحق: الحقيقة، وغيب الممكن: الوهم والخيال، وعين في كل واحد منهما مكان الغيب.

فصل

بالحقيقة وهم، ولا بالوهم حق؛ فما هو في القوى بالحقيقة وجود حق، هو في العقل خيال وهم، وما في الفعل بالحق وجود حقيقة، هو في القوى وهم خيال.

وما جاء به الكلم الحق من ذكر الرتق والفتق كان بالحقيقة طمس غيب، والحق فاتح بيان الغيب تقديرًا لا تصويرًا:

«كنت كنــزا لا أعرف وكنت في عماء[1]».

ثم الفتق الثاني من الرتق الممكن بمقدمتي: الخلق الجاعل في عالم الأمر، والقلم الفياض في ملكوت الخلق. الأول تقديرًا، والثاني تصويرًا، كما جاء: «**أول ما خلق الله العقل[2]**»، و« **أول ما خلق الله القلم[3]**».

فأشار لأوليتين: خلق الله الأرواح قبل الأشباح؛ فالأرواح مأواها الأفق الأعلى إلى الكرسي العزيز، والأشباح (مأواها) [4] الأفق المبين إلى السماء الدنيا.

فأول ما فضَّل الله العقل الجعلي عن طلعة الفكر قابلة الذهن، حمي الحمل والوضع؛ فاستدعت الحافظة استواء الذكر فتولدت المعانى الروحانية، وثبتت الأمثلة النورانية.

وأول ما فضَّل الله التعلم الضروري عن خلعة التكوين قابلة المخيلة، ثم استوى بالقوى الفعلي الكُتبي؛ فرسم أشكال الخواطر أعيانًا مشكلة وأشخاصًا مخططة،

(1) تقدم.

(2) تقدم.

(3) رواه أبو داود (225/4)، والترمذي (457/5)، والضياء في المختارة (333/10).

(4) في الأصل: (ماو).

كالوجود النومي «الناس نيام[1]».

فالأول: مفتاح الغيب الأمر الكتابي.

والثاني: مفتاح الخلق اللوحي.

فصــل

مفاتح الأفلاك العشرة الشبحية: السموات الملكوتيات، واللطائف المجددة العرشيات:

المفتاح الأول: الاسم الظاهر الفعال، ﴿ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات:58]، فتح بالقلم القدرة -رسمًا بالمداد- التكوين الناتج عن نور السبحات الوجهية.

هو الحجاب الأقدس مظاهر الغيوب المطلقة الأزلية، رسم به الشكل الأعظم كائنة الأكوان. عين الأعيان، ومجدد التجليات، تفصيلاً في جمل، وجملاً في كل.

المفتاح الثاني: الاسم ﴿الْعَزِيزُ[2] الْحَكِيمُ﴾ [الحديد:1]، فتح غريب الفلك

---

(1) رواه أبو نعيم في الحلية (52/7)، والبيهقي في الزهد الكبير (207/2)، وذكره العجلوني في كشف الخفا (525/2).

(2) **العزيز:** قال حجة الإسلام الغزالي: هو الخطير الذي يقل وجود مثله، وتشتد الحاجة إليه، ويصعب الوصول إليه، فما لم يجتمع عليه هذه المعاني الثلاثة لم يطلق عليه اسم العزيز، فكم من شيءٍ يقل وجـــوده ولكـــن إذا لم يعظم خطره ولم يكثر نفعه لم يسمَّ عزيزًا، وكم من شيءٍ يعظم خطره ويكثـــر نفعه ولا يوجد نظيره، ولكن إذا لم يصعب الوصول إليه لم يسمَّ عزيزًا كالشمس مثلاً، فإنـــه لا نظـــير لها، والأرض كذلك والنفع عظيم في كل واحدٍ منهما، والحاجة شديدة إليهما، ولكـــن لا يوصـــفان بالعزة؛ لأنه لا يصعب الوصول إلى مشاهدتهما، فلا بد من اجتماع المعاني الثلاثة.

ثم في كـــل واحدٍ من المعاني الثلاثة كمال ونقصان، والكمال في قلة الوجود أن يرجع إلى واحدٍ؛ إذ لا أقل من الواحد، ويكون بحيث يستحيل وجود مثله، وليس هذا إلا الله تعالى، فإن الشمس وإن كانـــت واحـــدة في الوجـــود فليست واحدة في الإمكان، فيمكن وجود مثلها في الكمال والنفاســـة، وشدة الحاجة أن يحتاج إليه كل شيءٍ في كل شيءٍ، حتى في وجوده وبقائه وصفاته، ولـــيس ذلك على الكمال إلا لله ﷻ، والكمال في صعوبة المنال أن يستحيل الوصول إليه على معـــنى الإحاطة بكنهه، وليس ذلك على الكمال إلا لله ﷻ، فإنا قد بينا أنه لا يعرف الله إلا الله، فهو العزيز المطلق الحق لا يوازيه فيه غيره.

تنبيـــه: العزيز من العباد من يحتاج إليه عباد الله في أهم أمورهم، وهي الحياة الأخروية والسعادة =

الكرسي، ذي القدمين ذاتي الروحين، مخصص المراتب، ومميز الأعيان في عين الجملة[1].

=

الأبدية، وذلك مما يقل لا محالة وجوده، ويصعب إدراكه، وهذه رتبة الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، ويشاركهم في العز من ينفرد بالقرب من درجتهم في عصره، كالخلفاء وورثتهم من العلماء، وعزة كل واحد منهم بقدر علو رتبته عن سهولة النيل والمشاركة، وبقدر عنائه في إرشاد الخلق. انظر: المقصد الأسنى للغزالي (73/1).

(1) **الحكيم**: ذو الحكمة، والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم وأجل الأشياء، هو الله سبحانه وقد سبق أنه لا يعرف كنه معرفته غيره، فهو الحكيم الحق؛ لأنه يعلم أجل الأشياء بأجل العلوم؛ إذ أجل العلوم هو العلم الأزلي الدائم الذي لا يتصور زواله المطابق للمعلوم مطابقة لا يتطرق إليه خفاء ولا شبهة، ولا يتصف بذلك إلا علم الله سبحانه وتعالى، وقد يُقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويحكمها ويتقن صنعتها حكيم، وكمال ذلك أيضًا ليس إلا لله تعالى فهو الحكيم الحق.

تنبيه: من عرف جميع الأشياء ولم يعرف الله عز وجل لم يستحق أن يُسمَّى حكيمًا؛ لأنه لم يعرف أجل الأشياء وأفضلها، والحكمة أجل العلوم، وجلالة العلم بقدر جلالة المعلوم، ولا أجل من الله عز وجل، ومن عرف الله تعالى فهو حكيم، وإن كان ضعيف الفطنة في سائر العلوم الرسمية، كليل اللسان قاصر البيان فيها، إلا أن نسبة حكمة العبد إلى حكمة الله تعالى كنسبة معرفته به إلى معرفته بذاته، وشتان بين المعرفتين، فشتان بين الحكمتين، ولكنه مع بعده عنه فهو أنفس المعارف، وأكثرها خيرًا، ومن أُوتي الحكمة فقد أُوتي خيرًا كثيرًا، نعم من عرف الله كان كلامه مخالفًا لكلام غيره، فإنه قلما يتعرض للجزئيات، بل يكون كلامه كليًّا، ولا يتعرض لمصالح العاجلة، بل يتعرض لما ينفع في العاقبة، ولما كان ذلك أظهر عند الناس من أحوال الحكيم من معرفته بالله عز وجل، ربما أطلق الناس اسم الحكمة على مثل تلك الكلمات الكلية.

ويُقال للناطق بها: حكيم، وذلك مثل قول سيد البشر صلاة الرحمن وسلامه عليه: «**رأس الحكمة مخافة الله**».

وقوله: «**الكيس: من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز: من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله**».

وقوله عليه الصلاة والسلام: «**ما قل وكفى خيرًا مما كثر وألهى**»،.

وقوله: «من أصبح معافى في بدنه آمنًا في سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها».

وقوله عليه أفضل الصلاة والسلام: «كن ورعًا تكن أعبد الناس، وكن قنعًا تكن أشكر الناس».

وقوله: «البلاء موكل بالمنطق».

وقوله: «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**».

=

ثم المفتاح الثالث: الاسم ﴿**اللَّطِيفُ الخَبِيرُ**﴾ [الملك:14]، فتح غيب البرزخ الأطلس، حيث حجب الأبصار عن مباشرة الذوات المجردة التي عمرت ما بين الفلكين المتقدمين(1) (1).

=

وقوله: «**السعيد من وعظ بغيره**».

وقوله: «**الصمت حكمة وقليل فاعله**».

وقوله: «القناعة مالٌ لا ينفد».

وقــوله: «الــصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله»، فهذه الكلمات وأمثالها تُسمَّى حكمة، وصاحبها يُسمَّى حكيمًا. وانظر: المقصد الأسنى للغزالي (120/1).

(1) **اللطيف:** مشتقٌ من اللطف بمعنى: الرفق، ومن لُطفه تعالى بعباده وإعطاؤهم فوق الكفاية، وتكليفهم دون الطاقة، ووصولهم إلى السعادة الأبدية بسعي يسير في زمانٍ قصير، واختصاصهم بحمل الأمانة من بين أهل السموات والأرضين، وصيانتهم عن شرور البهائم الهوام والشياطين، ومنه خلقه الجنين وحفظه في رحم الأم، وإلهامه عند الانفصال امتصاص ثدي ولو في ظلام الليل من غير تعليم ومشاهدة، ومنه إخراج اللبن الصافي من بين الفرث والدم، والجواهر النفيسة من الأحجار الصلبة، والعسل من النحل، والإبريم من الدود وغير ذلك مما لا يكاد أن ينحصر، وقيل: هو العالم بخفيات الأمور ودقائقها، وقيل: بمعنى الخفي عن الإدراك، وحظ العبد منه أن يرفق بعباد الله تعالى يتلطف بهم في الدعوة إلى طريق الحق من غير عنف وازدراء وتنصب واعتداء.

الخواص: هذا الاسم جمالي، فمن داوم عليه بعد أداء الركعتين مائة مرة بنية الشفاء وكفاية المهمات والفراغ عن تنكيح البنات وجهازهن، يسر الله تعالى ما نوى وقراءته سبعة وعشرين مرة لتيسير الأمور نافع، ومن أكثر من ذكره، واشتد به مرض شفاه الله تعالى منه، والأنسب مداومته للأسير والمسجون، ومن كان مقهورًا تحت يد سلطان طبعه وأحكام عاداته ولا يذكره من يجد ما يؤلمه من نفسه، أو بدنه إلا أزال الله تعالى عنه. ومن قرأه لتفريج الكرب وانكشاف شدائد الأمور الدينية أو الدنيوية في المكان الخالي بمراعاة شرائط الدعوة يوم الخميس من أول الشهور الثوابت ستة عشرة ألفًا وستمائة وإحدى وأربعين مرة بنية الزكاة، ثم يواظب عليه كل يوم مائة وتسعة وعشرين مرة ثم يقرأ مائة وتسعة وعشرين مرة هذا الدعاء: **بسم الله الرحمن الرحيم**

اللهم إني أسألك باسمك اللطيف اللطيف اللطيف، يا من وسع لطفه أهل السماوات وأهل الأرض أسألك أن تلطف بي من خفي خفي خفي لطفك الخفي الذي إذا لطفت به لأحد من عبادك لكفى، فإنك قلت وقولك الحق المبين: الله لطيف بعباده يرزق من يشاء، وهو القوي العزيز ألطف بي اللهم بلطفك الخفي يا خفي الألطاف نجنا مما نخاف بحق سورة الأعراف، وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وآله أجمعين، ينفعه.

ومن صام من يوم الثلاثاء إلى يوم الجمعة، وراعى في هذه الأيام شرائط الدعوة وأكل الحلال

=

ثم المفتاح الرابع: الاسم (**الصانع البديع**[2])، فتح غيب الفلك الذاتية، حيث الإتقان ومظاهر الخيرات الحسان.

ثم المفتاح الخامس:الاسم ﴿**الْمُصَوِّرُ**﴾[3] [الحشر:24]، فتح غيب الحروف

=

والصدقة بشيء من النقود، ثم غسل بماء النهر ليلة الأربعاء، وليلتي الخميس والجمعة بعد نصف الليل، وأدى ركعتي النفل بنية إرسال ثوابها على أرواح ختم المرسلين ﷺ وسادتنا الغوث الأعظم، وقطب الدين أحمد، وعلي الدين أحمد، قدس الله أرواحهم، ثم يقرأ الفاتحة مرتين والإخلاص عشر مرات وهذا بانضمام حرف النداء خمسة آلاف وخمسمائة وتسعة وأربعين مرة، وتصدق بشيء من الطعام الحلو بعد القراءة كل ليلة أيضًا أنجح الله تعالى حاجته وذكره، أسرع تأثيرًا لمن كان اسمه صالح.

(1) **الخبير**: هو الذي لا تعزب عنه الأخبار الباطنة، فلا يجري في الملك والملكوت شيء، ولا تتحرك ذرة ولا تسكن، ولا تضطرب نفس ولا تطمئن، إلا ويكون عنده خبرها، وهو بمعنى العليم، ولكن العلم إذا أضيف إلى الخفايا الباطنة سمي خبرة، ويُسمى صاحبها خبيرًا.
تنبيه: حظ العبد من ذلك أن يكون خبيرًا بما يجري في عالمه، وعالمه قلبه وبدنه، والخفايا التي يتصف القلب بها من الغش والخيانة والتطواف حول العاجلة، وإضمار الشر، وإظهار الخير والتجمل بإظهار الإخلاص مع الإفلاس عنه، لا يعرفها إلا ذو خبرة بالغة، قد خبر نفسه ومارسها وعرف مكرها وتلبيسها وخدعها، فحاذرها وتشمر لمعاداتها، وأخذ الحذر منها، فذلك من العباد جدير بأن يُسمى خبيرًا. انظر: المقصد الأسنى للغزالي (102/1)، وشرح الأسماء لزروق (ص 62).

(2) البديع: هو المبدع للأشياء على غير مثال سابق. وقيل: هو الذي لا مثيل له.
والتقرُّب بهذا الاسم تعلُّقًا بالنظر إلى بدائع مصنوعاته، والاعتبار بها، وبدائع أوصافه، وتعظيمه لأجلها، وتخلُّقًا باكتساب الفضائل، وترك الرذائل بحيث تخترق من نفسه العوائد.
وخاصيته: قضاء الحوائج، ورفع الضر عمَّن ذكره بستين ألف مرة، قُضيت حاجته، ورُفع عنه ضرره.
وانظر: شرح ورد الستار للشرقاوي (ص 168).

(3) **المصور**: بكسر الواو المشددة هو الذي صور جميع الموجودات ورتبها، فأعطى كل شيء منها صورة خاصة وهيئة منفردة يتميز بها عن غيرها على اختلاف أنواعها وكثرة أفرادها، والفرق بين تلك الأسماء ظاهر؛ لأن الله تعالى باعتبار تقدير الأشياء وإيجادها على وفق التقدير خالق، وباعتبار مطلق الإبداع والإخراج من كتم العدم إلى ساحة الوجود مع قطع النظر عن ملاحظة الإيجاد على وفق التقدير، وباعتبار ترتيبه صور المبدعات بأحسن ترتيب مصور في الكل، وإن كان راجعًا إلى الخلق والإبداع لكن لا يقتضي الترادف كما ظن للفرق بينها ولو اعتبارًا، ولا حظ للعبد من هذه الأسماء إلا بأن يذعن إيجاده تعالى وتصويره للأشياء ويعلم تفاصيلها حتى الوسع،
=

السطرية، والرقوم الهيكلية.

ثم المفتاح السادس: الاسم (**الحفيظ**) [1]، فتح غيب التخليق الخلقي والاستعداد الكوني.

ثم المفتاح السابع: الاسم (**المدبر**[2]) فتح غيب المماثلة والمقابلة والمدابرة، حيث الحفظ بالاكتساب وتحصيل المطالب بالأسباب.

ثم المفتاح الثامن: الاسم (**المقدر الهادي**[3]) فتح غيب الموازين الوضعية

=

فيشرف على صورة الإنسان من حيث خواصه البدنية وأعضائه، ويعرف تركيبها ويتأمل في حكمة خلقها وترتيبها، ثم يطَّلع على صفاته الروحانية حتى يحصل به معرفة المبدع العليم كما ورد في الحديث: «من عرف نفسه فقد عرف ربه». والمصور اسم جمالي، وقيل: مشترك، من داوم على ذكره سهل الله تعالى عليه ما يريد عمله من الصنائع التي فيها تخليط وتشكيك، وإن كان صاحب حال صادقة، وذو قدم راسخ تنــزلت عليه المعاني المقولة من الصور المحسوسة، والمرأة العقيمة لو صامت إلى سبعة أيام، وقرأته كل يوم إحدى وعشرين مرة ونفثت على ماء، وأفطرت من ذلك الماء وقربت من زوجها أعطاها الله تعالى ولدًا ذكرًا صالحًا.

(1) هو الذي يحفظ المخلوق من كل بليَّة في الدنيا والآخرة، وهو بمعنى قول بعضهم: هو مدبِّر الخلق وكافهم عن المهالك.

وقيل: العالم بجميع المخلوقات علمًا لا تغير له، ولا زوال وهو قريبٌ من قول بعضهم: الحفيظ من الحفظ، وهو رعاية الأكوان من حيث العلم والاقتدار.

والتقرُّب بهذا الاسم تعلقًا دوام الالتجاء إليه والاعتماد عليه، والرجوع لما عنده بنسيان خوف الخلق، وهم الرزق ثقةً بحفظه وكفالته وكفايته، وتخلقًا بأن تحفظ ما أُمرت بحفظه من الجوارح والشرائع والأمانات والودائع.

وخاصيته: إن من ذكره أو كتبه وحمله في مواضع الخوف، وجد بركته لوقته حتى إن مَن علَّقه عليه ونام بين السباع لم تضره.

(2) هو المدبِّر للأشياء، الموقع لها على غاية الإحكام والسداد من غير مشورة لأحد، كما هو شأن رشيد العقل من الآدميين. وقيل: هو المرشد؛ فيكون بمعنى: الهادي.

(3) أي المرشد لعباده، والدال لهم إلى ما فيه صلاحهم.

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه:50]: أي هدى ما خلق لما أراده في دينه ودنياه، وجميع أموره.

وقيل: هو الذي هدى الخاصة لمعرفة ذاته بالكشف، والعامة لمعرفتها بالدلائل والبراهين. وانظر: شرح ورد الستار للشرقاوي (ص 170) بتحقيقنا.

والحدود الحصرية، حيث أُلهِمَ بالهداية إلى المصير العادية.

ثم المفتاح التاسع: الاسم ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾[1][الذاريات:58]، فتح غيب النعيم والتنعيم. حيث الإمداد العرضي والتسخير الضروري.

ثم المفتاح العاشر: الاسم ﴿الحَقُّ المُبِينُ﴾[2] [النور:25]، فتح غيب الأنوار حيث كور الليل على النهار؛ فارتفع الإلباس وصحبت قوانين القياس، واعتدلت أوضاع التركيب، وهذا الفتح هو فتق الرتق وتفصيل عالم الخلق.

وكان المفتاح الباطن: الاسم ﴿الحَيُّ القَيُّومُ﴾ [3] [آل عمران:2]، ذو الوحي

---

(1) خالق الأرزاق وأسبابها، وقيل: هو ممد كل كائن بما تحفظ به صورته ومادته كإمداد الأجسام بالأغذية، والعقول بالعلوم، والقلوب بالفهوم، والأرواح بالتجليات وهكذا.
وقال بعضهم: الرزَّاق من الرزق، وهو الإمداد بما منه أصل الخلق، وكل خلق خُلق من شيء، ثم إذ يتم له مدد منه كان ذلك المبرر ورزقه، ولما كان مبدأ خلق الإنسان الماء كان مبدأ رزقه الماء.
قال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات:22].

(2) هو الثابت الوجود على وجه لا يقبل الزوال، ولا العدم، ولا التغيُّر، والكل منه وإليه؛ فكل شيء دونه باطل؛ إذ لا حقيقة لمن دونه من ذاته، ولا في ذاته، والتقرُّب بهذا الاسم تعلُّقًا: نسيان كل شيء بذكره، والعمل في كل حال بأمره.
وخاصيته: إن مَن كتبه في كاغد مربع على أركانه الأربع، وجعله في كفه سحرًا، ورفعه إلى السماء، فإن الله تعالى يكفيه ما أهمَّه، ومَن لازم لا إله إلا الله الملك الحق المبين في كل يوم مائة مرة، استغنى من فقره، وحصل على تيسير أمره، ومَن ذكره في كل يوم ألفًا، حسُنت أخلاقه، وانصلحت طباعه.

(3) **الحي:** هو الفعال الدراك حتى إن من لا فعل له أصلاً، ولا إدراك فهو ميت، وأقل درجات الإدراك أن يشعر المدرك بنفسه، فما لا يشعر بنفسه فهو الجماد والميت، فالحي الكامل المطلق هو الذي يندرج جميع المدركات تحت إدراكه، وجميع الموجودات تحت فعله، حتى لا يشذ عن علمه مدرك، ولا عن فعله مفعول، وذلك الله عز وجل، فهو الحي المطلق، وكل حي سواه فحياته بقدر إدراكه وفعله، وكل ذلك محصور في قلة، ثم إن الأحياء يتفاوتون فيه، فمراتبهم بقدر تفاوتهم، كما سبقت الإشارة إليه في مراتب الملائكة والإنس والبهائم.
القيوم: اعلم أن الأشياء تنقسم إلى ما يفتقر إلى محل، كالأغراض والأوصاف، فيُقال فيها: إنها ليست قائمة بأنفسها، وإلى ما يحتاج إلى محل، فيُقال: إنه قائم بنفسه كالجواهر إلا أن الجوهر وإن قام بنفسه مستغنيًا عن محل يقوم به فليس مستغنيًا عن أمور لا بُدَّ منها لوجوده، وتكون شرطًا في
=

الأمري القائم على كل أمر -فلكي ونفس ملكي- بالتأثير والتدبير.

والباطن في هذه المفاتح المقدسة، والمهيمن على هذه الأسماء المعظمة قائم بالتأثير حتى بالتدبير، ﴿**يُدَبِّرُ الأَمْرَ**﴾ في بطونه، و﴿**يُفَصِّلُ الآيَاتِ**﴾ [الرعد:2] في ظهوره، ثم إن الأفلاك الأرضية والمهادات البسيطية، مستقرات المستودعات السماوية السبعة:

الأثير والهواء والماء والثرى والقوي النباتية والقوي الحيوانية التعفينية، ثم القوى المخيلة الجان.

فالرهبوت: عين غيب النار، عمَّرته الأشكال المدهشة والمخيلات الموحشة، ذو التأثيرات المؤلمة بالعرض أو بالسلب، مفتاحه بيد اسم (الجبار).

والرحموت: غيب الهوى عمَّرته ذوي الأجنحة المثنى والثلاث، أشكالاً مُعجِبة وأشخاصًا مؤنسة، مفتاحه بيد اسم (الرحيم)، والحياة العرضية ظل السبح.

العرش: غيب الماء، عمَّرته الصور الساعية الدابة، ذوي التلونيات اللونية، مفتاحه بيد الاسم (الجميل).

والهباء: غيب التراب، عمَّرته الصور الحزونة، المتناسبة بالآلة الإيلافية قعرات الحصر، مفتاحها بيد الاسم (**المميت**[1]).

=

وجوده، فلا يكون قائمًا بنفسه؛ لأنه يحتاج في قوامه إلى وجود غيره، وإن لم يحتج إلى محل، فإن كان في الوجود موجود يكفي ذاته بذاته، ولا قوام له بغيره، ولا يشترط في دوام وجوده وجود غيره، فهو القائم بنفسه مطلقًا، فإن كان مع ذلك يقوم به كل موجود حتى لا يتصور للأشياء وجود، ولا دوام وجود إلا به، فهو القيوم؛ لأن قوامه بذاته، وقوام كل شيء به، وليس ذلك إلا الله سبحانه وتعالى، ومدخل العبد في هذا الوصف بقدر استغنائه عما سوى الله تعالى.

وانظر: المقصد الأسنى للغزالي (132/1).

(1) المميت: خالق الموت، ومسلطه على مَن شاء من الأحياء، متى شاء وكيف شاء، بسبب وبلا سبب.

وقيل في معناهما: محيي القلوب بنور المعرفة كما أحيا الأجسام بالأرواح، ومميتها بعارض الغفلة ونحوها.

وقال بعضهم: الإحياء هو إظهار من غيب عن تكامل تكون الإماتة على آخر ذلك التكامل عودًا

=

والشم والذوق النامية عمَّرتها صور الطعوم والروائح ذوات الرَّوح والريحان – ما تكن عارضة زقوم وشاربة غسلين ويحموم- بيد الاسم (**المنعم**).

ثم الزيادة: غيب التعفين عمَّرته صور (مستقذرة) [1] وهياكل مستنفرة، لا كتعفين التخليق الرحمن، مفتاحه بيد الاسم (**الكافي**).

﴿مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾ [الملك:3].

ثم ظل الزبانية: عمَّره الأثير.

غيب الجانّ: عمَّرته هياكل كالأصل في التشكيل لا في تحقيق الوجود، وهذه طباق السبع الجحيم، من حيث استولى عليها الجبار بالفلك الأثير، ولولا الرحمة المنـــزلة من المائة المدخرة في الدرجات الفردوسية المائة – خزنتها الأسماء الحسنى في غيوب الأفلاك العلى؛ فتنـــزلت بالسبق الغالب على الرفوف الأخضر – ما استشعر فيها النعيم ولا مزج كأس التسنيم، ولا حبيت أرواح النمو والزكا **﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدا﴾** [النور:21]؛ فإذا نـــزلت الرحمة المرسلة على البراق نور الدرجات العلى خلت القعرات السجنية من الرحمة والمنة، فتوضع الأغلال ويعظم النكال، ويركب الطبق على الطبق، فلا صوت يسمع ولا دعاء يرفع، بعكس درجات النعيم حيث تطلق الإشاعات، وتتقدس الذوات، وتنخلع الخلع الرحمانيات على الصور المكرمة الآدميات، وتم « **ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر** [2]».

=

من نهاية ذلك التكامل، وتغييبًا إلى باطن ذلك الغيب الذي هو مبدأ التكامل، فحقيقة الحياة تكامل في الظهور، وحقيقة الموت تراجع في الغيب انتهى.

والتقرُّب بهذا الاسم تعلُّقًا بالاستسلام لمولاك، والرجوع بهذين الاسمين إليه بما منَّ به عليك ووالاك، وتخلُّقًا بإحياء عوالمك بالطاعة، وإماتتها عن المعصية.

(1) في الأصل: مستقدرة.

(2) رواه البخاري (1185/3)، ومسلم (2174/4).

فصــل

جمع الفرق إجمال الفصل، ورد الفرع إلى الأصل، وذلك أن فاتح الأمر العظيم الكلي الرحمن - مُحرك الجرم الأقصى، سابق الزمان والمكان، المستأثر بالوجود الحق- لما أراد إبراز النتيجة الجامعة، وبارقة المثل اللامعة، تجلى للملكوت العلي في حجاب البهاء، وتنـــزل في مدارج القول بالأنية المفيد لحقائق الجعل بالخلافة الأرضية، كان في ذلك تفضيل المفضول في قانون الطبع، وترجيح المرجوح من حيث قياس الوضع، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:216]، فوقعت منافرة الأنس وكان بشائبة القوى، الجان من حيث خالطه الأرواح الصافية والمرائي الرائقة فتشكلت شائبة عرضية غير حقيقية، لاحت ثم راحت؛ فأمروا عند ذلك بالسجود، ظاهره تعظيمًا وتقديسًا وتكريمًا بعد التسوية للنفخ، وذلك بعد جمع الإناء الفخار من أفلاك الدنى، وكانت الأسماء أولو المفاتح المستولية على الأفلاك السبع وسائط في استخلاص الخلاصة من الأفلاك البسائط، والدفع من الدُنى إلى العُلى، ثم بطنت، ثمَّ فيما رفعته هذا وهي غير منفصلة عن مقارها ومصاف استيلائها.

تنـــزلت الأسماء الملكوت العلى بمفاتح الغيوب الأولى بما تضمنت من أحكام وحكم وقوانين وأوضاع- كما تقدم- فأَحكم كل حاكم حكمه، ووضع بما اقتضاه علمه عَمَله، ثم بطنوا على الترتيب الأول، فلما بلغ أشده واستوى ودارت أفلاك السِوى والسَوا، وانعقدت طرفي الدائرة الوجودية المجازية من القعدة السفلى إلى المنتهى العلا؛ فكان علم الأسماء بما تضمن في القوى من الأسماء الجوامع، الذين هم أنوار المسميات الكنـــزية من غيوبها الأزلية.

هذا: وهم في مصافهم مسميات روحانية، أسماؤهم الأشباح الملكوتية، ولهذا قال:﴿أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ﴾ [البقرة:31] [1]؛ فعرض المسميات الأرواح، وطالَب

(1) يعني: الأسماء التي هي مبادئ لإيجاد العالم، ومؤثرات في حقائق الأكوان، ومن جملتها الأسماء الإلهيَّة التي توجَّهت على إيجاد الملائكة وهي لا تعرفها، ثم أقام المسمِّيين بهذه الأسماء، وهم مظاهر التجلِّيات الإلهيَّة التي هي الأسماء كالمواد الصوريَّة للأرواح.

=

بالأسماء الأشباح؛ فكان نفي لنتاج التركيب والجمع؛ فلما اعتدلت المواد واستعدت الصورة بالقوى المفارق لقبول نفخة روح الحياة الحق؛ فارتفعت حجب الممكنات بأنوار التجليات، حضرات الصفات، حيث تعين الإنباء بالذات، ووجب السجود بالسجود، لا بتكاليف ﴿وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات:164].

فهناك دارت الأفلاك بأسبابها على مقامات أقطابها شوقًا لمستوى أربابها؛ فاختلفت الدورات وتباينت الهويات وانحرفت المعتدلات، ﴿عَنِ اليَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّداً لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ [النحل:48].

قيل – لذي الخلافة بلسان التعظيم والجمع-: إن كان لا بد من الميل؛ فاليمين أولى، وأيمن فاسكن بسلام ولا تقرب؛ فكان النهي عن صورة الذخيرة السالبة والشعيرة الجادبة الراسبة، المشعرة بالنـــزع والانخلاع والولوج في ظلمة البهموت، والسريان في سبيل الإخلاص بحضرة من لا تدركه الأبصار.

فقُدِّم بالذات لفتح غيب الغيب، من سريانية الذات؛ فكان المفتاح الأعظم، الاسم الجامع للأسماء، المفاتح الكلية المحيطة بالأسماء المفاتح الجميلة، المستولية على الأسماء الجزئية. فما تنـــزل من العرش بالتجلي على اختلاف صور الأرزاق والأقوات: الحواس الخمس والمدركات المراتب العقليات؛ فتناولها الخليفة:

إما على الكشف: فعرش اللاهوت عود الغيب في غيب موجوداته الإلهية،

=

فقال: ﴿أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة:31]، يعني: الصور التي تجلَّى فيها الحق إن كنتم صادقين في قولكم:

﴿نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ [البقرة:30]، كأنه قال لهم: وهل سبَّحتموني بهذه الأسماء التي تقتضيها هذه التجلِّيات التي أتجلاَّها لعبادي؟ وإن كنتم صادقين في قولكم: ونقدِّس ذواتنا عن الجهل بك، فهل قدَّستم ذواتكم لنا من جهلكم بهذه التجلِّيات وما لها من الأسماء التي ينبغي أن تسبِّحوني بها؟.

فقامت عليهم الحجة في ادِّعائهم الإلهيَّة، فقالت بعد العلم: ﴿لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا﴾ [البقرة: 32]، واعترفت بالكمال الذي غاب عنها هذا.

وقد قال تعالى لها أنه خليفة، فكيف بها لو لم يقل لها ذلك، فلم يكن ذلك إلا لبطونه على الملائكة.

حيث لا يعلم غيره، ولا يشهد سواه.

أو على الحجاب:

إما على الطاعة والاتباع: فرجوع بالأفعال المقيدة إلى حيث انتهت الهمة بالعلم «**اقرأ وارق فإن منـــزلتك عند آخر آية تقرأها**[1]»، وهذه غراسة الجنات.

أو على المخالفة: فعود إلى القعدة والسجين والزفرات؛ فأعوذ بالله من سوء القرين، وأسأله الأمان والتأمين.

فصل

خلق الله العرش أرباعًا، وبما تربَّع كونه في عين واحدة لتكوين التمكين بالتخويف والتأمين، والبطون والظهور والتقديم والتأخير، فهو محيط -من حيث هو صور الغيب- كل واحد.

عظيم: بحيث لا يتناهى لجزء من آحاده بالتقدير ولا التصوير.

كريم: من حيث مظاهر قدسه، وجمال مشهده.

مجيد: من حيث رفعة محله، وجلالة منصبه؛ لتعلق الأول الذي لا يسبق.

مجيد: لتعلق الآخر الذي لا يلحق.

كريم: التعلق الظاهر الذي لا يتناهى.

عظيم: التعلق الباطن الذي لا يُنتهى إليه.

وهو نور مشهود، وعين موجود، ألطف شيء يُرى وأقدس، وأعظم شيء يشهد وأنفس؛ لذلك تربَّع ظله الروحاني الشبحي -في نظام الكرسي العزيز كان- تربيعًا ملكيًا:

كإسرافيل إحاطة تربيعًا، بميكائيل إيجاده، وعزرائيل سلبه، وجبريل تقديس أفعاله.

وهو كل حملة بطنت فيه بالقوي وظهرت عنه بالفعل، ثم الاستقصاءات الأربع

---

(1) تقدم تخريجه.

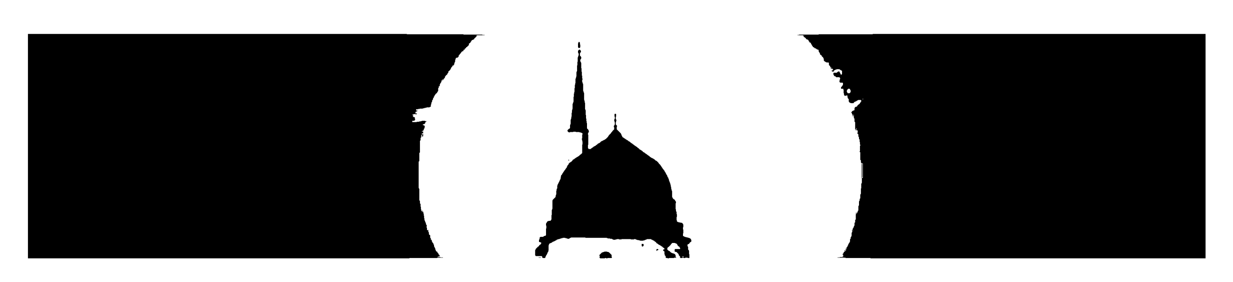
أيضًا.

وهذه حكمة وضع الأساس في عالم الصور، ثم جمع آدم على الترتيب الصوري «**خلق الله آدم على صورته**»؛ فتربع العرش جمعًا وفرقًا، واحدًا وآحادًا.

وبما كان مستوى الرحمن، عظيم الشأن، وأحكم البنيان، فتنـــزلت الخلافة الرحمانية، على صورة المثلية، كل ذلك مقدمات تأسيس وتأنيس، وتعليم وتمكين، لما يكون بعد الختم من الفتح، ﴿**وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً**﴾ [الأحزاب :62].

وأنجز كتاب «مفاتيح السور» بحمد الله وعونه وحسن تأييده، وله الحمد دائمًا أبدًا كما يحب ربنا.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم



رب يسّر و لا تعسّر

مبارك الإبيتداء

ميمون الإنتهاء

مرجوّ النّفع و الإهتداء



كتاب فصول الحقائق

لإمام السادة الوفائية سيدي العارف بالله تعالى

الشيخ الإمام محمد وفا

رحمه الله تعالى

مقدمة

أعوذ بالله من شياطين الخلق والكون وأبالسة العلم والجهل وأغيار المعرفة والنكرة ، اللهم إني أعوذ بك فأعذني بسبق قدمك من شرور حدوثك وبظلمة ذاتك من نور صفاتك وبقوة سلوبك من ضعف إيجادك وبظلمة عدمك من نور تأثيراتك فأعذني اللهم بك منك في كل ذلك بكل ذلك لا أنه كذلك من وجه العلم ولا كيف ذلك من حيث العقل ولا بذلك من جهة قصد النفس ولا كذلك من حيث تخيل تصور الوهم ، أعوذ بك من كل ذلك كذلك من حيث أنه كذلك لا من حيث أنك ولي ذلك ، اللهم أغنني بديموميتك عن بقاء آلائك وبإحاطة وجودك عن تصور الواحد والأحد وبقيومية قيامك عن استقامة تقويم المدد ، وغيبني في ظلمة ذاتك التي

تعجز فيها الأبصار والبصائر وتستحيل فيها معارف العقول الإلهية ذات الأسرار والسرائر وأستغفرك بلسان المحق لا بلسان الوقاية والنظر بعين التلاشي لا بعين الرعاية والجذب بسر العدم لا بقوة الهداية والتلاشي بنفي الرسم لا برسوم الولاية ، سبحانك بسبحات وجهك المحرقة لجهات خلقك سبحانك من وجه ما أنت لا من وجه ما أنا ، سبحانك من وجه الوجه المتنزه عن رسم الأسماء والكنى سبحانك في الحيث الذي لا يلتحق به البقاء ولا الفنا ، سبحانك في العز الذي امتنع عن تأثير الفقر والغنى ، سبحانك سبحانك سبحانك في تقديس قدسك المقدس عن تقديس المقدسين والمنزه عن تنزيه المنزهين أحاشيك عن الفم والقول وأنزهك عن القوة والحول وأسألك لا في المنة والطول وأمد لك يد التأييد لا يد الوسيلة وأسألك بسبح التفضيل لا فضل الفضيلة وأعوذ بك من تحليل التحويل ومحاولات الحيلة ، اللهم أرني وجهك لا من حيث كل شيء هالك واسلك بي لا في سبيل المسالك والسالك وغيبني في غيابة غيبك لا في غيابة غيابك ، اللهم إني أسألك بذات عدمك وبذات وجودك وبالذات المجردة وبالذات المتصفة بذات التكوين وبذات التلوين وبالذات الفاعلة وبالذات المنفعلة ، وأسألك اللهم بما أودعته في هذه الذوات من الأنوار المكنونات والأنوار المخزونات أن تجعلني غيباً لذات الذوات ومشرقاً لأنوارها المشرقات

ومستودعاً لأسرارها المكتمة في غيوبها المبهمات سبحانك في المحيا والممات وتقدست في الأرضين والسموات وأحطت بالماضين وما هو آت .

فصل

إله الآلهة ورب الأرباب جل جلاله تواضع له عظيم الأشياء وتلاشى في إحاطة وجوده روح الإنشاء ، قام كل قيام بقيام قيوميته فهو وجود كل شيء مع أنه يكون في كون كل كائن إن شاء كيف شاء ، ولا يكون في وجوده كون كائن وجب أنه شيء لما استحال شيئه فكل شيء عالم به في محض الجهالة ، نزوله إلى الفعل أثبت الوهم المثبت لسواه وترقيه إلى إحاطة الذات التي لم ينفصل عنها بالنزول من حيث نفي مثبت السوى ، ولا يكون ذلك إلا في الجزء المحيط بكله لا في الكل المحجوب بجزئه ، أنزهه لا كتنزيه الحس له عن أوصاف الجسم والنفس عن شهوات الطبع ، والعقل عن أخلاق النفس ، والقلب عن تقبيح الفعل وتحسينه ، والروح عن تقلب القلب في إثبات وجوده المشترك ، والسر عن الوحدة المشتركة بالوجود ، بل أنزهه في كل ذلك وعن تنزيه كل ذلك وعن نقيض كل

ذلك وضده ومثله وخلافه وغيره تنزيهاً معجوزاً عن تصوره وتوهمه .

فصل

يقول الله تعالى : أيها المخصوص الذي لا تعلل خصوصيته رفعتك فانحطيت مع طبعك سلمت لك أمر السموات والأرضين تطويهن وتنشرهن وتبنيهن وتهدمهن ، إن شئتني طويتهن وإن شئت نفسك نشرتهن وأنا معك كيف تريد وأنا المريد ، ونبهتك على السبب الموجب للعزل عن هذه الولاية ، فلما ذهلت نباهتك سلمت أمر كليتك للسموات والأرض تطويك وتنشرك فبطيها لك ترى ملكوتها بما فيه من لوح وقلم وجنة ونار إلى غير ذلك ، فإذا نشرتك رأيت أفلاكها بما فيها من ظلم وأنوار وأعين معدن ونبات وحيوان وأنت في كل ذلك محجوب عني تريد أن تراني وأنت قائم بقيومية السموات والأرض ولكن لا تراني حتى تقوم بقيوميتي في الأزل والأبد تعرف كونك في الآخرة بكونك في الدنيا ولا تعرف كونك عندي إلا بوجودك الذي لا تسعه الدنيا ولا الآخرة ، وبعد ذلك أيها المخصوص لك عند كل شيء مقدار ولا مقدار لك

عندي فإنه لا يسعني غيرك وليس كمثلك شيء أنت عين حقيقتي وكل شيء مجازك وأنا موجود في الحقيقة معدوم في المجاز وبعد فمصدرك الأزل وموردك الأبد وقيامك بالحق وأنت عين الحقيقة .

فصل

يقول الله تبارك وتعالى : يا عين مطلعي أنت الحد الجامع المانع لمصنوعاتي ، إليك يرجع الأمر كله وإلي مرجعك لأنك منتهى كل شيء ولا تنتهي إلى شيء ، طويت لك الأرضين السبع في سبع من الحب والنوى المتنوعة بالفعل إلى أصناف من نبات شتى ، فإذا شئت نشرها أولجت فيها جواهر السماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج " إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير " فإذا تكامل خلقها وتزين كونها سعت على أقدام الإقدام لمسجدك الأقصى بحكم الاستقصا فتخر ساجدة سجود العبودية لأرباب حواسك الكلية والجزئية تسبحك بألسنة التقديس وتقدسك بأفواه التنزيه وتعظمك تعظيم مخلوق لخلاق وتحن إليك حنين المتشوق إلى ما إليه يشتاق ،

فأملاكها تسبح وتحمد وأفلاكها تقوم وتسجد وأنت جالس في مجلس سلطانك مستو على عرش ناطقة إنسانك قد تلا لسان الإحسان بمحضر الأكوان : [وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا]

فصل

أكبر كبرياء العالم المحيط بما اشتمل عليه القدم والحدوث القائم بلسان الأزل فاتحة الوجود الأول اسمع خبر خبرة موجوديتك في النظام القديم ، لما أردت شهود حقيقتي في مرآة حقك نزلت في مرتبة الوجود المنافي لنقيضه وللاشتراك لأنه صفة ذات الوحدة التي لا تقبل الكثرة فأوجدتك إيجاد اختصاص وأنت مرادي بوجودي ، وأوجدت بموجوديتك في حيطة وجودك العقول الإلهية التي لا شعور لها بسوى القيوم القديم ، ثم نزلت بك في الجعل الذي يصدق عليه العجز فجعلتك مجعولاً من وراء الكيف وجعلت بمجعوليتك الأرواح الإلهية التي لا علم لها بغير الواجب ، ثم تنزلت بتنزلها

في مرتبة الخلق التي لا يقترن بها الحدث لتقدمها على الزمان بمرتبتين ولا تضاف لغير الواجب لا إضافة ملك ولا إضافة استحقاق ولا إضافة تشريف وخلقتك فيه خلق عناية وخلقت بمخلوقيتك النفوس الإلهية المهيمة في عالم الجمال والجلال ، ثم كونتك في مرتبة كوني المستغني عن السبب والآلة تكويناً لا يقف على حقيقة معناه تصويب النظر الصحيح وكونت بتكوينك الإدراكات الربانية والدركات الرحمانية فلما كملت في هذا النظام وشملك الكمال الذي لا يعلل بالتكميل أبدعت فيك ألواح الأسماء الحسنى وأودعت فيك أسرار سمائها العلي فسبحت نفسي بتسبيحك وقدستها بتقديسك ونظرت لجمالي ببصرك وبصيرتك وسمعت قديم كلامي بسمعك وأسماعك ، وكذلك في كل ذلك بك أعرفني وبك أعلمني وكل شيء يسبحني فيك بحمدي وأنا السبوح والمسبح ، فلما أردت أن أقيمك في مقام الخلافة سترتك بالجسم المقترن خلقه بالحدث وكونه بالسبب فاحتجبت بحجابك عن عيون الناظرين وفكر المتفكرين وامتنعت فيك امتناع عزة وتمكين عن كل بيان وتبيين " سبحان ربك رب العزة عما يصفون . وسلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين " ، ثم جعلت في هذا الشكل الخارج القائم في ظلاله بإزاء كل حقيقة من حقائق حقك مرتبة معينة بتأثير حقيقتها ، فلو فرضت روح الوحي المنزل في مشاهد النبيين

والمرسلين تسمى فيه جبريل تسمية وضعية في حقيقة مالك يوم الدين رب الملل والنحل ، وكذلك ميكائيل مفيض الأرزاق في حقيقة الرزاق ذي القوة المتين ، ثم إسرافيل صاحب حيطة الصور في حقيقة الرزاق الخالق البارئ المصور ، وكذلك عزرائيل في حقيقة المميت القهار ، ثم ما شئت بعد ذلك كذلك وكل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون .

فصل

تبارك ذو العلم والقدرة والوجود ، تبارك تباركاً لا يحد ولا يعد ، تبارك من كنزه لا يحصى وتنزه في وحدة لا تدرى ، يقول لروحه الذي هو صالح المؤمنين ويوم حقه المبين وقدم صدقه المتين ، أنا المنفرد بالعلم والبقا وأنت المفرد بالمعرفة والفنا أنا العالم بكثرتك وأنت العارف بوحدتي ، العلم ينشرك والمعرفة تطويك ، إن انقطعت دون المعرفة قمت وحشرت في أمم متغايرة أجناسها وأنواعها مختلفة أصنافها وأشخاصها ، فإن تحققت بمعرفتي ولا تكون المعرفة لسواي قمت في وجود لا يحيط به العلم ولا يقال عليه بالكيف والكم ، أيها الروح الصالح من جميع جهاته لقبول وجه ذاتي

قدرت بحقيقة عجزك على ما لا يقدر عليه ، وتحققت بسر جهلك علم ما لا يعلم ما فيه ، وعرفت بخاصية سلوبك اختصاص وجوبي الذي لا أبديه ولا أخفيه ، وضعت ناطقتك بحق لسان علمي في خلقي ووضعت مفارقتك بتحقيق كلام ذاتي لذاتي في ذاتي فكن معي بمفارقتك ومع خلقي بناطقتك تكن لي بالتوفيق وأكن لك بالتحقيق ، أرسلت رسلي إلى العلماء وأرسلتك إلى الأولياء العارفين ، وكما صدقتني في رسلي أصدقك في رسلك ، أشهدتك تنزيل جبريل الأمين بالقوة في ملكوت السموات والأرض الحاصل في غيب آدميتك إلى الكون بالفعل ، وأريتك ترقيه إلى سدرة منتهى التصورات البشرية ، وأشهدتك بروز العوالم الأخروية في كون صور تمثلاته الروحانية وقد نبهت نباهتك على مورد الدنيا والآخرة ومصدرهما وهما طريقا رواحك وغدوك في ظل عرشي المجيد ذي الجهات المتعددة بتعداد الحيوان والمعدن والنبات ، إليه تنتهي أقدام علماء الخلق والأمر وعنده تقف مواقف الإنس والجن والملائكة وسلمت إليك مفاتيح الجنان المستودعة في بطانة شجرة طوبى الكائنة عند سدرة المنتهى واستخرجت لك الترياق المبطل لحركات الحية المتوحدة في الزقومة الملبسة بصورة شجرة النهى ووضعت لك منبر الخطابة الرحمانية في مجمع يوم الخطب ، هذا ولم يبق فضل ولا فضيلة يشهد بها شاهد من شواهد

العلم ولا يقر بها مقر من استقرارات العقل في عالم من العوالم الرفيعة والوضيعة إلا وقد أعطيتك إياه ومكنتك من صرفه ومصرفه وعرفت أرباب الأعراف قدر تمكين مكانتك عندي فهم وإن كانوا أرباب مواقف القيامات القائمة في كل خلق وكون عبيد حضرة تولي وجهك وخدام حضرات تجليات جهاتك ، هذا كله في جنب بحبوحة بحار نظامك الأول كالنقطة التي لا تنقسم بالفعل ولا تتجزأ بالوهم في جانب البحر المحيط بالسموات والأرض .

فصل

أنزه نزيهاً في القدم والحدوث قدوساً فيما علم وجهل عزيزاً فيما لا يعلم ولا يجهل إحاطته بالذات والصفات وما لا يجوز تصوره ، فمن حيث أحدية ذاته فوجوده غير زائد ولا صفاته وهي محيطة بكثرة لا تتناهى ولا تعد لانتفاء النطق فلا تتحقق فيها المغايرة لنفي الزيادة فهي إحاطة محض ووجوده زائد من حيث وحدانيته وكذلك صفاته فهي تتعلق بكثرة متناهية عددية فهي

من هذا الوجه إحاطة إحصاء ومن حيث فردانيته بالوسط الذي لا يوقف على حقيقة ما هو ولا يجحده جاحد ، ويثبت إحاطته حكم الجمع وينفيها معنى السلوب فهي إحاطة المعجوز عنه ، فالأول معرفة والثاني حقيقة ، وبعد فنا مجمع البحرين والبرزخ بين القبضتين أنزل موجبك كل خلق من حقك بحيث أنزل حقك من حقيقتك ، أما سبب حيرتك فيك وموجب حجبتك عنك فاختلاف آراء مفردات جمع محضرك وبطون واحدك في غيابة أحديتك فإذا ظهر من هذا البطون خشعت له الأصوات واهتدت به أسرار العلوم إلى حقائق المعلومات [الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وكان يوماً على الكافرين عسيراً]

فصل

سبحان المتجلي بأسرار أزليته في روح الأمر المنفوخة

في صورة العلم بعين الجمع فأفادت كل واحد من صور صورته لطيفة ربانية ورقيقة إلهية ، فبالرقيقة قيام وجوده في غيبه الذي لا يطلع عليه أحد وباللطيفة تدبير عينه .

فصل

حرمة إله العالم قائمة بالقلوب المتقلبة على المعرفة والمحبة والسكينة واليقين وهو الإيمان بسوابق الأزل ولواحق الأبد مهيمة أرواحها في مَهَامِهِ الأحدية حائرة ألبابها في أقضية الوحدانية فهي خاشعة لجلال عظمته وجلاله ، والعقل كرسيه العليم الحكيم ، والقلب عرشه الرحمن الرحيم ، والروح وجوده الحي القيوم ، والإنسان وجهه السميع البصير ، فؤاده بيته المعمور بسر ذاته الذي لا تنطق به العبارة ولا توحي إليه الإشارة ، موضوع في غيابة غيبه [فلا يظهر على غيبه أحدا] مكتوب في صفحة ظاهره [وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا] .

فصل

بهاء الله أشرق في الأرواح القائمة في الوجود وأعلن في الأشباح الثابتة بالكون واستتر في الأعيان المخلوقة بالتركيب الهالكة بالتحليل المنتجة عنها حكاية ما غلب فيها ، أما الكون فجائز عدمه كله وإذا لم يقع بعد الكون ، وأما الوجود فلا يقبل نقيضه ، ولذلك لا تعلم أوليته ، بسم الله الرحمن الرحيم فارقت كل شيء باتصال لا ينقطع منه شيء ، إحاطة العلم والوجود أعم من إحاطة الإرادة والقدرة وحقيقة المخصوص بالأول لا بالثاني ورسوخ القدم الصدق في المكنة التي لا يصدق عليها التحرك فيكون نزوله فيه باعتبار الفعل " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير " تلونه في إحاطة جمعه لا في إحاطة ذاته ، قال من لا يحيط به علم ولا يشعر به وهم ولا يقف على مفهوم وجوده زعم : أيها المخصوص بخاصيتي دون الأولياء وبصفاء اصطفائيتي دون الأصفياء مكنتك من الملك الذي لا ينبغي لأحد غيرك وكشفت لك عن العالم الذي احتجبت فيه عن الأبصار والبصائر وفتحت لك ذخيرة

سريرتي لا كنز معرفة تعرفي وطويت ضميري في ضميرك المفارق للمضمرات والضمائر فلا يسع معنى حقيقتك الكلام فكيف بالنطق والعبارة ؟ أقمتك في المقام المعجوز عن تصور ما هو فأنت مبلغ البالغين بإدراك الجهل لصورة حق العلم أو معنى حقيقة الوجود ، رئيس العوالم سفير عزة ملكك إلى رؤساء مملكتك ورحمن العرش المحيط بكل شيء غيب غيبك المحتجب بحجاب الحيرة ، غيرتي عليك أوجبت المغايرة لكل شيء سواك .

فصل

فرد تفرد في وجود فردانيته المباينة للوحدة والكثرة لتميزه باختصاصات يستحيل حصول مثلها لغيره أقام الفرد المخصوص بخصوصية كاف التشبيه بلسان التنزيه عن رفيع مرتبة المثلية فاستحال وجود السوى معه في مستوى الاستوا على الأفق الأعلى ، حجب فكر العقل بمانع عجز التصور البشري عن إعمال النظر في حقيقة ماهية ما هو وأوقع الخواطر الواردة على قلوب أرباب الأوراد في ميادين الحيرة فانقطعت في مفاوز جلاله همت همة الوهم بتصور ماهيته فهالها هول

مطلعه ، فاقتطعت وفاهت أفواه الفهم بأسماء فردانيته ، فسطعت أنوار سماء سموه فتلاشت في تلاليها واحترقت وانتهت نهايات أعلام العلماء إلى معالم علومه فحجبها حاجب الجهالة فاحتجبت بتقديس القدس المبرأ عن التصريح والتلويح والتنزيه والتمويه أفراد فردانيته في غيب لا يعلم وعين لا تنكر ، لأنهم وجوه وجه فردانية الأزل خصهم كل شيء بسمعه وخضع لهم بوضعه وافتقر إليهم بطبعه وباينهم بصفة نفسه وأنكرهم بمعترضات نشأته وعرفهم بأوصاف صفات ذاته العالم بعلمه والجاهل بجهله ، وكذلك كل ذي وصف بوصفه وما عرفهم إلا وهم في كل شيء لا هم مع كل شيء ، لأنهم وجوب الواجب من حيث هو واحد فرد ، جميع صفاته ومتعلقاتها كذلك ، والوجود غير زائد من وجه الأحدية

.

فصل

أعوذ بحقيقة حق الحق وهي تحقيق حقيقة حق المحق

من ضلال ظلال ظل شخصه المتحرك بالحركة الشرقية إلى كل جهة متصورة بالوهم ، أعوذ بمساء اسم جلالة جلاله المتجلي بالإحاطة الذاتية في مفردات شخص عين جمعه المستقيم الذي لا يستحيل بالحركة ولا يتأبد بالسكون ، أعوذ بعياذة كشف معرفته من تنكر حجاب تعرفه بكل معرفة تتناهى إلى معروف تتنكر عنده حقيقة حق المحق وأستعين بسلطان تمكين مكنته على منع علل تعليل ممكناته الكائنة بالسبب الموجب لتقدم عدمها على وجودها والمثبت حقائق خلقها في الماهية التي لا حقيقة لها عند الواجب والممكن من سلب السبب المثبت لماهيتها المقترنة بالنفي المحض ، وأعوذ بقيومية قيم دوائر الملل والنحل الأوسط القائم في المقام الوسط المحيط بجميع جهاتها المنحرفة عن اعتدال خطه المستقيم من مدبرات فرقها المتباعدة المعقولة بعقال العقول المتولدة في النشأة الطبيعية ، أعوذ بالله من إملاء ميل الملل وانحراف حروف النحل في كل منتحل " هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه " لا تبديل لسنته ولا تحويل لمنته ، صفاته أرواح أسمائه وأفعاله صور أسمائه وتجلياته أنوار آفاق العالم الذي هو صورة علمه مد ظل صورة العلم في صفاء جوهر الجسم فتولدت القوى المتخيلة بتصحيح حقيقة المجاز ثم تكون عنها حاكم الوهم الجالس على كرسي الفكر المتحير في لطائف الصنع

القاضي بقضاء الحدس في مقتضيات تنوعات مراتب النفس [والله من ورائهم محيط بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظٍ] .

فصل

مقدس النفس نزيه الخلق بديع الوضع جميل التجليات محيط بكل الكائنات عالم بأجزاء الجزئيات ، أدخله في العالم من حيث مراتب الصنع بالاختراع ومراتب الجعل بالإبداع ، فهو رب الأدلة والبراهين والحدود الضابطة والموازين والأحكام اللازمة والقوانين لا تجد لخلقه تبديلاً ولا لسنته تحويلاً ، ومخرجه من العالم من وجه ليس كمثله شيء لا يحاط به علماً ولا يدخل وجود مثله تحت قدرته ولا حقيقة ذاته تحت إحاطة علمه ، مدخله بحكم أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ووفى كل شيء حسابه وهو أعلم بمن اتقى ضبط مقادير الأشياء فكل شيء يجد حكم شيئيته على السواء ومخرجه بحكم تهدم صورة صور الصور وانحلال قوة قوام عالم الخلق وعزل أمير إمرة عالم الأمر واضمحلال مكنة إمكان كائنة الكون فلا تجد للحواس تمييزاً في المحسوسات ولا للعقول تقديراً في المعقولات ولا للعلم تحقيقاً في المعلومات كأن ما كان لم يكن ، مخرجه في

. امتناع عزته ومدخله في بساط بسط رحمته وحكمته

فصل

الجلال والمجد والوجود الثابت والحد محقق لشخص النور القائم بالعين المشهور والشيء المذكور ، إليه ترجع الأمور في أيام الحشر والنشور لإدراكه ذي المشاعر ينتهي كل كون بمعناه ولذهنه الواسع تصير كل صورة مجردة متشكلة في مرآة ، وفيه يتحقق الخلا والملا وفي قوته الحافظة تأصيل شيئيات الأشياء وذاكره لا يضل ولا ينسى ، بوهمه يكون ما لم يكن وبخياله يتعين ما أمكن وبفكره يحكم قوانين ما يقدر ولوزن مملكته المحكمة حملت على موضوع ذاته المنفعلة ، إن انطوى فلا خبر ولا خبر وإن بدا ملأ السمع والبصر ، تنوعت سمواته وأرضه فمنهن المطلق والمقيد والثابت والمتحرك والمحدود والواحد والكثير المتعدد ، فمنها السبع سموات الطباق وهي صورة صور عالم الممتزجات ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت وسبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن والسموات العلى وعالم الملأ الأعلى [الرحمن على العرش استوى] والسموات ذات الفتق

والرتق الكائنة في الحب والماء [وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج] ، وكذلك سموات في الذكر مذكورة مطوية ومنشورة لها خلق وملائكة تعمرها [كل قد علم صلاته وتسبيحه] ، فكلما أخرجك سلطان النفوذ من سموات وأرض وأدخلك في سموات وأرض ، علّمك ما لم تكن تعلم وأشهدك ما لم تكن تشهد [وكان فضل الله عليك عظيماً] . اهـ

تم الكتاب الجليل وبالخير عمّ
والحمد لله رب العالمين